

شرح السنة للإمام المزني

المجلس الأول: ترجمة المزني

أشهد ان لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ونسأل الله جلّ في علاه أن يجعل هذا عملاً خالصاً لوجه الله الكريم كما قلنا في هذه العشر فيها التكبير والتحميد والتهليل وأيضاً في هذا اليوم المبارك فيه كثرة الصلاة على النبي الأمين -صلى الله عليه وسلم-. قلنا نبتدئ بكتابٍ هو من الأهمية بمكان لعله يعد قرينةً لله جلّ في علاه لمن لم يكن مع هؤلاء القوم الذين يطوفون ويستغفرون ويكبرون ويهللون اللهم تقبل يا رب.

عندنا كتاب من الأهمية بمكان هو كتاب شرح السنة للإمام العلم إسماعيل بن يحيى المزني، من أخص تلاميذ الإمام الشافعي. قبل البدء السنة هنا المقصود بها ضد البدعة والسنة تعرف في اللغة وفي الاصطلاح حسب المقصود منها عند علم من العلوم أو فن من الفنون. والسنة عند المحدثين: هي كل ما أضيف إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- من قولٍ أو فعلٍ أو تقديرٍ أو صفة خُلّقية أو صفة خُلّقية، لأن المحدثين يهتمون بكلية الأمور عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، بكل جوانب النبي -صلى الله عليه وسلم-، الجوانب العلمية والجوانب الأدبية وجانب الخُلّقية والجوانب الحياتية. فالسنة عندهم هو النظر في كل ما يخص النبي -صلى الله عليه وسلم-.

كل ما أضيف إلى النبي من قولٍ كقول النبي -صلى الله عليه وسلم- لبلال عندما أكل التمر الجيد: **أكل تمر خبير هكذا؟** قال: لا إنما نعطيهِ الصاع من الجنيب بالصاعين من الجمع قال: **أوه أوه، عين الربا ردوه.** تأوه النبي -صلى الله عليه وسلم-، والسنة قولية هنا، فرد النبي -صلى الله عليه وسلم- البيع قال: **ردوه، بع الجمع بالدراهم واشتري بالدراهم جنيباً.**

ما أضيف إلى النبي من قولٍ أو فعلٍ؛ كقول عبد الله بن عمر -رضي الله عنه وأرضاه-: رأيت النبي -صلى الله عليه وسلم- يصلي النافلة على الراحلة غير مستقبلاً القبلة لكنه إذا أراد الفريضة نزل فصلى، يعني صلى قائماً هذه أيضاً من السنن الفعلية. والسنة الثالثة هي السنة التقريرية، هي إقرار النبي -صلى الله عليه وسلم- على سنةٍ معينة، كما أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أقر عباد بن بشر أنه صلى وجرحه يثعب دماً ولم ينكر عليه النبي -صلى الله عليه وسلم-، فكانت سنة تقريرية.

من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ أو صفة خَلْقِيَّة؛ في قول صاحب الجليل قال: نظرت إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وإلى القمر ليلة البدر ولوجه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أجمل من القمر -بأبي هو وأمي-، وكان إذا سُر استنار وجهه -صلى الله عليه وسلم-. وكان ربعةً ليس بالطويل البائن ولا القصير البائن وكان عريض بين منكبيه وكان أكحل العينين، كل هذه من صفات الخَلْقِيَّة التي تتبعوها لأنهم كما قلنا ينظرون إلى كل جوانب النبي -صلى الله عليه وسلم- -الحياتية والجوانب الخَلْقِيَّة والخُلُقِيَّة. فهي كل ما أضيف إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- من صفات خَلْقِيَّة أو خُلُقِيَّة كما قال أنس: لا والله ما مست يدي ديباجاً ولا حريراً ألين من يد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا اشتملت طيباً ولا مسكاً أطيب من عرق النبي -صلى الله عليه وسلم-.

ثم قال من خُلِق النبي، قال: لا والله ما قال لي شيء أنا فعلته لِمَ فعلته ولا شيء لم أفعله لِمَ لم تفعل، يقول: لو قَدِّر له لفعل. وأيضاً فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- قالت عائشة: ما مست يده الشريفة امرأة قط ولا ضرب خادماً قط. وكان من تواضع النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه كريم جواد يقبل الدعوة من أي أحدٍ كائناً من كان قال: ولو دعيت إلى كراع لأجبت الداعي، ولذلك قبل دعوة اليهودي على خبز شعير وإهالةٍ نسخة من شدة ما بقيت، فهذه السنة عند المحدثين.

والسنة عند الأصوليين هي كالسنة عند المحدثين بيد أنهم لا ينظرون إلى الجوانب الحياتية، هم يريدون الجوانب العلمية فقط لإرساء القواعد الكلية التي تستنبط منها الأحكام لذلك عندهم السنة: هي كل ما أضيف للنبي -صلى الله عليه وسلم- من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ (وقِفْ)، لانشغالهم بالقواعد الكلية واستنباط الأحكام من الأدلة، هم يريدون الجوانب العلمية فقط. والفقهاء عندهم السنة خلافاً للفريضة يعني السنة عندهم هي النافلة التي هي مقابل الفريضة. السنة عند أهل العقائد وهذا الذي نريده، وكثير من علمائنا صنف في هذا الباب عقيدةً. السنة هي ضد البدعة وهي معتقد أهل السنة والجماعة، يقصدون بذلك معتقد أهل السنة والجماعة. ولذلك أنت تجد شرح السنة للمزني، شرح السنة للبربهاري، السنة لابن أبي عاصم، أصول السنة للإمام أحمد فكلها على هذا الباب.

فارس الميدان معنا العَلَمُ الهُمام الإمام التقي النقي الإمام المبرز المتفطن الإمام الذي قال عنه الإمام الشافعي: **لو خاصم الشيطان لخصمه** وهو الإمام المزني، هو أبو إبراهيم إسماعيل ابن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم المزني المصري، وهو مفخرة لأهل مصر، والمزني تلميذ الشافعي. المُنزني بضم الميم، هذه نسبة إلى مزينة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، واسم مزينة عمرو لأنه سمي باسم امه مُزينة بنت كعب بن وبر، قبيلة مشهورة.

لتعلموا كيف أن الله جَلَّ في علاه إذا أراد إحياء أمة جعل فيها العلماء، وإذا أراد إماتة أمة أمات فيها العلماء دون خلف. من الأمور العجيبة أن مولد الإمام المزني هو في سنة موت الإمام الليث بن سعد، كما أن الشافعي مولده في العام الذي مات فيه أيضاً أبو حنيفة وهذا المعنى معنى مركز في النفوس أن الله جَلَّ في علاه يجعل في هذه الأمة خلف للعلماء، لأنه إذا لم يجعل الله جَلَّ في علاه للأمة من العلماء الذين يموتون خلفاً أراد الله بهذه الأمة الهلاك أو أراد الله جَلَّ في علاه بالدنيا بأسرها بالانتهاء.

لما مات زيد بن ثابت -رضي الله عنه وأرضاه- ودفن، ذهب إلى قبره يدفنه أبو هريرة ونزل عند القبر فبكى بكاءً عظيماً، كان أبو هريرة يقول: **لمجلس الواحد أجلسه بين يدي زيد ثابت يعلمني آية من كتاب الله جلّ في علاه خيرٌ لي من أن أجاهد سبعين سنة، ثم قال: دفن هنا علمٌ زاخرٌ وفير، ولعل الله جلّ في علاه يجعل في ابن عباس خلفاً له.** انظر هنا، يعرفون الفضل ويعرفون أن الأمة مرتكزة ارتكازاً تاماً على العلماء، فإذا أراد الله بقومٍ أو بأمةٍ هلاكاً قبض العلماء الذين هم فيها. لذلك يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **إن الله لا يأخذ العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور العلماء، الذي وهب ما سلب وهذه لها ضوابط شرعية لا بد من تفصيلها.** فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- م قال: **إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور العلماء ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالمٌ (لم يبق عالماً) اتخذ الناس رؤوساً جهّالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا.**

فكان مولد الإمام العلم المزني في عام موت الليث بن سعد، سنة خمسة وسبعين ومئة. وكان في أسرةٍ تحب العلم وتعظم العلماء، والعجيب أن الشافعي لمّا عقد مجالس الفقه في مصر كان من أنبل من يجلس مع عهد الشافعي أخت الإمام المزني، ولذلك الرافعي نقل عنها كثير من مسائل الزكاة وأيضاً الإسنون.

أعظم شيوخ الإمام المزني هو الإمام الشافعي وهو أعظم من تعلم على يديه الإمام المزني. المزني أيضاً سمع لنعيم بن حماد، الإمام العلم الحافظ نعيم بن حماد نزل مصر، ونعيم بن حماد أيضاً ابتلي بلاءً عظيماً بمسألة خلق القرآن من المعتصم حتى مات في سجنه على نفس الصبر على القول بعدم خلق القرآن. وأصبغ بن نافع أيضاً من شيوخه لكنه كان أشد ملازمةً للإمام الشافعي.

أما تلاميذ الإمام المزني فكثيرةٌ كثرةٌ تتلمذت على يده وكانوا من العلماء النبلاء، أخذ عن المزني خلائق من علماء خراسان والعراق والشام كما قال السبكي في طبقاته. وأشهر هؤلاء أبو بكر ابن

خزيمه، إمام الأئمة، هذا الإمام العلم. وأبو جعفر الطحاوي وهو ابن أخته وقال: أول ما كتبت عنه الحديث هو المزني. وأبو القاسم الأنماطي وهو شيخ ابن سريج علم من أعلام الشافعية، وأيضاً زكريا الساجي من تلاميذه.

المزني كان من نبلاء العلماء وكان من الأذكياء وكان من النواذر في الفقه، قال ابن يونس: المزني صاحب الشافعي كانت له عبادة وفضل، ثقة في الحديث لا يختلف فيه حاذق من أهل الفقه، وكان أحد الزهاد في الدنيا وكان من خير خلق الله عز وجل ومناقبه كثيرة. اللهم اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك انت الأعز الأكرم. وقال أبو اسحاق الشيرازي: كان المزني عالماً تقياً نقياً زاهداً مناظراً حجاجاً غواصاً على المعاني الدقيقة. ولذلك الفقه الفهم يعني إن أردت أن تلخص كلمة في الفقه، الفقه الفهم. قال عمرو بن عثمان المكي: ما رأيت أحداً من المتعبدين في كثرة من لقيت منهم بمكة لمن هو مقيم ومن قدم علينا في المواسم ولا فيمن لقيت بالشام وسواحلها والاسكندرية أشد اجتهاداً من المزني والعبادة على العباد منه، ولا رأيت أحداً أشد تعظيماً للعلم وأهله منه، وكان من أشد الناس على نفسه في الورع وأوسعهم في ذلك على الناس، وكان يقول أنا خلقت من أخلاق الشافعية، رحمهم الله تعالى جميعاً.

أعظم ما يقال في هذا الباب أنه كان يستديم على العبادة، وكان من أشد تعظيماً للعلم وأهله وهذه التي رفعت. كان يعظم العلم بتعظيمه لله جل في علاه ويعظم أهل العلم، ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل. كان ذا عبادة صياماً وقياماً وصدقة وجوداً وكان من أعظم الناس تعظيماً للعلم وأهله، وتعظيم أهل العلم دلالة على تعظيم الله في قلبه ودلالة على عظمة ما فيه من قدر ومكانة. فإن الناس ينظرون بأعينهم على من أمامهم، فكل من كان جواداً كريماً لا يرى الناس إلا في جود وكرم، وكل من كان معظماً في نفسه معظماً لربه جل في علاه ومعظماً لشرع ربه كان قد عظم من أمامه أو ممن يحمل هذه الشريعة الغراء تعظيماً لصاحبها الذي أتى بها. فكان الشافعي من أعظم الناس أو من أشد الناس تعظيماً للعلم وأهله.

قال أبو سعيد السكري: رأيت المزني وما رأيت أعبد لله منه ولا أتقن للفقهاء منه، وهذه أيضاً العبادة يؤتى بها فهماً دقيقاً في كتاب ربنا جلّ في علاه (إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) [الأنفال:29]. قال داود بن علي: أحد نظار أصحابه (يعني عن الشافعي) لا يدفع عن ذلك منه دافع مع اعتراف أكثر مخالفيه له بذلك. قال العبادي: كان زاهداً عالماً جداً حسن الكلام في النظر مرضي الطريقة رشيد المقال سديد الفعال. قال ابن عبد البر: كان فقيهاً عالماً راجحاً المعرفة قليل القبض جليل القدر في النظر عارفاً بوجوه الكلام والجدل حسن البيان مقدماً في مذهب الشافعي، وقوله في حفظه وإتقانه.

وكفى بفضل المزني أن الكتاب الوحيد الذي تناولته الأمة (أمة الشافعية) بالتناول والاختصار والشرح والتأبين والتحقيق هو مختصر المزني، آخره في تهذيب المنهاج للنووي كل هذا على مختصر المزني. ومن أعظم ما قيل فيه قال ابن عبد البر: لقد أتعب الناس بعده وكان أعلم أصحاب الشافعي بالنظر دقيق الفهم والفتنة، انتشرت كتبه واختصاراته إلى اقطاب الأرض شرقاً وغرباً، وكان تقياً ورعاً ديناً صبوراً على الإقلال والتقصيف، كان من أعظم ميزاته أنه كان زاهداً في الدنيا لا يريدّها. ابن الجوزي قال: صاحب الشافعي رحمه الله تعالى كان فقيهاً حاذقاً ثقةً في الحديث وله عبادةٌ وفضل وكان من خيار خلق الله تعالى، كان ملازماً للرباط. ابن خلكان أيضاً قال: كان هو إمام الشافعيين وأعرفهم بطرقه (يعني الشافعية) وفتاويه.

وقال الذهبي: الإمام العلامة فقيه الملة علم الزهاد، انظر قال: فقيه الملة، ما قال الشافعية. راجع المزني في مختصره للشافعي، عاود الشافعي في أكثر من مرة وخالفه في مسائل كثيرة. الصوفي قال: هو الإمام الجليل ناصر المذهب وبدر سمائه، كان جبل العلم مناظراً محاجباً زاهداً ورعاً متقللاً من الدنيا، وكان مجاب الدعوة. الإسناوي قال: كان إماماً ورعاً زاهداً مجاب الدعوة متقللاً من الدنيا وكان معظماً ومعظماً بين أصحاب الإمام.

إمامته بالفقه معروفة كان فقيهاً مدققاً غواصاً كما قال ابن يونس: **لا يختلف فيه حاذق من أهل الفقه**، لذلك الإمام الذهبي قال عن المزني: **كان رأساً في الفقه**. كما قال الشافعي للمزني: هل لك في علمٍ إن أصبت فيه أجرت وإن أخطأت فيه لم تأثم؟ قال المزني: وما هو؟ قال: الفقه. لذلك قال المزني: **فلزمت الشافعي وتعلمت منه الفقه ودرست عليه**. وقد صدقت فيه دراسة الإمام الشافعي قال: **لتدركن زماناً تكون أقيس أهل ذلك الزمان**. له قوة عارضة في المناظرة فكان مدققاً وكان بالغ النظر في دقيق الفقه وكانت له عبادة وفضل، كما قال ابن يونس: **كانت له عبادة وفضل**.

وقال المكي: **ما رأيت أحدً من المتعبدين أشد اجتهاداً من المزني ولا أدوم على العبادة منه**، وهذا أيضاً يضرب لنا مثلاً مهماً عظيماً وهي الاستمرار على العبادة. قال الإمام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه وأرضاه- وزير النبي الثاني: **من بورك له في طاعة فليعض عليها بالنواجذ**، وهذه فيها دلالة على دقيق الفقه أن المرء إذا بورك له في طاعة، أنشأ الله له طاعة عليه أن يجتهد اجتهاداً عظيماً في الأخذ بها وعدم تركها.

ابن السكري قال: **رأيت المزني والله ما رأيت أعبد منه**، وقال بعضهم: **إن أبا إبراهيم المزني كان عبداً لله حقاً عبد الله كذا وكذا سنة عبادة منتظر (منتظر الأجل)**. وكان المزني يصلي بحضرة أصحابه وهم يتناظرون فإذا أشكل عليهم مسألة انتظروا سلامه، فإذا سلم سألوه فقالوا: يا أبا إبراهيم إن اشتغالك وتعليمنا أفضل لك من الصلاة -هذا كلامٌ فيه دقة نظر كبير-، قال: وكيف؟ قالوا: لأن تعليمك العلم يعدوك وصلاتك لا تعدوك، فترك الصلاة وأقبل على تعليمهم. الله أكبر هو الفاضل وأخذ من المفضل، هو الفاضل دقيق النظر وأخذ من المفضل وفيها طبعاً تأسيس القاعدة أن **(الفضل المتعدي خيرٌ من النفع الذاتي)**.

وكان بعينه رمد فكان يتوضأ وينام وينعس ثم يتعب فيتوضأ وينام وينعس، ثم فعل ذلك مرات ومرات. وكان صابراً وكان ورعاً زاهداً وكان من أشد الناس تضيقاً على نفسه في الورع ولكنه كان يوسع على الناس، وهذه من الأهمية بمكان لا يفعلها إلا الفقهاء كما قال الثوري. لذلك قال عنه ابن خلكان: **كان من الزهد على طريقةٍ صعبةٍ شديدة**. وابن خلكان أيضاً قال: **المزني كان**

في غاية في الورع او إماماً في الورع ولم يلي القضاء. تعلمون أن من تولى القضاء لابد أن يقارب السلطان وكان المزني أبعد الناس عن ذلك، لذلك قال عنه الذهبي: لم يلي القضاء وكان قانعاً شريفاً نفسه. ابن خلكان قال: كان المزني في غاية الورع وبلغ من احتياطه أنه كان يشرب في جميع فصول السنة في كوز نحاس وقيل له: لِمَ؟ قال: بلغني انهم يستعملون السرجين في الكيزان والنار لا تطهرها.

وكان من أفضل ما يقدمها عبادةً تغسيل الموتى، كان يغسل الموتى تعبدًا واحتساباً لله جلّ في علاه، هو الذي غسل الإمام الشافعي، هو والربيع المرادي. وهو ثقة في الحديث كما قال ابن أبي حاتم: إسماعيل ابن يحيى ابن المزني أو إبراهيم المصري الشافعي سمعت منه وهو صدوق، لكنه كان قليل الرواية وكان إذا جلس ومعه أبو بكر ابن خزيمة يقول: إذا جاء الحديث تكلم هذا (وهو تلميذه) وإذا جاء الفقه تكلمت أنا. وكان بحراً وعالمًا في اللغة وكان يستشهد كثيراً باللغة.

أما عقيدته -وهذا المهم الذي نحن بصدد هنا- عقيدة أهل السنة والجماعة، كان المزني سلفي العقيدة وشرح السنة سيتبين لنا من اعتقاد الإمام المزني في هذا الباب. قد اتهم الحساد المزني، كما في كل أنحاء المعمورة وفي كل الأزمنة ترى حاسداً يترقب ويتربص بالعالم النبيل ويحاول الحط منه، وكانوا يعادون المزني وينافسوه من أهل مصر ويتهمونهم حسداً أنه يقول بخلق القرآن. الأنماطي يقول إنه جالسه سنين ولم يقل بذلك، طبعاً هذه فرية عظيمة لسنا بصدد التدخل فيها لكن الكلام على أنه بريء منها وأن الإمام المزني أيضاً يقول: (القرآن كلام الله غير مخلوق).

المزني كان من أخص جلساء الإمام الشافعي، يقول الإمام المزني: قرأت كتاب الرسالة للشافعي خمس مئة مرة، ما من مرة إلا واستفدت منها فائدة جديدة لم أستفدها في الأخرى، خمسمائة مرة وفي كل مرة يخرج بفائدة جديدة. هو خدم الإمام الشافعي صراحةً كما قال الشافعي: المزني ناصر

مذهبي، ولذلك أخذ منه علماء خرسان أكثرهم أخذ من المزمى علم الشافعى؁ وتولى التدريس بعد البوبى.

له مصنفات كثيرة ومن أعظم هذه المصنفات المختصر الكبير؁ المختصر فى مختصر المزمى أيضاً. طبعاً وشرح السنة هذا هو الكتاب الذى بصدد أن نتكلم عنه ونشره. نكتفى فى ترجمة الإمام المزمى بذلك إشارة من باب معرفة الفضل لأهله وإشارة إلى فضله لكن ما نريد أن نقف عند الترجمة فقط بل نبدأ فيها ولا ننظر كيف يعتقد فى ربه الإمام المزمى؁ ونسأل الله أن ييسر لنا أن ننتهى من الرسالة.

طبعاً هذه الرسالة أصل الرسالة للإمام المزمى؁ كتب شرح السنة فى القدر والإرجاء والقرآن والبعث والنشور والموازن وفى النظر. فكتب هذه الرسالة العظيمة عندما أرسلت له رسالة؁ طبعاً كانت الرسالة كلها تثبت من هذه القيلة أو القالة التى يعنى قد اخترعوها على الإمام حسداً بما مكن الله له من القلوب ونشر فضله فى الآفاق.

قال: بسم الله الرحمن الرحيم؁ وهذه من روائع البيان كما قلنا قبل ذلك كثيراً؁ وهذه من روائع البيان البداءة بالتسمية اقتداءً بالكتاب واقتداءً بالسنة. بسم الله الرحمن الرحيم؁ ولأن الله ابتداءً كتابه بالبسملة والبسملة فاصلة بين كل سورة وأخرى على قول الأحناف خلافاً للشافعية والمالكية والحنابلة؁ فالمالكية لا يرونها من القرآن ما يرون البسملة إلا جزء من آية من سورة النمل؁ والحنابلة يرون بأنها آية من سورة الفاتحة كما أن الشافعية يرون أنها آية من سورة الفاتحة لقول النبى -صلى الله عليه وسلم-: **وبسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها**؁ ويرون الشافعية أنها آية من كل سورة لولا هذا الحديث لقنا به لأن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: **سورة ثلاثون آية حجة**

عن صاحبها في القبر، وهي تبارك وتبارك ثلاثون آية من غير التسمية. فهي فاصلة بين السور وبعضها كما قال ابن عباس قال: كنا نعلم انقضاء السورة أو ابتداء السورة الجديدة يعني بالبسملة

وأما السنة فقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: كل أمرٍ ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر، فهو أجذم. ولذلك انت ترى أن كل حالةٍ كان يخطب لها النبي والخطبة الحاجة كما قال علماءنا بسملة أو حمدلة في البداء به.

قال: بسم الله الرحمن الرحيم، وهي الباء هنا للاستعانة، أستعين بالله جلّ في علاه مصنفاً على عقيدة أهل السنة والجماعة. وهؤلاء كانوا يستعينون بالله في الصغير والكبير والدقيق والجليل لا سيما التصنيف، فإن التصنيف كان من علمائنا النبلاء بمثابة التأسيس ونصرة الدين.

قال: عصمنا الله وإياكم بالتقوى، والتقوى العمل على طاعة الله بنور من الله يرجو ثواب الله والكف عن معصية الله على نور من الله (على علم وبصيرة) يخاف عقاب الله جلّ في علاه، هذا أوجز وأجود ما قيل فيها. قال: عصمنا الله وإياكم بالتقوى، وهذه العصمة فيها الأخذ بالسبب لأن العصمة بالله جلّ في علاه والعصمة من الله جلّ في علاه. عصمنا الله وإياكم بالتقوى ووقفنا الله وإياكم لموافقة الهدى، وهذا من أعز ما كتب يعني أنت لو وقفت وقفة واحدة لهذا الذي كان فيه الأئمة قال: ووقفنا وإياكم لموافقة الهدى ففيه في قلمه هنا أمران مهمان:

-الأول: في قوله عصمنا الله وإياكم بالتقوى ووقفنا وإياكم لموافقة الهدى، فيه دوام النظر لله جلّ في علاه ودوام النظر إلى الله جلّ في علاه يستقيم القلب معه والقلم لا يكون إلا لله إخلاصاً لوجه الله الكريم، هذه من الأهمية بمكان صراحةً من الأهمية بمكان. فيستقيم القلب والنظر لله جلّ في علاه لأن العبد إذا علم من قلبه وثبت الأمر في نفسه أنه ليس منه ولا من ذكائه ولا من حرصه ولا شدة حرصه أو من شدة اجتهاده، ليس منه أن يصل إلى ما وصل إليه بل هو من الله جلّ في

علاه وبالله لو كان كذلك فإن العبد يكون موفقاً مسدداً، كما كان ابن تيمية يقول: **أنا بالله**، ما بي من شيء ما لي من شيء أنا اصالة عملي لا بد أن يكون إخلاص لله جلّ في علاه توفيقى ما يكون إلا بالله جل في علاه حركتي للعبادة أو سكناتي للعبادة لا تكون إلا لله جلّ في علاه.

-الثاني: عصمنا الله وإياكم بالتقوى ووفقنا وإياكم لموافقة الهدى، وهذه أيضاً فيها دلالة واضحة جداً على أن الموفق بحق من وفقه الله والمسدد بحق من سدده الله. فإنه لن يوفق الهدى والهدى هو إتباع الكتاب والسنة، الهدى في الكتاب والسنة، والعمل بالهدى والحكم به هذه من السنن الإلهية التي أمر بها عباده وقضاها عليهم شرعاً وجعلها لمن أحبه كوناً. كما قال الله جلّ في علاه: **(يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)** [ص:26]. وهي إما هوى وإما هدى، فأما الهدى فإن المرء يوفق فيه للكتاب والسنة وهو الحق فهو العلم، وأما الهوى فإنه يخالف الكتاب والسنة وفيه حيدة. لذلك قال: **وفقنا وإياكم إلى موافقة الهدى**.

وكما قلت في قوله: **موافقة الهدى**، فيها دلالة واضحة جلية على أن المهتدي بحق هو من وفقه الله جلّ في علاه للتمسك بالكتاب والسنة عملاً بقوله -صلى الله عليه وسلم-: **تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي**. ولذلك قال الله جلّ في علاه: **(وَأَذْكُرَنَّ مَا يُنْتَلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ)** [الأحزاب:34]، ف"من آيات الله" من كتاب الله و"الحكمة" هي السنة، كما قال الشافعي وأجمع العلماء بذلك، فهذه الهدى.

لذلك قال: **وفقنا الله وإياكم لموافقة الهدى** عندما سألوه دعا لهم وهذا أيضاً من دأب الأدب، أدب العلماء مع طلبة العلم لأنه علم أنهم وصية رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأخذ بالوصية حقاً يعمل بها ويعلمها. كما قال أنس -رضي الله عنه وأرضاه- وأيضاً أبو سعيد قل لأهل العلم: **مرحباً**

بوصية رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. ومن الأدب الراقي أدب العلم الراقي هو الدعاء لطلبة العلم قبل التعليم.

عصمنا الله وإياكم بالتقوى ووفقنا وإياكم لموافقة الهدى، أما بعد: فإنك سألتني أن أوضح لك من السنة أمراً تصبر نفسك على التمسك به. السنة هنا المقصود بها ما كان عند أهل العقائد، السنة هنا المقصود بها كما قلنا التي هي ضد البدعة. قال: فإنك سألتني أن أوضح لك من السنة أمراً تصبر نفسك على التمسك به وتدرأ به عنك شبه الأقاويل وزيف محدثات الضالين، وهذا أيضاً يجعلنا نقول بأن العلماء هم منارات الهدى الذين قال فيهم النبي -صلى الله عليه وسلم-: **يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عَدُوْلُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ انْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ**. وقد شرحت لك منهاجاً موضحاً لم آل (لم أقصر) نفسي وإياك فيه نصحاً بدأت فيه بحمد الله ذي لرشد والتسديد.

قال: سألتني أن أوضح لك، وهذه فيها الرجوع إلى العلماء وقلنا دائماً من أراد العلم حقاً فلا بد أن يرجع إلى الراسخين من أهل العلم، من كان عالماً بحق هو العالم الذي ينزل يجثو على ركبتيه تحت يد الراسخين من أهل العلم، فالراسخ يخرج راسخاً والضعيف يخرج ضعيفاً والمبتدع ما يخرج لنا إلا مبتدعاً. لذلك قال: سألتني، وفيها الرجوع كما قلنا للعلماء النبلاء وهكذا دأب طلبة العلم في القديم أنهم يعلمون قدر العلماء فيرجعون إليهم في الملمات. سألتني أن أوضح لك من السنة، والسنة كما قلنا ضد البدعة المقصود بها عقائد أهل السنة، المقصود بها ما يعتقده أهل السنة والجماعة من الصحابة الكرام ومن بعدهم. أمراً تصبر نفسك على التمسك به يعني تبقى على ذلك حتى تأتيك منيتك، لذلك النبي قال في آخر الزمان لما تأتي الفتن يفسو فيها الجهل ويقل جداً العلم، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **الْقَابِضُ عَلَى دِينِهِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ**.

قال: وتدرأ به عنك شبه الأقاويل، وهذه فيها دلالة أيضاً على أن البدعة والضلالة هي شبهة، وشبهة تطفو على السطح. الغر يسارع إليها لأنها تستنير لها لمعان ولها ضوء خافت لكنها تستنير وتلمع.

قال: تضع عنك بها شبه الأقاويل وزيف محدثات الضالين، وهذه لأهل الضلال زائغات وهذه إن سمعها القلب الخالي قد تثبت فيه هذه الشبه. لذلك كان علماؤنا يقولون: اذهب أما أنا فعلى استقامة من ديني ما أحتاج إلى أحد أن يثبت لي ديني واذهب أنت فابحث عن دينك في مكان آخر. قال: وقد شرحت لك منهاجاً موضحاً، وهذه أيضاً فيها أن العالم يدل على نفسه ويدل أيضاً على عمله من أجل أن ينتفع الناس به. لم آل نفسي وإياك فيه نصحاً، هذه أيضاً فيها أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **المستشار مؤتمن**، وأيضاً عملاً بعموم قول الله تعالى عموماً: **(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى)** [المائدة:2]، وقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة. قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ورسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم.**

قال: لم آل نفسي وإياك نصحاً بدأت فيه بحمد الله ذي الرشد والتسديد، فبدأ به بحمد الله قلنا هذه من روائع البيان عملاً بخطبة الحاجة إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره وهي على الراجح على جميع الأمور، فبدأ بالحمدلة وفي رواية كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه بحمد الله فهو أجزم.**

قال: **الحمد لله**، والحمد هو الثناء الحسن على جميل الفعال وعلى جميل الذات وعلى رفيع الفعال. والحمد إذا انفرد دخل تحته الشكر، والشكر إذا انفرد دخل تحته الحمد، وإذا اجتمعا افترقا في الذكر: كان الحمد الثناء الحسن باللسان على جميل الذات والصفات، وكان الشكر باللسان وبالقلب وبالجوارح وأيضاً على جميل الفعال خاص بالفعال.

أفادتكم النعماء مني ثلاثة ***يدي ولساني والضمير المحجبا

فأقول الحمد لله وهو كأنه قال الثناء الحسن لجميل الذات وصفات الله جلّ في علاه، والحمد الحسن والثناء الحسن على جميل فعال الله جلّ في علاه. **الحمد لله أحق من ذكر سبحانه جلّ في علاه وهنا يبين لك على صفات الكمال والجلال والبهاء والعظمة، أحق من ذكر وأولى من شكر** سبحانه جلّ في علاه.

"أحق من ذكر" كما قلنا لجميل ذاته وصفاته سبحانه جلّ في علاه (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى) [النحل:60]، (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا) [الأعراف:180] الحسنى فعلى. وأولى من شكر سبحانه جلّ في علاه، فهو المنعم حقاً وأصل النعائم منه سبحانه جلّ في علاه. ولولا أن يرضى الله جلّ وعلا بنعمة تأتيك لما أنتك وإن الله أجراها على أسباب لعله وحكمة لأن من لم يشكر الناس لم يشكر الله جلّ في علاه. وأولى من شكر سبحانه جلّ في علاه فإن نعائمه تأتي تترأ لا تنقطع ولا تقف عند حد (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) [النحل:18]، ولذلك قال عن إبراهيم (شَاكِراً لِأَنْعُمِهِ) [النحل:121] جمع هنا الآن مضاف يعم كل النعائم التي لا حد لها ولا تصور ولا عدد لها.

وأولى من شكر وعليه أثني، سبحانه جلّ في علاه هو الحق بالثناء أحق بالحمد وأحق بالمدح وأحق بالثناء، سبحانه جلّ في علاه جلت قدرته. وعليه أثني الواحد الصمد، كأن الثناء على الله جلّ في علاه أعظمه هو التوحيد. ولذلك قلنا بأنه لا نجاة إلا بالتوحيد بل ولا علو إلا بالتوحيد ولا رحمة ولا هداية تامة ولا نجاة تامة إلا بالتوحيد (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) [الأنعام:82] بظلم يعني بشرك. وعليه أثني الواحد الصمد، هو الواحد الأحد سبحانه جلّ في علاه. ولذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: يؤذيني ابن آدم يشتمني الذين ينسبون لله الولد، ولذلك يوم القيامة يقول: من تنتظرون؟ يقولون: كذا عزيزاً وينسبون لله الولد فيقول كذبتُم (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ) [المؤمنون:91]، لذا يتساقطون في نار جهنم (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) [مريم:88-95].

قال: الواحد الصمد، الصمد هو الذي لا جوف له لا يحتاج إلى طعام ولا إلى شراب، والصمد هو من يصمد إليه عباده في حوائجهم فيسدها عنهم، الجميع كلهم يقفون صفاء واحداً يحتاجونه ويسألوه.

يا عبادي! كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي! كلكم جائع إلا من اطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر اغفر لكم. أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه.

الواحد الصمد ليس له صاحبة ولا ولد. وهذا رد على النصارى الذين نسبوا الولد لله جل في علاه، وليس له صاحبة والله جل وعلا التعليق بالمستحيل: (لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْنَفَ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ) [الزمر:4]، فهو غني سبحانه جلّ في علاه عن الولد وغني عن الظهير وعن المعين وغني عن صاحبة قال الله تعالى: (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا) [الإسراء:111]. جلّ عن المثل سبحانه جلّ في علاه قال الله تعالى وهذا الاستفهام الإقرارى: (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) [مريم:65]، لا، لا نعلم له سمياً لا ند له ولا نظير.

ولذلك كان العقاب الأليم والتوبيخ والتقريع الشديد لمن جعل نداً لله جلّ في علاه، قال الله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ) [البقرة:165]، سبحانه جلّ في علاه. جلّ عن المثل، قد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: أكبر الكبائر أن تجعل لله نداً وهو خلقك، فلا شبيه له ولا عدل ولا سمي ولا نظير سبحانه (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى:11]، قال: السميع البصير يعني هو ذو السمع سبحانه جلّ في علاه وسمع الله جلّ في علاه سمع يليق بجلاله وكماله وعظمته وبهائه، قالت عائشة -رضي الله عنها وأرضاها: سبحان الذي وسع سمعه الأصوات. والبصير الذي لا يخفى عليه شيء سبحانه جلّ في علاه، يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، يسمع دبيب النملة ويرى مخ ساقها.

العليم الخبير، أثبت الله العلم والله جلّ في علاه أحاط بكل شيء علماً، علم الله جلّ في علاه أوسع من كل شيء قال الله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً) [الطلاق:12]. قال: العليم الخبير بمعنى الغوص بدقيق النظر في العلم. البديع الرفيع، والبديع الرفيع ليست من أسماء الله جلّ في علاه كل هذه أخبار عن الله جلّ في علاه، أما العليم الخبير السميع البصير هذه من أسماء الله جلّ في علاه. أراد هنا أن يتكلم عن البديع الرفيع، الرفيع سبحانه وجلّ في علاه جلّ عن الشبيه وعن الند سبحانه وتعالى، وأنه يتعالى عن صاحبة الولد وعلى النقص، الكمال كله له سبحانه جلّ في علاه.

نسأل الله ان ينفع بها الأمة الإسلامية ونسأل الله ان يلهمنا الإخلاص وأن يكون ذلك تعويضاً لنا اذا فاتنا خير فان كل الخير لا يفوت وان الله اذا اغلق باباً فتح ابواباً لا سيما في ابواب الشرع والله جلّ في علاه كان كريماً جواداً ويعطي للصادقين ما يعطي لغيرهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءت فريضة الحج ما حج هو بل أمر ابا بكر رضي الله عنه وأرضاه فحج بالناس وكان أميراً لهم وكان ينشغل بالوفود من أجل نشر الدعوة والتثبيت لها ولا أحد يعلم من المقبول عند ربه من المردود ولا أحد يعلم من الذي تضاعف له الحسنات ويرتقي بها إلى الدرجات بل رفيع الدرجات عند رب الأرض والسموات اللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين.

شرح السنة للمزني

المجلس الثاني

عنوان الدرس : العلو

الحمد لله وكفى والسلام على عباده الذين اصطفى لا سيما النبي المجتبى والأمين المصطفى وعلى صحابته الكرام وأل بيته العظام المستكملين الشرفاء وبعد إخوتي الكرام أحسن الله إليكم ما زلنا مع هذا الكتاب الماتع كتاب الإمام المزني وهذا الكتاب هو من كتب اعتقاد أهل السنة والجماعة والمزني سيد من سادات تابع التابعين من اخص تلاميذ الإمام الشافعي وهو الذي نصر مذهبه ونشره

قال رضي الله عنه وأرضاه ورحمه الله قال (العلو عالٍ على عرشه سبحانه جل في علاه يعني أنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته عالٍ على عرشه وهو دال بعلم من خلقه هذا قاله أيضاً ابن زيد القيرواني عندما شرحنا رسالته نحن في مقدمة ابن زيد القيرواني عندما قال

(وهو تعالى فوق عرشه المجيد بذاته وإنه بكل مكان بعلمه) وقد جاء هذا عن الدارمي وعن غيره وقالها أيضاً ابن عبد البر وابن أحمد وابن ثابت الطريقي الحافظ والشيخ عبد القادر الجيلي والمفتي عبد العزيز القحيطي وطائفه (.) ابن أبي زيد وغيره التفريق بين كونه معنا وبين كونه فوق العرش فهو كما قال ومعنا بالعلم وإنه على العرش وهذه اللفظة التي جمع فيها بين العلم وبين العلو فأنت لعلك تسأل ولما جمع بين العلم والعلو هنا ليفرق بين أن يكون معنا بعلمه وهو فوق عرشه لأنه أثبت أنه فوق عرشه وهذا محكم وأثبت أنه معنا وهذا أيضاً فيه إحكام لكن له دائرة ليست على الإطلاق ولذلك ابن كثير نقل إجماع أهل السنة والجماعة أنه في قول الله جل في علاه (وهو معكم أينما كنتم) قال بعلمه

هنا في قوله (وهو عالٍ على عرشه) في صفة الله جل في علاه صفة العلو وهذه صفة العلو من الصفات العظيمة من صفات الذات ومن صفات الفعل وهنا وجب علي أن أنكر طلبية العلم الكرام بأنواع صفات الله جل في علاه بأن صفات الله جل في علاه صفات ثبوتية وصفات سلبية وصفات ثبوتية سلبية

👉 الصفات الثبوتية هي الصفات التي تنقطع روحك أولى لك من الإنقطاع صفات ثبوتية ثبتت لله بالكتاب والسنة لقوله جل في علاه (ولتصنع على عيني)

👉 وصفات سلبية هي التي نفاها الله عن نفسه في كتابه أو سنة نبيه قال الله تعالى (الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم)

👉 وصفات ثبوتية سلبية وهذه أيضاً في الكتاب وفي السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق) وأثبت له الكلام

والمنفية أيضاً (اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصماً ولا غائباً تدعون سميع بصيراً)

صفات سلبية ثبوتية هي الصفات التي ثبتت من وجه فيه كمال وانتفتت عن الله من وجه آخر كالمكر كالكيد صفات المقابلة هنا لا يتصف الله بها على الإطلاق ولكن يتصف الله بها حين المقابلة وهذه حين المقابلة تكون كمالاً

وحين الإطلاق تكون نقصاً وهناك من الصفات من هو نقص من كل وجه وهذه الصفات لا يمكن أن يتصف الله بها كالخيانة ولذلك الله جل وعلا قال (بخادعون الله وهو خادعهم) قال الله تعالى (ويمكرون ويمكر الله وهو خير الماكرين)

أما بالنسبة للخيانة قال (فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم) وهذه من الصفات صفات العلو هي صفات ثبوتية والصفات الثبوتية هي التي ثبتت لله بالكتاب والسنة تنقسم إلى ثلاثة

👉 صفات ذاتية : هي الصفات التي لا تنفك عن الله بحال من الأحوال

👉 ومنها الصفات الخبرة : التي مسمهاها عندنا أبعاد وأجزاء وهي لله جل وعلا صفة كمال وجلال وبهاء وعظمة

👉 وصفات فعلية : والفرق بينهما أن الصفة الفعلية هي قديمة النوع ولكنها حادثة الأفراد يتصف الله بها حيناً ولا يتصف بها حيناً آخر

🌿 صفات العلو عندنا صفة ثبوتية وهذه الصفة الثبوتية هي صفات كما قلنا ذاتية او فعلية والعلو صفة ثبوتية وهي ذاتية وفعلية ذاتية وفعلية كيف ذلك صفة العلو أو صفة الإستواء عندنا العلو علوان علو مطلق وعلو مقيد العلو علو الله علوان علو مطلق علو مقيد وأنت ترى هنا المصنف رحمه الله تعالى وهو يتكلم عن العلو ماذا قال قال (عالٍ على عرشه هو ما قصد العلو المقيد فهنا أراد المصنف المزني بالعلو هنا هو العلو المقيد ولا يمكن للإنسان أن يعتقد العلو المقيد قبل أن يعتقد بالعلو الذاتي العلو المطلق الذي هو فيه اتفاق بين العلماء العلو المطلق هو علو الذات وهذا قبل أن يخلق الخلق وقبل أن يخلق العرش فهو علي بذاته سبحانه جل في علاه علي في قهره علي في شأنه سبحانه جل في علاه قال الله تعالى (رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره) قال رفيع الدرجات فعلوا الذات

قال الله تعالى (رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره) هذا علو الشأن علو الشأن سبحانه جل في علاه وهذا لا يختلف عليه أحد من الطوائف

وأيضاً علو القهر والقوة والجبروت لا يختلف عليه أحد كما قال الله تعالى

(هو القادر على ان يبعث عليكم عذاباً من فوقكم) وقول الله جل وعلا

(وهو القاهر فوق عباده) فهذا العلو المطلق كما قلنا يعني اتفق عليه الطوائف جميعاً

أما العلو المقيد : وهو العلو على العرش وهو الاستواء كما قال مصنفنا الإمام ا

لعلم الإمام المزني (عالٍ على عرشه) هذا قد ثبت بالكتاب وثبت بالسنة وجود العرش والعرش من أعظم المخلوقات لكن هو أعظم المخلوقات والخلاف بين العلماء هل هو العلو وان الإستواء فيه المعلوم أنه العلو علا وارتقى وقد قال علمائنا الإستواء يأتي في اللغة بمعاني ثلاثة

والآيات كما قلنا الآيات قد أثبتت إستواء الله جل في علاه (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء) وأيضاً قال الله تعالى

(الرحمن على العرس استوى)

(ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)

الاستواء يأتي بمعاني ثلاثة يتعدى بنفسه ويتعدى حسب الآلة التي يتعدى بها حسب الاداة التي يتعدى بها

قال الله جل في علاه (الرحمن على العرش استوى) فاستوى بمعنى علا وارتقى سبحانه وتعالى استوى نضج

تقول (بلغ أشده واستوى) واستوى يعني بلغ مبلغ الرجال العقلاء النبلاء الناضج العاقل الرشيد ويتعدى بالي ويتعدى بعلو اذاً هو يتعدى ويكون هنا التعدي بنفسه يكون قد بلغ المنتهى لو تكلمت عن الطعام تقول الطعام استوى يعني الطعام نضج بلغ منتهاه في النضج ونقول فلان استوى استوى على عوده استوى تقول استوى يعني بلغ أشده كما قال الله تعالى (بلغ أشده واستوى)

(استوى على سوقه يعجب الزراعة ليغيظ بهم الكفار) بلغ المنتهى ويتعدى بالي والتعدي بالي معناه القصد وهذا قاله البيهقي في كتاب الأسماء والصفات

(هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات) يعني قصد السماء فخلقها سبع سموات الله تعالى (فقال لها وللارض انتيا طوعاً او كرها قالتا اتينا طائعين) فهنا إذا كان الاستواء يتعدى بالي يكون معناه القصد وإذا تعدى هذا الفعل بعلو وهذا قول أهل اللغة إذا تعدى بعلو معناها على وارتفع قال تعالى

(الرحمن على العرش استوى) يعني علا على العرش وارتفع فالاستواء هنا في اللغة معلوم

أصل الإيمان لهذه الصفات العظيمة هو أننا نؤمن بها على غرار ما أسسه مالك وقد روي عن أم سلمة موقوفاً بل وجاء عن أم سلمة عن النبي مرفوعاً في هذا الباب فهذه تجربها على كل صفة من الصفات الاستواء في اللغة معلوم والكيف مجهول ما قال معدوم لأنه لا يمكن عند العقلاء وعند أهل اللغة أن توجد صفة بدون كيفية هذا غير وارد ولا حتى في الذهن ولا حتى الأذهان والصفة لا بد للصفة ان تكون لها كيفية لا بد ان تكون لها كيفية فهذه الصفة لها كيفية لكن كيف هذا بالنسبة لنا غيب والأصل ان المؤمنين الله رفعهم ورفع شأنهم بالتسليم التام عند الغيوب قال الله تعالى

(يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة) والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة يبقى الاستواء لله كيفية نعم هو علو لكن ما كَيْفِيَّتُهُ؟ انت لم ترى الله ولم يخبرك أحد رأى الله عن كَيْفِيَّتِهِ فهو غيبٌ عنك فوجب عليك التسليم إن كنت

مؤمناً حقاً فإنك تسلم وعندك ادوات وسبل كثيرة للتسليم قال الله تعالى مبيناً ان هذه حال المؤمن في هذا الباب أنه يسلم (إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين) والله جل وعلا إذا قال صدق وإذا وعد وفى وأوفى قال الله تعالى (ومن أصدق من الله قيلاً)

(ومن أصدق من الله حديثاً) إن الله أخبر عن نفسه أنه استوى على العرش إذاً هو علا ولكن كيف هذا العلو نقول كيف موجود موجود لكنه عنا غائب مجهول فعلياً وما علينا إلا أن نؤمن به

ولذلك الإمام مالك لما قال له يا إمام الاستواء معلوم في اللغة يعني الاستواء معلوم فكيف استوى فقال له الإمام مالك الاستواء في اللغة معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعاً فأخرج وهذا الذي لا بد أن نقول في أول الاعتقاد بأننا نعتقد بهذه الصفات على وجود الكيفية وأن الكيفية غيبٌ عنا وجب علينا التسليم لها

والأمر الثاني وهذا للرد على المعطلة والأمر الثاني للرد على المشبهة ونقول ونحن حينما نصف الله جل وعلا بصفة أثبتنا لنفسه لا يمكن أن يقارب ذهن أنها تشابه صفات المخلوقين لأن الله جل في علاه أثبت لنفسه سمعاً وبصراً وأثبت لخلقه سمعاً وبصراً ثم فرق بين سمعه وبصره وبين سمع البشر وبصر البشر عندما قال الله جل في علاه (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً)

وقال الله تعالى (ان الله كان سميعاً بصيراً) (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) أثبت سمعاً وبصراً لكنه لا يمكن ان يكون السمع والبصر كالسمع والبصر فهو فرقٌ كما أن الذات لا تساوي ولا تشابه الذات فالصفات لا تشابه الصفات فصفات الله جل وعلا تليق بجلاله وكماله وعزته وقوته وجبروته. وأما صفات العبد فتليق بعجزه ونقصه وضعفه

قال إذا الاستواء في اللغة معلوم والكيف مجهول سبحانه جل في علاه والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة. عقيدتنا في الاستواء في هذا الباب كما قلنا ان نضعها تحت إطار قول الله جل في علاه

(ليس كمثله شيء.) ليس كمثله شيء (وهو السميع البصير) هو لما قال ليس كمثله شيء لم ينفي نفياً مطلقاً نفى المثلية مع إثبات الصفة

وعلو الله جل

في علاه ثبت بالكتاب والسنة وإجماع أهل السنة بل وبالعقل لما نقول بالعقل أنت لا بد أن تفهم أن هناك صفات يثبتها العقل وصفات لا يمكن ان يدخل فيها العقل ما الصفات التي لا يمكن ان يدخل فيها العقل فيثبتها يعني صفات الله جل في علاه لا بد ان تعلم صفات الله من صفات الله ما يثبتها العقل ومن صفات الله لا يثبتها العقل

الصفات الخبرية لا يمكن ان يثبتها العقل بحال من الأحوال الصفات الخبرية لا يمكن للإنسان أن يثبتها الله جل في علاه والأهم ويعلم أنها ثابتة لله جل في علاه ويعلم أنها لم تثبت لله جل في علاه عقلاً بحال من الأحوال من يعرف أن العين تكون كملاً أو اليد أو الساق أو الأنامل أو الأصابع أو الرجل أو القدم فهذه الصفات لا يمكن أن تكون أن تثبت لله بالعقل لكن هنا العلو ثبت لله بالكتاب قال الله تعالى (وهو العلي الكبير) (الكبير المتعال) كما قلنا بأن أسماء الله كلها حسنى فُعلًا لأنها تتضمن صفات كمال وتستلزم صفات أخرى كمال فإذا العلي اسم من أسماء الله جل في علاه يتضمن صفات كمال وجلال وبهاء وعظمة هي صفة العلو والعلو هنا يقصد به العلو المطلق (وهو الكبير المتعال) أيضاً يكون المطلق والمقيد في هذا الباب وهناك تصريح على الاستواء والعلو كما قال الله تعالى (الرحمن على العرش استوى) وقال تعالى (هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش) فهنا الاستواء جاء بعد خلق السماوات والأرض وخلق العرش

قال الله تعالى (إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش) وأيضاً

قال الله تعالى في سورة أخرى قال

(وكان عرشه على الماء) هذه فيها دلالة بالتصريح على خلق العرش وأن الله لما خلق العرش على عليه استوى عليه وان هذا العرش على الماء كما قال ابن مسعود ما يكون من السماء مسيرة كذا قال ما بين السماء السابعة والماء مسيرة كذا والعرش فوق الماء والله فوق العرش ويعلم ما أنتم عليه نعم الجميع رجعوا إلى السنة وحضيرة السنة وأيضاً من الدلالات العظيمة على علو الله جل في علاه التصريح بالفوقية ان الله جل وعلا يصرح بالفوقية تدل على العلو قال الله تعالى (أمنت من في السماء) وفي هنا بمعنى على هم يعتوران الادوات يعني يعتوران في هنا بمعنى على والدلال على ذلك قال الله جل في علاه (أمنت من في السماء)

ما الدلالة هنا أن في هنا بمعنى على؟ أنا أتى بنظيره عندما قال (فامشوا في مناكبها) لا يمكن أن يفتح الأرض (في جذوع النخل) يعني على جذوع انا اريد السياق في قول (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا) في هنا بمعنى على أمنتم من على السماء وش القرينة التي أثبتت أن في هنا بمعنى على

نعم حديث ابن مسعود هو القرينة الصارفة هنا في قوله (والله فوق العرش) نعم والله فوق العرش ويعلم ما أنتم عليه قال (والله فوق العرش) لأن فوق السماء السابعة ماءً وفوق الماء العرش والله فوق العرش نعم هو حديث ابن مسعود هو أقوى الأحاديث في هذا الباب نعم والقرية أيضا يرسل يرسلكم من أعلى نحن نتكلم على في السماء لا تظله ولا تقله سبحانه جل في علاه والله لا يحيط به شيء ولذلك نحن نقول الأصل في ذلك من الأثر هو حديث ابن مسعود قال (والعرش فوق الماء والله فوق العرش) فدل ذلك على أن في هنا بمعنى على ومن ذلك أيضاً التصريح بالعندية والتصريح بالفوقية قال الله تعالى

(وهو القاهر فوق عباده) وهو القاهر فوق عباده وأيضاً في قول الله جل في علاه عن الملائكة قال (يخافون ربهم من فوقهم) وهؤلاء الملائكة في السماء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (أن من الملائكة من يدخل البيت المعمور يطوف به ويخرج لا يرجع إليه إلى يوم الدين)

ومن ذلك التصريح بالعندية التصريح بالعندية أيضاً دلالة على العلو لأنه قال عنده يعني عنده فوق العرش كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (كتب الله كتاباً هو عنده فوق العرش) رحمتي غلبت غضبي) كما قال الله تعالى (ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون) فالعندية تدل على العلو والفوقية وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله كتب كتاباً عنده إن رحمتي سبقت غضبي)

ومن ذلك أيضاً ما تراه من التصريح بالعروج والرفع فالعروج والرفع لا يكون إلا في علو أو للعلو أو النزول والنزول لا يكون إلا من علو كما قال الله تعالى (تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ولقول النبي صلى الله عليه وسلم (يرفع القسط ويخفضه) وقول النبي صلى الله عليه وسلم (يتعاقب ن فيكم ملائكة فيعرج الذين باتوا فيكم) وحديث المجالس

(إن لله ملائكة يسبحون في الأرض ينظرون إلى خلق الذكر وخلق العلم. فيلتقون حول المجالس فيخلقون حلقاتاً ويكتبون الأسماء ويعرجون بها إلى الله جل وعلا فيسألهم وهو أعلم بهم فيقولوا هؤلاء القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم)

نعم والنزول أيضاً كما قلنا النزول يدل على العلو لأنه لا نزول إلا من علو كما قال الله تعالى (لكن الله يشهد بما أنزل إلي

ك أنزله بعلمه) (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده) والتنزيل لا يكون إلا من علو وهذه دلالة على الرد على الأشاعرة الذين يرون بأنه لا علو إلا علو الذات إلا علو الشأن وعلو القهر ونحن معهم إن شاء الله نبين ونفند ضلالات ما هم فيه في الكلام على الاستواء وأنهم أولوه بدعة على الاستيلاء وقد قال الله تعالى (لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه)

وقال الله تعالى (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده) التنزيل لا يكون إلا من علو قال الله تعالى (تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) والسنة كثير فيها لا سيما حديث الجارية عندما صفعها معاوية ابن الحكم السلمي وأرد عتقها فقال النبي صلى الله عليه وسلم انتيني بها فقال أين الله؟ قالت في السماء وأشارت باصبعها إلى السماء وإذا ان الله جل وعلا فوق العرش سبحانه جل في علاه والنبي صلى الله عليه وسلم (في حجة الوداع خطب الناس وقال هل بلغت؟ قالوا اللهم نعم. فأخذ يشير باصبعه إلى السماء وإليهم ويقول اللهم فاشهد اللهم فاشهد. وأجمعت الأمة واجمع الصحابة الكرام

أن الله تعالى فوق عرشه عالٍ بائن من خلقه وهو يعلم ما أنتم عليه أبو بكر لما كان في بالسُّنح وقيل له أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات جاء مسرعاً ولما جاء وجد عمر بن الخطاب يأخذ بسيفه يشهره فدخل وقال إليك عني فقبل بين عيني النبي صلى الله عليه وسلم وقال (بأبي أنت وأمي يا رسول الله طبت حياً وميتاً ثم خرج يسكت عمر فلا يسكت فقرأ عليهم قول الله جل في علاه

(وما محمد إلا رسوله قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) ثم قال أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات. ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت)

ان الله في السماء حي لا يموت وكذلك عمر رضي الله عنه وأرضاه قال عن خولة (هذه التي سمع الله شكايتها من فوق سبع سموات.) إجماع الصحابة أجمع الصحابة على علو الله جل في علاه

ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل عليه رجل في الاستسقاء فقال هلكت الأموال وجاع العيال فرفع يديه إلى السماء إلى السماء رفع مadaً يده إلى السماء وقال (اللهم اسقنا اللهم اسقنا اللهم اسقنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا فجات قزعة سحابة فأظلتهم فما زالت تمطر حتى الأسبوع الذي جاء بعده) وعائشة رضي الله عنها وأرضاهما عندما قالت (سبحان الذي وسع سمعه كل الأصوات المرأة تشتكي فيخفى علي بعض حديثها قالت فأنزل الله والإنزال لا يكون إلا من علو

ولذلك ابن عباس لما دخل عليها يرجيها في ربهما قال لها أبشري أنت حبيبة النبي صلى الله عليه وسلم أنت زوجة النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا وفي الآخرة أنزل الله براءتك من فوق سبع سموات قال أنت التي برأك الله من فوق سبع سموات قالت إلبك عني)

ولما حاصر النبي صلى الله عليه وسلم بني قريظة فنزلوا على حكم سعد بن معاذ فقال متأدياً قال لهم اترضون بحكمي؟ قالوا نعم وهو كان له رضاع فيهم ثم أشار إلى المكان الذي فيه النبي اترضون ولا ينظر أدباً قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم فحكم بقتل مقاتلة وسبي الذاري وأخذ الغنائم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سنوات)

وابن عباس كان يقول (الكون كله في كف الرحمن كحبة خردل في يد أحدكم ما بين الأرض ويقول ما بين الأرض والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام. وبين كل سماء وأخرى مسيرة خمسمائة عام وفوق ذلك الكرسي وفوق الكرسي العرش وفوق العرش الله ولا يخفى عليه منكم شيء.)

فكلهم كما قلنا يقررون بعلو الله جل في علاه وأن الله معكم حيث ما كنتم بعلمه أحاط بعلمه كل شيء مع وجود علو الله جل في علاه

وابو حنيفة لما سئل أين الله؟ قال الله فوق السماء فوق العرش والعرش فوق السماء ولذلك قال ابو حنيفة ان الله فوق السماء ولا يعلم من قال ان الله فوق السماء ولا يعلم ما عليه العباد فهو كافر) وهذا دلالة أنهم كانوا يعتقدون جميعاً أئمتنا الفضلاء النبلاء يعتقدون مع علو الله أن الله أحاط بكل شيء علماً

ولذلك قال الإمام مالك (إن الله فوق عرشه ولا يخفى عليه شيء من عبادته) وهذا مفاده كلام ابن مسعود وكلام ابن عباس رضي الله عن جميعاً

والإمام الشافعي قال أن الاعتقاد السليم الذي عليه الأئمة النبلاء والعلماء هو ان الله فوق عرشه بائن من خلقه)

ولذلك قال الإمام احمد عندما سئل ما رأيك فيمن يقول ان الله ليس فوق العرش قال يكفر) واحنا عندنا الأشاعرة يقولون الله في كل مكان والصوفية يقولون الله في كل مكان وهذه لا أشك ولا ريب ان هذه الكلمة كلمة كفرية ان هذه الكلمة كلمة كفرية وان شاء الله سنفند قولهم والرد عليهم في هذا الباب هذا كله كما قلنا فيه بيان إلى إجماع الصحابة ومن جاء بعدهم من العلماء على مسألة الاستواء والاقرار بعلو الله جل في علاه. ولذلك احمد لما قيل له (ما رأيك في من يقول ان الله ليس فوق العرش؟ يعني في كل مكان قال يكفر يكفر والعقل والفطرة تؤيدان علو الله جل في علاه

فالعقل فيه إثبات الكمال لله جل في علاه والعلو كمال العلو كمال أنت لما تجد رجلاً عالي الهمة رجل رفيع المقام له وجاهه بين للناس عالياً تقول هذا كمال فيه فإن كان هذا كمال في العبد فإن يكون في الرب من باب أولى فالعقل يقر بأن العلو كمال ليس بعده كمال

وأيضاً دلالات الفطرة تثبت العلو الفطرة السليمة تثبت علو الله جل في علاه وكيف ذاك؟ الحق ان نقول الآن ما أصاب امرء مصابٍ إلا ووجدته يذهب سريعاً يرفع يديه إلى السماء ما وجدت مبتلاً ما وجدت مضغوطاً ما وجدت راجياً إلا وعينه إلى السماء ووجهه إلى السماء وهذا الذي حج به الأعربي الجويني عندما قال يا إمام دعنا مما تقول الآن ماذا تفعل بأننا إذا أردنا الدعاء لله جل في علاه ولا نرى قلوبنا تهفو إلى السماء فالفطرة (فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) ففطرهم الله جل في علاه على ربوبيته وعلى علوه وعلى الاهيته فإثبات العلو أيضاً بالفطرة. هذا بالنسبة لهذا العلو في قول المصنف

(عالٍ على عرشه) والحق ان العبد أنا هذا الذي أردته منكم الثمرة الأخيرة قبل أن نتكلم

على مسائل الرد على الأشاعرة الرد على الجهمية الذين يعطلون هذه الصفات لكن اختتم (.) بائن من خلقه على عرشه بائن من خلقه ويعلم ما هم عليه هذا علو

هذا علو وحده وارتقاء حسن الاعتقاد في رب العباد علو

ثم يحاول هنا من يقول بالعلو يقول واذاً لا نتسلى هذه الصفات وان أثبتناها علمياً وجب أن تترجم عملياً لا سيما وأن الله يحب أن يرى آثار صفاته على خلقه

من أعظم ما يكون تعبداً لهذه الصفة العظيمة هي العلو والارتقاء في جميع المجالات علو الهمة يعني ان الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها ترى الرجل له همة تحيط تعلو به الى السماء ابدانه لا يمكن ان تفي له ما يهتم به وما له من همة ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما نظر إلى سلمان الفارسي قال لو كان الدين في الثريا لبلغه أناس من هؤلاء لأن سلمان الفارسي قطع الفيافي والفقر يريد الحق ويريد النبي حتى بلغه. ادام الطرق جداً حتى بلغه وكان آية من آيات الله جل في علاه في الوصول إلى الحق. فهمة أعلى وأرقى من السحاب فمن هذه الهمة هو التنافس في الخيرات من تعلم صفة علو الله جل في علاه لا تجده حريصاً على الركون والمكوث في مكانه بل لا يحب أن احداً يسبقه ولا ينظر إلى احده يسبقه بحال من الأحوال والسبق في ذلك سبقٌ حقا يعني الله تعالى يوفق صاحب الهمة العالية إلى ان يسبق إلى السموات يسبق إلى الخيرات وقد قال الله جل و علا (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) فمن تعبد لله حقاً بصفة العلو لا تجده يقر قراره ولا تجده راضياً بحال من الأحوال ولا تجده يعني خاملاً بحال من الأحوال ولا تجده نائماً على سباتٍ عميق بل ما تجده إلا مؤزقاً ما تجده إلا متحركاً فيتنافس في الخيرات كما فعل ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قام عبدالله ابن عمر ابن العاص لما قال النبي صلى الله عليه وسلم يدخل علينا رجل من أهل الجنة (.) تسبيحاً يرى منه ذلك فيتنافس معه على الخيرات لقول الله تعالى(وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) أرايت الهمة أرقى ما تكون

هذا رببعة ابن كعب الاسلمي عندما قدم الوضوء للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قال رببعة بعد ما قدمه وكان نبي كريباً جواداً بأبي هو وأمي قال له سلمي يريد ليشكر العطاء قال سلمي قال أسألك مرافقتك في الجنة أنظر أول ما ضرب ضرب في علو قال أسألك مرافقتك في الجنة قال او غير ذلك قال هو ذاك قال فأعني على نفسك بكثرة السجود نعم ورب العزة اذا غمرت بشرٍ مروم فلا تقنع بما دون النجوم بل فوقها بالمعالي الله اكبر والله الحمد ولذلك ابن مسعود لما قام يصلي دعاؤه فيه دلالة على علو همته التي لا يبلغها شيء لما قام يصلي نظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستوقفته قرأته في الليل وكان يترك الصيام من أجل القيام. ثم سمعه النبي صلى الله عليه وسلم يدعوا فقال سل ابن مسعود او قال سل ابن ام عبد تجب سل تجب سل تجب وبشره ابو بكر بذلك علو همة أيضاً في بشارة المؤمن لكن شوقوا انظر الى علو همة ابن مسعود ماذا كان يقول(اللهم اني اسألك إيماناً لا يرتد ونعيماً لا ينفد ومرافقة النبي محمد في جنة الخلد) اللهم اني اسألك إيماناً لا يرتد ونعيماً لا ينفد ومرافقة بنيك محمد في جنة الخلد

انظر إلى عثمان ابن عفان رضي الله عنه وأرضاه صاحب الهمة الراقية عندما يقول النبي صلى الله عليه وسلم ويستنهض الهمم للنفقة جهاز الخيول كم وكم جهازهم باحلاسهم ثم بعد ذلك أخذ الذهب والفضة فالقاها بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم حتى تعجب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم عثمان بن عفان أيضاً لترى همته الراقية لتعلم أين أنت من هؤلاء أنزل الله فيه قرآناً يتلى إلى يوم الدين لهمته الراقية قال (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) أنظر إلى الهمة انه كان يختم القرآن في ليلةٍ واحد ليلةٍ واحدة في ركعةٍ واحدة يختم فيها القرآن قائماً يناجي ربه سبحانه جل في علاه

عمر ابن الخطاب يتنافس مع ابي بكر الصديق ويقول اليوم اسبقه لكن قدراً سبق ابو بكر بمراحل لذلك قال أنت لا تنافس لا أنافسك وما ترى همة عمر لا تخبو فإن النبي لما قال لا عطين الراية غدا رجل يحبه الله ورسوله عمر ابن الخطاب تمنى ان يكون أميراً في هذه الراية وقال والله ما لي بغية في الإمارة إلا في هذه الليلة لان النبي قال يحب الله ورسوله وهنا شهادة من النبي ويحبه الله ورسوله يجتبي من الرب العلي سبحانه وجل في ولذلك تمنى ان يكون من هؤلاء ايضاً انت ترى بان الله جل و علا جعل بعض اصحاب الهمم الراقية من الورع والالتقان والتقوى في العبادة أنهم يدخلون الجنة في أول وهلة كمثال القمر ليلة البدر. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (سبعون ألف يدخلون الجنة كمثال القمر ليلة البدر لا يدخل أولهم إلا ويأخذ بيد آخرهم فيدخل. يعني يدخلون كأنهم لا يدخلون تباعا جميعاً يدخلون جميعاً يدخلون سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا سابقة عذاب حتى قال ع

كاشة ابن محصن انه يحبه الله ورسوله على علي بن أبي طالب انه حمل باباً لا يحمله إلا ثلاثون حمل باباً ما يحمل إلا من ثلاثين رجلاً حمله وفتح الله عليه همم كالجبال همم كالجبال تعبد الله جل في علاه بعلو القهر ننظر كيف فعل الله تعالى بالطغاة الكفرة الفجر كيف أملهم كيف أن الله جل في علاه قد عاقبهم بعلو قهره وجبروته هذا يأتي ان شاء الله في الدرس القادم مع الرد على هؤلاء أصحاب المخانيث المعتزلة سماهم ابن القيم مخانيث كالجهمية واصحاب السنة الذين هم من متكلمي أهل السنة الأشاعرة هدايا الله وإياهم لكل خير وبر

سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك

وقفنا عند قول المصنف رحمه الله تعالى {عالي على عرشه} يتكلم عن صفات ربه جل في علاه عالي وهو داني بعلمه من خلقه أحاط علمه بالأمور كما قال الله تعالى {يعلم خائنة الأعين ما تخفي الصدور}

قال {عالي على عرشه} لأن هذه الصفة ثبتت لله بالكتاب والسنة وإجماع أهل السنة على ما سردنا من الأدلة وقفنا عند التعبد بهذه الصفة التعبد بالاعتقاد بهذه الصفة قلنا بأنه لو اعتقد علو الله جل في علاه اعتقاده بعلو ربه جل في علاه ويتعبد به ويعلم أن الله جل في علاه له العلو المطلق ويحب الله جل وعلا معالي الأمور يعلم بأن الله له العلو المطلق ويحب معالي الأمور ويبين ذلك في أثر هذا في عبادة المكلف إن كان يتعبد الله بهذه الصفة العظيمة بأن الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها وهذا من العلو يصبر علو الهمة والارتقاء في جميع المجالات وضربنا على ذلك أمثلة كثيرة فإن قلنا لله علو علو الشأن وعلو القهر فالتعبد لله جل وعلا بهذه الصفة العظيمة صفة العلو علو القهر فتراه شامخاً عزيزاً في وجه الكفر ولا ينحني ولا ينكسر بوجه المنافقين ولا الكافرين ولا الفاسقين كما فعل الأولون رضي الله عنهم وأرضاهم وتراهم عندما يتكلمون يتكلمون بعزة الإسلام يعلمون أن الله يقهر عدوهم ويعلمون أن الغلبة لا تكون إلا لله جل في علاه. لذلك كانوا يتكلمون بكل قوة وكل شموخ وعزة (ايبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً) فلا عزيز إلا من كان مؤمناً عزيزاً بربه جل في علاه وهذا الاعتقاد اعتقاد علو علو القهر لا يخشى شيئاً ويستشعر بأن الدنيا بأسرها لو تكالبت عليه فالله فوقهم كما قال الله جل في علاه (وهو القاهر فوق عباده)

ولذلك قال الله تعالى (ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور * أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً) ولو نظرت إلى علو القهر

أولاً القهر الأصيل قهر القلوب فالقلوب لا يتحكم فيها إلا الله جل في علاه ولا يقهرها إلا الله جل في علاه وهذه أعظم ما يملك الإنسان القلب والقلب محل الإيمان فهو محل النجاة ومحل الهلاك (إلا من أتى الله بقلب سليم) فهنا في الاعتقاد في صفات القهر بأن الله قهر عباده قهر قلوبهم ولذلك قال الله تعالى (إن الله يحول بين المرء وقلبه) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (القلوب بين أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء) فقهر القلوب وقهر الأبدان قهر الطغاة قهر الكفرة أرايت ما فعل الله جل وعلا بفرعون (حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل) كبيراً أيضاً وأهلك الله النمرود وأهلك أبا جهل وأهلك أبا لهب فابو جهل الله جل وعلا سلط عليه شابين يافعين معوذ ومعاذ اختلفا فيه في الضرب فاسقطاه حتى على صدره ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه لما قال له يا ربيع الغنم ارتقيت مرتقياً صعباً لمن الغلبة قال لما يسوءك الغلبة لله ولرسوله قال ما أنا إلا رجل من قوم فخذ رأسه فهذا علوه الآن علو القهر من اعتقد ذلك اطمأن قلبه من اعتقد ذلك مال قلبه لربه من اعتقد ذلك لا يعطي الدنية في دينه اللهم ان الثبات منك اللهم ان الثبات منك وعند الاعتقاد بذلك يعلم أن الغلبة لله جل في علاه (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وإن جعل الأيام تتداول كما قال الله جل في علاه (وتلك الأيام نداولها بين الناس) ولكن داولها الله جل في علاه (ليميز الخبيث من الطيب فيجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم) وإذا علم بأن القهر بيد الله جل في علاه فإن الله جل في علاه لا يتعاضد عليه شيء فإن كان المرء يعتقد بذلك امتلاً قلبه يقيناً بربه والله هذه الدنيا أقسم بربي لا نعيش فيها إلا باعتقاد ولا يمكن لنا النجاة مما يحيطنا من أخطار إلا باعتقاد ولا يمكن لنا راحة إلا باعتقاد لأن المرء اما بالنسبة لحق ربه فقد قصر فيه. وأما بالنسبة للتعدي فقد تجاوز في حدود الله جل في علاه. وأما البشر فحدث ولا حرج وكثير من الناس قد يأتون على الإسلام لا مع الإسلام إلا من رحم الله جل في علاه. فهو يعتقد بعلو الله جل في علاه بعلو القهر (ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور) ولذلك الله عاقبهم فخسف بقريّة كاملة وأمطر عليها حجارة من سجيل هيك على القرى التي أهلكها الله جل في علاه قرى الأنبياء وإذا قلنا بأن الاعتقاد في العلو طلب المعالي فأعظم طلب المعالي هو علو الإنسان بحسن خلقه فمعالي الأمور حسن الخلق أعظم معالي الأمور حسن الخلق من بذل الندى وأن يهش ويهش في وجه إخوانه والجود والكرم والعفو عن ظلم والسعي في قضاء الحاجات وسد الخلات والصلح بين المؤمنين والمؤمنات هذي من أعلى درجات حسن الخلق الذي فيه ترجمة الاعتقاد بعلو الله جل في علاه لأنه يقول إذا إلى المعالي في كل شيء أعظمها وأساسها وأساسها الخلق (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) لأن يكون جواداً كريماً خلقاً وعطاءً في المال يعني أن يكون جواداً كريماً معطاءً في المال وأيضاً في الخلق في

التعامل(وعاشروهن بالمعروف) وأن يكون ذا تواضع فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان من المتواضعين بل هو سيد المتواضعين والنبي صلى الله عليه وسلم عندما خير بين أن يكون ملكاً نبياً أو عبداً رسولاً جاء جبريل أن تواضع فتواضع وقال عبد رسولاً وكانت الجارية تأخذ بيده فيذهب معها حيثما أرادت هذا حسن التواضع

ولما ارتعدت فرائس الرجل ووقف أمامه وهو يأكل قال اجلس إنما أنا ابن امرأة من أهل مكة كانت تأكل كذا فقال اجلس فأجلسه بجانبه

ومن علو الإنسان ان يعلو على الغضب أن يتعالى على الغضب فيعجزا عن ظلمه قال الله تعالى(فمن عفا وأصلح فأجره على الله) إذ باب العطاء لا حد له ولا تصور ففيها العفو عن ظلم قال (.) سؤلين ثم قال(ما زاد عبدٌ بتواضعه إلا عزاً) والسعي في قضاء الحاجات كما قال النبي صلى الله عليه وسلم قال(ليس الكذاب من ينوي خيراً) وقد قال الله جل في علاه (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاح بين الناس) وقد قال(لأن أقضي أو أمشي في حاجة أخي خير لي من اعتكاف شهر في هذا المسجد) هذا بعض الننف في حسن التعبد لله جل وعلا بهذه الصفة العظيمة

يبقى لنا أن قول بأن الإستواء على العرش لا يتنافى مع قرب الله من العباد الإستواء من العرش لا يتنافى مع قرب الله من عباده يبقى لنا مسألة الاستواء وبين قربه هل يتنافى إستواء العرش مع قربه من عباده أريد تفصيلاً في هذه المسألة بس رؤوس المسألة منكم قريب بسمعه وبصره وعلمه واحاطته هذا كلامٌ

قريبٌ من كلام السلف الصالح عندما فسروا قول الله جل في علاه (وهو معكم أينما كنتم) يعني أحاط بكم علماً فهو فوق العرش وعلمه في كل مكان كما قال مالك وغيره قد يكون التأصيل على غير ذلك

اولاً أنا سأجعلكم تتصوروا وبعد ذلك تجيبون التأصيل الثاني ابن عباس يقول (الكون كله في كف الرحمن كحبة خردل في يد أحدكم) انا اريد هذه الجزئية وهو (عليّ في قربه) اريد هذه الجزئية أولاً نستطيع ان نقول القرب من الله جل في علاه القرب يكون قريباً خاصاً وهذا القرب قرب من المؤمنين والكون كله في يده كحبة خردل في يد أحدكم

ولأن الله قال (إن رحمة الله قريبٌ من المحسنين) فلذلك قلنا هذا قربٌ خاص بالمؤمنين ليس لغيرهم فلا تنافي بين الاستواء وبين القرب لأن الكون كله في يد الله كحبة خردل في يد أحدكم

والقرب قربان عام وقربٌ خاص والمقصود هنا بالقرب الخاص الخاص بأهل الإيمان أهل البدع والضلالات تكلموا على مسألة العلو وانكروه أصحاب الفلاسفة قالوا بالاتحاد والحلول والأشاعرة تعلمون أن الأشاعرة ليس لهم إلا التأويل التحريف يعني لذلك حرفوا قول الله جل في علاه (الرحمن على العرش استوى) قالوا استولى واستولى وهذه مصيبة يعني غلب ثم غلب أعوذ بالله من غضب الله قال الله تعالى(قل لو كان معه الله كما يقولون اذاً لايتنوا إلى ذي العرش سبيلا)

وأصحاب التعطيل والإتحاد والحلول طبعاً من طبقات الصوفية يقولون بالاتحاد بالامتزاج وهم يتمسكون بقول الله جل وعلا (وهو معكم) ومعكم أينما كنتم) ويستدلون طبعاً بقوله جل في علاه (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمس إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا) وأيضاً بقوله(وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله) كل ذلك الحق أنه لا يشفع لهم وليست الشبه في هذا الباب الآيات بأسرها وهي قوله (وهو معكم أينما كنتم) أجمع السلف على ان المعنى هو معكم بعلمه كما قال مالك (والله فوق العرش وعلمه في كل مكان) وأما ما يتمسكون به من(ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم) الآية ابتدأت بالعلم وختمها الله جل وعلا بالعلم والسياق مفسر في هذا الباب واذا قلنا المحكم وهذا هو أصل الأصول لفهم هذه المسألة المحكم (ان الله فوق عرشه بآن من خلقه لا يعلم أحد كنه صفاته) وأما الاستدلال بقوله

(وهو الله في السماوات وفي الارض يعلم سرهم وجهركم) من وجهين

(وهو الله في السموات) قف لزماً (وفي الأرض يعلم سرهم وجهركم) (وهو الله في السماوات والأرض) يعني المعبود في السماوات كما هو المعبود في الأرض

إذاً تبقى هذه على ذلك وأنا خففت الرد على أهل البدع من أجل أن نركز أكثر في مسألة حسن التعبد لله جل وعلا بهذه الصفة

ثم ذكر بعد ذلك صفة العلم ذكر المزماني بعد ذلك صفة العلم بقوله(عالٍ على عرشه وهو دان بعلمه من خلقه يعني هو قريب بعلمه من خلقه أحاط علمه بالأمور وانفذ في خلقه سابق المقدر. وقال(يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) فهذه دلالة على أنه قال

(دان يعلمه) دلالة على أنه قد وصف ربه جل في علاه بالعلم وإن العلم قد أحاط بكل شيء (وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً) سبحانه جل في علاه فصفة العلم جاءت بها الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة بل والعلم أيضاً في ذلك أما الكتاب فقد قال الله تعالى (إن الله كان علماً حكيماً) (إن الله كان علماً خبيراً) وهنا قلنا أن هذه الأسماء تتضمن صفات كمال علماً تتضمن صفة العلم حكيماً تتضمن صفة الح

كمة علماً بصيراً كما قال الله تعالى (إن الله كان علماً خبيراً)

والخبير هو ما علم ما خفي وقال الله تعالى (له ما في السماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى)

ولذلك قال الله تعالى (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين)

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (مفتاح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله) وهذا () هذه آية من الآيات بأن هذه الخمس لا يعلمها إلا الله جل في علاه وهذه الآية المعجزة تجعلك تفند من يقع في الكفر ومن لا يقع. وأيضاً يجعلك تتفتح وتعلم إلى أي مدى وصلت يعني علامات الساعة مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا الله (لا تدري نفس ماذا تكسب غداً) وقال (ولا تدري نفس بأي أرض تموت) ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم علم الله جل في علاه ما صائر إليه خلقه فهم صائرون إلى علمه وفي قوله (صائرون إلى علمه) معناه القدر بالسابق وكذلك أيضاً من السنة على إثبات علم الله جل في علاه الحديث (اللهم إني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تعلم ولا أعلم) وتكمل الصلاة والدعاء وأجمع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله قد أحاط بكل شيء علماً الصغير والكبير والدقيق والجليل ما من شيء إلا وقد علمه الله جل في علاه وأحاط به علماً والعقل يثبت ذلك لأن الكون بأسره ببديع خلقه بتناسقه إنما وجد بالإرادة وهذه الإرادة تستلزم العلم

إذاً العقل أيضاً يثبت صفة الكمال لأن هذا كمال كما قلنا الكون كله موجود بالإرادة والإرادة تستلزم العلم إذاً الله جل وعلا له العلم علم السر وأخفى علم الغيب صار عنده شهادة بل كل ما خفي يعلمه الله جل في علاه. (هو الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن ينتزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وإن الله قد أحاط بكل شيء علماً) لذلك قلنا إذا قلنا بإثبات صفة العلم لله جل في علاه فلا بد من إثبات شمولية هذا العلم وشمولية هذا العلم أن الله جل وعلا يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف سيكون يبقى الإشكال في قوله جل في علاه (وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) نأتي بها إن شاء الله وننظر كيف يكون التعبد لله جل وعلا بهذه الصفة العظيمة نقف عند هذا

اخوتي الكرام نسأل الله ان يرسل لنا ولكم طريق الهدى وان يثبتنا وعلى طريق الخير وأن يجعل ذلك في موازين حسناتكم ما زلنا وزادكم الله همّة وحرصاً اللهم امين ما زلنا مع شرح السن للامام المزني وقول الامام في العلو عالم على عرشه وهو دان بعلمه وقلنا عالماً على عرشه ثبت العلم او ثبتت صفة العلم لله جل وعلا وهي من الصفات الذاتية الثبوتية الذاتية بالكتاب والسنة واجماع اهل السنة والعقل والطوائف الذين عارضوا ذلك احنا قلنا العلو آسف العلو (ثم صفة العلم) العلو علو مطلق وعلو مقيد فهي صفة ذات وصفة فعل العلو المقيد هو الاستواء على العرش والعلو المطلق اتفق عليه طوائف اهل البدع علو الشأن وعلو القهر والطوائف بالنسبة..... الاستواء على العرش ثلثه طائفه انكرت كلياً انكرت العرش وانكرت الاستواء عليه وانكرت هذا العلو هو الجهميه المعطلة الذين لا يؤمنون بأفعال الله جل وعلا ولا بصفات الله جل في علاه يعبدون عدماً والطائفة الثانية هي طائفة المعتزلة وهي طبعاً أفراخ الجهميه وهو أقرب ما يكونون له في هذا الباب وطائفة اخرى ارادت ان تتوسط بين اهل السنة والجماعة وبين وبين المعتزلة المتكلمة فسموا بمتكلمي أهل السنة والجماعة وهؤلاء هم الذين بين اللهجات في علاه لنا علامات وامارتهم في هؤلاء الاشاعرة الذين يحرفون الكلم عن مواضعه هؤلاء الاشاعرة الذين..... فالسياق..... من المفسرات نعم يعني اما نقول استوى.....(غير مفهوم) هذا ظاهر جداً لانه اراد بذلك نعم الاشتلاء لان السياق مفسر لكن اصل الاستواء كما قلنا انه يتعدى بنفسه ويتعدى بالي ويتعدى يعلى والتعدي يعلى بمعنى انه علا علا وارتفع ورد عليهم بانهم الذين انكروا ذلك فقد ردوا الكتاب والسنة فان الله اثبت بإحكام حيث قال الله جل في علاه ثم استوى على العرش نعم قال وكان عرشه على الماء نعم واما التأويل الذي جاء عن الاشاعره فنقول اولاً هذا التأويل لم يرد عليه اي دليل من الكتاب او من السنة وما استندتم إليه ليس شعراً عربياً اصيلاً وحتى ولو قلنا وتنزلنا فان السياق هو الذي دل على الاستفاء لكن كل القرائن التي جاءت في والآيات التي جاءت تصرح بالاستواء ليس لها اي قرينة تصرفها الاستواء ليس لها قرينة أن تصرفها بحال الاحوال نعم انا اراجع معكم هذه المسألة لأنني لم أفل على الأشخاص الثلاثة الذين تعاملوا مع الاستواء جزاكم الله خيراً صفة العلم ثم قالوا وهو دان بعلمه من خلقه احاط علمه بالامور وانفذ في خلقه سابق المغذور طبعاً مسألة سابق المغذور هذه مسألة مهمة جداً في هذا الباب على اساس انه ارتباط القدر بالعلم ارتباط القدر بالعلم لا سيما واننا قد تكلمنا على مسألة مراتب القدر العلم نعم اذا بينا بأن صفة العلم ثابتة لله جل في علاه وهي من صفات الذات وصفة العلم ثابتة بالكتاب والسنة واجماع أهل السنة وهذا قلناه قبل ذلك يعني امس قلنا الدلة على اثبات صفة العلم يبقى لنا ان نقول فإذا قلنا بأن بصفة العلم وهي صفة الذات لا تنفك عنه بأي حال من الاحوال ولذلك لما قال فرعون لموسى فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى لا يضل ربي ولا ينسى وفيها عند اثبات صفة العلم لا بد ان من اثبات شمولية العلم واثبات صفة العلم تفيدنا جداً جداً في باقي مسائل الصفات عقدياً هذه المسألة من اتقنها اراحتة في كثير من المسائل والصفات التي فيها اشكالات ما هي المسائل التي يكون فيها الإشكال وتترى الحل والاجابة فيه باثبات صفة العلم ما هي؟ ماوله... ومثبه ممتاز لكن هذه مسألة من المسائل ممتاز القدر والاضلال والهدى فكل فعل ممتاز يعني هذه أسئلة جيدة علماً بالقدر نعم ففي علم الله طيب اذا هذه المسائل بقي لكم مسائل اخرى لكن اريد مسألة فوق هذه المسائل زيادة من حضراتكم مسألة زيادة عن هذه المسائل

اثبات بعض الصفات دون الارتجاع الى التأويل باثبات مثل هذه الصفة. كصفة التردد صفة التردد الذي يقوي عقيدتنا بأننا نصف الله بها صفة العلم. ليش؟ لان الذين ينفون صفة التردد ينقلون صفة التردد يردون اثبات صفة التردد طبعاً يردون ذلك لانهم يقولون التردد نابع عن جهل والله تعالى له الكمال المطلق واثبات الجهل نقص فلا تثبت هذه الصفة فلذلك نقول ابدتم النجعة والتردد ليس كل التردد يكون نابعاً عن جهل فانه جل في علاه شمل علمه كل شيء يعلم ماكان وما يكون وما لم يكن ولو كان كيف سيكون لذا التردد هنا بين الصالح والاصلاح وليس الامر عن جهل وهو يعلم الصالح من الاصلح لذلك اختار له الاصلح وأصلها كما في قوله صلى الله عليه وسلم: وما ترددت في شيء انا فاعله ترددي في قبض روح المؤمن يكره الموت وأكره (منسأته) هنا او الاختيار الان للاصلح فانه تعالى جل في علاه يعلم المدخل والمخرج ويعلم ما كان وما يكون وما لم يكن كيف سيكون فيكون التردد ليس عن جهل عن علم ولكن التردد أيهما يبيقي الصالح والا الاصلح عند الاختيار في هذا فيختار الله الاصلح وهذه فائدة الاستخارة ايضاً بانه يرتضي بما اختار الله له لان الله ما اختاره الا عن علم واما شمولية العلم فان الله يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف سيكون فالنبي صلى الله عليه وسلم انظر كيف اوحى الله له بعلم السابقين عندما قص على الناس قصة موسى وقصة يوسف

وقص عليهم قصة نوح وهو لم يتعلم من الكتب السابقة لو تعلم احد كان يتعلم من الكتب السابقة دلالة على (حسب) مثلاً واطلاع المسألة وحي محض المسألة وحي محض ولذلك قد اخبر بما كان كما قال الله تعالى(واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين) ويعلم ما يكون ايضاً وعندما يكون منه ما وقع منه ما لم يقع الى الآن ونحن ننتظر ذلك لنبوءة النبي صلى الله عليه وسلم ونصدق فيه لما قال النبي صلى الله عليه وسلم بين يدي الساعة يكذب بها الصادق ويصدق فيها الكاذب ويؤمن الخائن ويخون الامين وينطق الروبيضة وقالوا ما الروبيضة قال الرجل التافه يتكلم في أمر العامة وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما يكون في عصره وبعد عصره الى يوم القيامة اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان صلح الحديبية كان فتحاً وان الله جل وعلا قد اوحى للنبي صلى الله عليه وسلم (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين) لذلك شوقوا اليقين لما قال له عمر اما قلت لنا نطوف في البيت قال قلت ستطوف في البيت لكن كنت لك الآن؟ قال لا. قال اذن ستأتي وستطوف بالبيت. اخبر النبي صلى الله عليه وسلم لسراقة. قال كيف انت يا سراقة وفي ذلك سوارى كسرى وكان كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه. عندما اتو له بسوارى كسرى نظر الى سراقة وقال إلبسهما فلما لبسهما رده معروف كما روى الامام مسلم قال اما علمت ان النبي صلى الله

عليه قال كيف انت وانت تلبس سوارى كسرى ؟ قال نعم قال تلبس ما قال تملك نعم ووضعها لتكون سهما في بيت مال المسلمين وقال النبي صلى الله عليه وسلم عموماً حتى تنتبه الامة يخرج من امته دجالون ثلاثون كلهم يدعى النبوة واخبر بما سيحدث في آخر الزمان خروج الدجال وخروج يأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام نقول ذلك آخر الزمان نعم وظهور الجساس ويعلم ما لم يكن لو كان كيف سيكون. ما لم يكن لو كان كيف سيكون؟ هاتي وميلاد من المنكرات فانه جل وعلا بين انه منع طائفة من الايمان لحكمة عظيمة منع طائفه من الانقياد لحكمة بالغة وهذه ايضا في علم ما يكون وهذا يجعل الله تعالى ان فتح او اغلق هذا كما قال الله تعالى (واضله الله على علم) وقال الله تعالى (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون) حدث لهم النفرة والمعالجة في هذه الحالة تكون اشق ومن الممكن ايضا خروج المنافقين يعلم الله ما يكون منهم لذلك اوقفهم قال الله تعالى عن المنافقين (لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبلا) وقال (ولو ارادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن الله كره انبعاثهم فثبثهم وقيل اقعدوا مع القاعدين) (ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون) كل ذلك في الممكنات علم ما لم يكن لو كان كيف سيكون يعلم ما كان وما يكون ولو كان كيف سيكون من الممكنات وفيها ايضا من المستحيلات من علم ما لم يكن لو كان فيها فسيكون من المستحيلات لو كان للكون اكثر من خالق لفسدت انا في صدق الكلام على شمولية علم الله يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف سيكون عندما قال الله تعالى عن اهل الكفر واهل النار قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون.. علم ما كان وما يكون ولو كان كيف سيكون من المستحيلات وهو في قول الله تعالى ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) وقول الله تعالى يقول (لو كان معه آلهة كما يقولون اذ لا يتغوا الى الى ذي العرش سبيلا) قد شمل علم الله جل وعلا كل شيء علم الله الصالح من الطالح والمصلح من المفسد وكثيراً ما في الآيات يلفت القرآن النظر الى الى ان الله يعلم سواء كان تهديداً او بشاراً بان الله تعالى يعلم ما انتم عليه ويعلم من انتم عليه. كما قال ابن المسعود صوتي الآن كيف سلام عليكم ما اريد ابدا حتى تطمنوني طيب الحمد لله والشكر لله هنا اذا قلنا بواسع علم الله جل وعلا وشمولية علم الله جل وعلا عندنا آيات تجعلنا نقف ونلتفت قول الله جل وعلا ولنباونكم لنعلم المحاهدين منكم والصابرين) (وليعلمن الله الذين صدقوا ويعلمن الكاذبين) قال ولنبلونكم حتى نعلم شوف الغايه حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ... فماذا نفعل كيف نجيب عن هذا كيف الخروج من هذا؟ نعم قال كما قال حجر جزاه الله خيرا نعم هذا العلم هو قال ماشي اخراج معلوم الله فيهم اخراج معلوم الله فيهم ليحاسبهم على ذلك لان الله لو حاسبهم على علمه لقالوا ربنا لولا ارسلت علينا رسولا الله لنتبع اياتك من قبل ان نزل ونقدر فلما لم يكن لهم الحجة والله تعالى نفى عنهم الحجة بين الله جل في علاه انه يخرج معلومه فيهم ليحاسبهم عليه ولو حاسبهم على علمه لقالوا ربنا لو ارسلت لنا رسولا سننتبه فلذلك جعل الله الحجة عليهم بذلك اذا صفة العلم من الصفات العظيمة التي يتصف الله بها وهي صفة ذات وعلم الله شامل كل شيء لكن بالنسبة لانظار العلماء انظار الطوائف التي اختلفت مع اهل السنة الجماعة طوائف البدعة والضلالات بالنسبة للعلم هناك من انكرها كلية الاصناف التي انكروا صفة العلم هم الجهمية كما تعلمون الجهمية وافق اخوهم المعتزلة على تفصيل بينهم الجعمية عطلت هذه الصفة ولو اثبتوا الاسم قالوا عليم بلا علم الفلاسفة ايضا قريب من المعتزلة الفلاسفة قريب من المعتزلة لذل اكثرهم عقلانيون كان يقول بان الله يعلم الكلبيات لا يعلم الجزئيات يعلم الكلبيات كليات في الشأن لا الجزئيات الشيطان يتلاعب بمن يقول بذلك اذا صنف الجهمية عطلوا الصفات،

عطلوا الصفات تعطيل تاماً والمعتزلة ايضا عطلوها لكن عطلوها جزئياً لانهم قالوا بانه لا يعلم ما يكون ولكن يعلم ما كان لا يعلم ما يكون ولكن يعلم ما كان وهذا نفى لصفات الله جل في علاه طبعاً القرآن مليء مشحون بالايات الكثيرة تثبت ان الله يعلم ما يكون وبخبرنا عنه وأعظم الادلة على ذلك ذكر الله جل وعلا لاحوال اهل النار وهم بصطرخون فيها (ربنا اخرجنا فإن عدنا فإننا ظالمون) اذا المعتزلة ايضا اشتركوا مع الجهمية في النفي لكن النفي ليس مطلقا عندهم لانهم قالوا هو يعلم ما كان لكن ما يكون لا يعلمه كيف يكون رباً هذا هذا غباء منهم كيف يكون رباً الرب هو ما يعلم هو من كان واسع العلم واسع القدرة سريع المحاسبة غير ذلك لا يكون رباً كما قال الله تعالى (قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لا يتغوا الى ذي العرش سبيلا) سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا والمعتزلة ايضا يقولون بان الله لا يعلم افعال العباد حتى يفعلوها وهذا عجب والفلاسفة والمناطقه والجهمية كلهم كالجهمية وكلامهم كله صفصطه سبحانه ربي العظيم نصحننا بذلك وما انتصح احد كل هذه الاقسام الثلاثة كلها نابعة من اليهود الذين ينفون الكمال عند الله جل جلاله فالحرفات يهود في اسماء الله الحسنی وصفاته ظاهره فإنهم يصفون الله بالفقر وبالتعب والاعياء نعم ويعطلون صفة العلم فالجهمية وغيرها من اهل البدع كلها ثمرة من ثمرات الجهمية الظلال تعلمون بان صفة العلم اثبتتها الله بالكتاب نصا وبالسنة نصا من انكر علم الله فقد كفر الحكم النهائي في هذا الباب انا من انكر علم الله جل في علاه فقد كفر وهنا هنا يتبين لك في هذا الباب قول الامام الشافعي على المعتزلة قال المعتزلة القدرية قال خاصموهم في العلم فإن اثبتوه فقد فهم عقلانيون مجانبين هؤلاء عقلانيون كما قال الامام الشافعي يضربون بالنعال والجلد فصفة العلم ثابتة لله جل في علاه كما تعلم يقيناً انها ثبتت لله جل جلاله واما وهذا اجماع الامة واما الذين كفروا وانكروا الصفة أن هؤلاء من اهل الجهل الذين نفوا علم الله جل وعلا نفوا صفة من صفات الله جل وعلا قد اثبتتها الله لنفسه واثبتتها الله ورسوله واثبتتها الصحابة اجماعاً وعقلاً ايضا ثبتت هذه الصفة العظيمة نعم ونقول قد قال الله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا) هذا رد عليهم ونقول لهم صفوا ربكم بما وصف نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم هذا مدعاة المنجاة لكم واختلفوا العلماء العلماء في كفرهم وفي حكمهم لان النبي صلى الله عليه وسلم ترك عمله قال أصير

في محاربة الكفار وحاربهم فكراً أولاً وعلمهم ثم قتلهم بعد ذلك بعض العلماء يقولون ان الجهمية والقدرية الذين نفوا علم الله جل في علاه هم يكفرون والعلماء قالوا هم يكفرون من حيث نفى هذه الصفة يكفرون انهم كذبوا الله وكذبوا رسوله وكذبوا اجماع الامة كذبوا الله لان الله جل وعلا قال (ان الله كان عليماً حكيماً) وكذبوا السنة لان النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني استخبرك بعلمك واستقدرك بقدرتك استخبرك بعلمك انك تعلم الغيب اذا نفى العلم تكذيب لله جل وعلا بما اثبتته الله لنفسه وتكذيب للرسول صلى الله عليه وسلم انه اثبت لربه صفة العلم وتكذيب للأمة لأن الامة اجتمعت على أن الله يعلم ما كان وما يكون ولو كان كيف سيكون لذلك الحق ان كفرهم كفر عيني اعياناً كلهم كفره وان كان ابن تيمية كان يقول الجهمية يقول لو قلت بقولكم لكفرت ولكن انتم عندي جهال والصحيح الراجح الجهمية يكفرون بذلك تعطيل صفة العلم فيها تكذيب لله وتكذيب الرسول وتكذيب الامة الذين اجتمعوا لم يجتمعوا على ضلالة فيكفرون عينا وكفرهم العيني يكون معهم عوامهم لانهم لا يعتقدون الا بما اعتقد امامهم ولذلك الامام الشافعي يقول القدرية قال خصموهم في العلم فان أقروا فقد اعترفوا وان انكروا فقد كفروا تعلمون بان بشر المريسي كان له مناظرة مع العزيز المكي ناظره فقال انت تقول لا يجهل فتنتفي عنه الجهل. يعني انت تقول عن الله جل في علاه لا يجهل فتنتفي عنه الجهل ونفي الجهل لا يستلزم ثبوت العلم. فلا بد ان تقول هو يعلم ثم تنفي عنه بعد ذلك الجهل ثم تثبت كمال الضد وهو العلم شوفوا تدل هذه على التأصيل العام الذي تكلمنا عنه في صفات الله جل في علاه والتصوير العام هو أن في الصفات السلبية لا بد فيها من اثبات كمال الضد ادباً فالحق أن الحكم حكم الذين عطلوا صفة العلم بانهم يكفرون بذلك لكن عندي إشكال انا اريد اجابته الاشكال هنا الذي لا بد من اجابته هو اذا قلنا بانهم اذا انكروا العلم كفروا وكفروا واذا خصصوا في العلم فانكروه كفروا وان أقروا فقد خصصوا وقلنا بأن نفي صفة العلم تكذيب لله وتكذيب للرسول عندي اشكال في هذا الباب لان الرجل الذي قتل الرجل الذي عاث في الارض فساداً وقال اولادي ان انا مت فاسحقوني ثم ذروني في البحرية فلما جمعه الله جل وعلا سأله لم فعلت ذلك؟ هو قال لان قدر الله علي ليعذبني لذلك فر الرجل حتى مات فأنفذوا وصيته فيهم وهذه تدل على اشكال عندي في هذا الباب لانه لما قال الله تعالى له ما حملك على هذا قال خشيتك فهنا الرجل ضل في باب القدرة ضل في باب قدرة الله جل في علاه ومع ذلك نجاه الله جل في علاه وقلنا بأن نفي صفة من صفات الله جل في علاه تدخل صاحبها النار ويخلد فيها ما الذي حدث مع هذا الرجل من بني اسرائيل ما الذي ممكن ان نجمعه بينه وبين الاعتقاد الصادق الذي لا بد ان نعتقه بأن الله جل في علاه أحاط بكل شيء علماً (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً) كيف الحل لهذا الاشكال اريد اجابات سديده الاشكال هنا انه هو والجهمي قد اتفقا ... اتفقا في نفي ايش في نفي الصفة الاجابة عندكم انا سانتظر الاجابه اقف اقف لاني متعب جداً لحظات لا بد ان ارى الاجابات قد أتت من عندكم الاجابات الجهمي نفى ...

نفاها جحودا واما الرجل نفاها جهلا والفرق بينهما بعيد يعني انا قديما كنت بقول ان الجهمية كفار وعم كفار عين وهو ما قاله تبين تيميه ورجحه وكلام ابن حزم وابن المبارك وكلام احمد ابن حنبل وكلام ابن عيينه على ان الجهمية كفار عين الحق ان نقول ان الرجل الذي قتل مئة نفسا وهو كان جاهلا جهل وضل باب قدره اما هؤلاء ينفون العلم اصالة بينفون كل الصفات كل الصفات لهم تعقيب بكل الصفات يبقى لنا ان علم الغيب كله لله الله جل وعلا يعلم كل الغيب (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله) انما الغيب لله ومن ادعى علم الغيب فقد كفر لانه كذب الرسول صلى الله عليه وسلم كذب الله وفي كتابه وكذب الرسول صلى الله عليه وسلم واذا ادعى غيباً فقد نازع الله في الربوبية ايضا لكن يبقى لنا علم الغيب والشهادة الشهادة عند الله تعالى والغيب سواء والغيب غيبان غيب مطلق وغيب نسبي او لا بالنسبي هو ان اجله انا ويعلمه العامل به او يعلمه من حضر الوقعة فاعتبر هذا الغيب غيب نسبي فالغيب النسبي قد يجتهد فيه المرء ويعلمه ونقول انه علمه نعم يعني جهله يعذر به وهذا الذي اشار اليه ابن تيميه ابن تيمية اشار الى انهم جهال قال لو قلت بقولكم عن نفسي انه كفر ولكنهم عنده جهال فلذلك جعل القول قالت كفر ولكن قال لا يكفر حتى لو كان من اعلمهم والحق هذه المسألة مسألة فيها نظر كبير ابن المبارك كلامه لا يغدر احمد كلامه لا يغدر قالت مسألة عائشة مهما يكتب الناس يعلمه الله عجيب جداً هذا ايضا وهذا باب يعذر فيه المرء بالجهل لكن هؤلاء الجهمية لا يعذرون بالجهل وهم يعاندون ويجحدون فإذا قلنا علم الغيب ايضا لا يعلمه الا الله ده فالعلم غيبي غيب مطلق والا غيب نسبي الغيب المطلق يعلمه الله باتفاق الغيب النسبي هو يعلمه من حضره يعلمه من عايشه ولا يعلمه الذي بعد عنه وايضاً من اخص الكلام على مسألة الغيب في هذا الباب هو ان بعض الكهنة يخبرون ببعض الغيبات حقاً هي غيبات ويكون لها مدة يقول انت بعد سنة يكون كذا وكذا نعم فاخبره بعض الغيبات الصادقة هذا اختبار من الله جل في علاه لبيان ان يستيقن المرء في علم الله جل في علاه واما كيف عرف او علم بالغيبات السابقة هذه ايسر ما يكون ان النبي وصفها في السنة بأن الجن يركب بعضهم فوق بعض حتى يصل آخرهم الى السماء حتى يستمع صريك الاقلام فيسترق السمع ويفرق ما وجده من السماء في اذن من تحته الى ان تصل الى الكاهن وصل الشهاب ولم يصل ان وصل الشهاب امتنعت الكلمة من ان تصل الى الكاهن ان وصل الشهاب كانت الكلمة انتهت هو وانتهت مسألة قصة القول ان لم يصل الشهاب كانت الكلمة معها مئة كلمة تدليسا لذلك اخوتي الكرام لا بد ان تفهموا شيئا لطيفاً في هذه المسألة. علم الغيب يكون لله جل في علاه من تألى وقال بانه علم الغيب فقد نازع الله في الربوبية يبقى لنا استثناء من هذه المسألة احنا قلنا حتى الكاهن يأتي بالكلمة كذبة وهو منازع الله في الربوبية لذلك الكهان قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم من أتى كاهنا او عرافا فسأله فقد كفر بما أنزل على محمد لعظيم شدة الكفر التي في حامل بعض الغيبات عن الكهنة لانه لا يمكن للكهنة ان يعطوه هذه المعلومات الا أن يسجد لهم من دون الله جل في علاه اللهم استر علينا اللهم احفظنا جميعاً يا رب العالمين اذاً لا إشكال في هذا في مسألة الغيب يبقى

شيء واحد فقط وهو ان الرجل يكون عالماً ويعلم بالمقدمات والنتائج فيغير عن الغيبيات كمقدمات لنتائج فهذا لا يدخل في هذا الباب هذا لا يدخل في هذا الباب لم؟ لأن هذا اسمه الحدس وهو الخرس والتخمين ينظر الى الكليات من القرآن والسنة ويجد بأن الله سنن كونية لا تتبدل ولا تتغير فاعمل بها على أنها من الاسباب علماً وتقديراً حتى يصل الى ما قال يكون التوافق يعني يقول فلان حامل في ولد عنده فراسة بل هي حامل في توأم ثلاثة وتلد المرأة حقاً ثلاثة هذا ما علم الغيب هذه النظر بالمقدمات ومثلها النتائج ولأنه يعلم بالأصول العامة والقواعد الكلية ان الله اناط المسببات بالاسباب فكما قلنا هذه من باب معرفة المقدمات والنتائج ليست من باب الرجم بالغيب الرجم بالغيب ممنوع عن المؤمنين جميعاً وعن المسلمين جميعاً ولأن مطلق الغيب المطلق عند الله جل وعلا الله يعلمه نعم اذا هذا العلم وهذه الصفة العظيمة التي قال فيها العلماء وقال الامام المزي قال وذلك من علمه يعني اقترب من علمه وخلقه احاط بالامور هو الذي احاط بالامور كما قال الله جل في علاه (هو الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الامر بينهما لعلوا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد احاط بكل شيء علماً) حسن الاعتقاد في رب العباد نجا وهذه اول ما يمكن ان يتعبد بها المرء الله جل وعلا يقول تعبدت لك ربي انك الواحد الاحد الفرد الصمد قال العليم الحكيم ويثبت العلم لله جل في علاه ولان اثبات العلم فيه حسن الاعتقاد بالله جل وعلا مما يتخلق ويتأثر الانسان بصفة علم الله في علاه انه يسأل صريحاً عن يعني عن علم الله جل وعلا وكيف تأثر يرى اثر ذلك عليه يقول يطمئن قلبي لعلمي بان الله يعلم ما انا عليه ان كنت صادقاً فسيعاملني بصدق وان كنت غير ذلك فسيعجل الله العقوبة فكلمنا كان المرء اعلم بأن الله قد احاط به علماً فانه يجره ذلك الى ان يزدرى اقرال الناس وافعال الناس ويهتم اهتمام بالغاً بما يكون للمرء عند ربه جل وعلا لان الله واسع العلم لا يفوته اي شيء وادنى شيء من العباد لذلك المظلوم يقول علم ربي اني مظلوم واذا كنت مظلوماً سينتصر لي من اثار العلم ايضاً مراتب العلم مراتب القدر والقدر دحر مزلة. القدر من اعظم ابواب الشرع. والقدر ساقه على العلم بمكان نعم علم فكتب فأس الامر واساسه العلم لذلك الشافعي كان نبيعاً فطناً عندما قال خاصموهم في العلم فان اجابوك فان اجابوه فقد خصموا وان اعترضوا فقد كفروا...

وكما قلت اطمئنان القلب بمعرفة العبد بواسع علم الرب ارايتم عائشة عندما دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا عائش يا عائشة ان كنت الممت بذنب فاستغفري ماذا قالت وهي تقول لأمرها اجيبي عني تقول انا لما قامت هي واشتد الأمر عليها واجابت هي ماذا كانت تقول تقول والله يعلم اني لم افعل لما قالت لهم اقراراً لانهم يميلون الى ذلك وهي ليست كذلك فقالت عائشة رضي الله عنها وأرضاها والله يعلم أنني لم افعل فهذه صفة العلم واعظم ما يمكن ان نقول يتعبد المرء بهذه الصفة هو ان يوسم ويتصف بهذه الصفة العظيمة صفة العلم معناها ان يجتهد اجتهاداً عظيماً في تحصيله وأهم العلوم على الاطلاق التي يسعى المرء الى تحصيلها هي حسن التعرف على الله جل وعلا باسماءه الحسنی وصفاته العلی بقي امرٌ اخير في صفة العلم انه لا تجد الكتاب يذكر علماً الا ويذكر معه الحكمة لانه قد يعلم ولا يكون حكيماً فلا يضع الشيء في موضعه ويكون مجتهداً حكيماً فيضع الشيء في موضعه الله تعالى ماذا قال عن نفسه ان الله كان عليمًا حكيمًا والحكمة تزين العلم ومن اعظم ما فيها ان الحكمة وضع الشيء في موضعه هذه بداية قول المصنف (يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور). نعم لا توارى عنه سماء سماء ولا أرض أرضاً ولا بحر ما في قعره ولا جبل ما في وعده ثم ذكر القدر والقدر لا بد له من تطويل والان انا يعلم الله اني في الدرس انا في ارهاق تام كأي لا اعرف ما يعني كيف سامحوني؟ اذاً نقول بان هذه الصفة صفة العلم وهي صفة الذات وان علم الله شمل كل شيء وعلم الله جل وعلا يعني العلم في طبيعته العلم يزدان بالحكمة وعلم الله تعالى يقتزن بالحكمة لان العلم بغير الحكمة قد يوضع العلم في غير موضعه العلم بالذات يوضع في موضعه بسبب مسألة الحكمة انها تزين العلم وان الحكمة توجه العلم ان يضع شيء في موضعه

الفوائد المستنبطة

- الرد على الاشاعره الذين يقولون من أشار بإصبعه للسماء فلنقطع هذه الإشارة ويعتقدون ان ربهم في كل مكان هذا الكفر مستقل

المفروض بالاداة عالم على عرشه لا يبرده بحال من الأحوال ولا ينكره لكن التأويل البارد الذي يتبناه هو تأويل الاشاعرة البارد الذي من تولاه حاد وضل وابتدع قال عال على عرشه ودان بعلمه من خلقه وأقرب الي خلقه بالعلم احاط به علماً لقول النبي صلى الله عليه وسلم أيها الناس اربعوا على انفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا ولكن تدعون سميعا بصيرا قال الذين تدعون لأقرب من احكم اقرب لاحكم من عنق راحلته يبقى مسألة في النقطة الاولى وهي مسألة القدر وهي تأتي منفصلة باذن الله تعالى انه قال هو القضاء والقدر وهذا في الدرس القادم في اسئلة اتفضلوا

-الفائدة الثانية

سعة علم الله جل في علاه سعة علم الله جل وعلا بان الله يعلم ما كانه وما يكون وما لم يكن ولو كان كيف سيكون هذه من أخص مظاهر الربوبية

-نجاة المرء في العلم بمراتب القدر لان العلم من اخص مراتب القدر كما قلت علم فكتب فاراد فخلق نعم ممتاز لو في اسئلة اتفضلوا الان لو في اسئلة اتفضلوا

شرح السنة للإمام المزني

المجلس : الخامس

عنوان الدرس : القضاء والقدر

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون)

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً)

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ثم أما بعد إخوتي الكرام ما زلنا مع شرح السنة للإمام العلم الإمام المزني

القضاء والقدر

بعدما تكلم عن العلو والعلم ناسب بعد العلم أن يأتي بالقدر لأن القدر من أهم مراتبه مرتبة العلم

ولذلك قال (فالخلق عاملون بسابق علمه) وهذا الرد رد على القدرية الذين يقولون بأن الله جل في علاه لا يعلم أفعال العباد حتى يفعلونها هو خصها بالمعاصي سأل الإمام المزني الإمام الشافعي فقال (يا أبا عبد الله من القدرية؟ قال هم الذين زعموا أن الله لا يعلم المعاصي حتى تكون وهذا أخرجه البيهقي في مناقب الشافعي قال (فالخلق عاملون بسابق علمه ونافذون لم خلقهم له من خير وشر) ولذلك فالخلق عاملون الخير بأمر الله جل في علاه كما سيأتي والشر عاملون بالشر بقضاء الله جل في علاه للتفريق بين الإرادة الكونية والمحبة وهم منقادون لما خلقهم الله جل في علاه من خيره وشره لأنهم مندفعون إلى ما كتبه الله جل في علاه على خواتيمهم ولأن الله فرغ من العباد وقد علم أهل الجنة وأهل النيران في قوله (فالخلق عاملون) كما قلنا أنه يتكلم عن مسائل القضاء والقدر وهذه مسائل عظيمة جداً القضاء والقدر إذا اجتمعا افتترقا وإذا افتترقا اجتمعا وهناك خلاف على ثلاثة أقوال

👉 والقضاء هو فعل الله جل في علاه

👉 والقدر ما وقع على العبد والقدر هو تقدير الله جل في علاه إذا انفرد القدر هو تقدير الله جل في علاه لما يكون يوم القيامة لما خلق الله القلم قال له أكتب قال ما أكتب ؟ قال أكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة لذلك فإن الله جل في علاه قال (وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر)

قال الإمام أحمد (القدر هو قدرة الله عز وجل) فهو غيبٌ هو سرٌّ من أسرار الغيب اختص العليم الخبير به لم يعلمه لا نبي مرسل ولا ملك مقرب قال الله تعالى

(ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) من يؤمن أن الله قدرها قبل أن يخلقها قبل أن يخلق الخلق يهدي قلبه إليه عن أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه قال جاء مشركون أو جاء مشركوا قريش يخاصمون النبي صلى الله عليه وسلم في القدر فأنزل الله جل في علاه (إن كل شيء خلقناه بقدر) وهذه من أحوال المجوس والمشركون معارضة القدر وعدم الإقرار به قال صاحب الجليل لابنه يا بني عن القدر يا بني ولن تبلغ حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك قال فإن مت على غير هذا فانت في النار

وابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له (احفظ الله يحفظك إلى أن قال واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف) وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تسأل المرأة طلاقاً أختارها لتستخرج صفحتها ولتنكح فإن لها ما قدر لها) كل هذا فيه إثبات القدر وإثباته هو أن الله فرغ من العباد وإن الخلق جميعاً نافذون إلى ما قدره الله جل في علاه عليهم فالخلق جميعاً كما قلنا يصيرون إلى ما قدر الله عليهم وقد فرغ ربكم من العباد علم أهل الجنة من أهل النار فرغ ربكم من العباد

قال النبي صلى الله عليه وسلم (المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل) ولكن قل قدر الله وما شاء فعل)

لذلك لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم على أم حبيبة وهي تدعوا وتقول اللهم متعني بأبي سفيان اللهم متعني بأخي معاوية قال سألتني الله على أقدار مضروبه وأجال مقسومة لو سألتني الله أن يدخلك الجنة ويعافيك من النار لكان خيراً لك هو أراد أن يجعلها تنظر إلى ما هو مطلوب منها يعني هو كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول على المرء هنا في هذه الأبواب وهو القدر ان ينظر فيما هو مطلوب منه لأن هذا الذي سينفعه فيسعى إلى فعله ولأنه لما يسعى إلى فعله يكون قد أخذ إشارة من أن الله خلقه فيسر له ذلك وأما ما كان مقضياً محضاً فإنه أتت يعني طلب الرزق قد فرغ منه الحاصل لذلك ابن القيم قال بكلام من أروع ما يكون (خلق الله الكون كله لك وخلقك أنت له فانشغل بما خلق

ت له ولا تشغل بما خلق لك.) الرزق خلق لك والعبادة خلقت أنت لها فكن منشغلاً بما خلقت له وما خلق لك سيأتيك سيأتيك لا تتعنى فإن تبذل جهدك فيما سيأتيك كأنك لم تفقه المسألة على وجهها بل لا بد أن تبذل جهدك فيما خلقت أنت له ما خلق لك يعني ما خلق لك قدر وسينتهي وما خلقت له الحق قد يقال لي وما خلقت له أيضاً قدر وسينتهي نعم لكنه قدر على ما ستفعل أنت لأنه أنت مسؤول عنه ولذلك أنت لا تستطيع أن تحتج بالقدر إلا بضوابط هذه الضوابط تأتي ان شاء الله لتحجج بالقدر ولذلك النذر النبي صلى الله عليه وسلم ماذا قال فيه

قال (لا يأتي ابن ادم النذر بشيء لم يكن قد قدرته عليه ولكن لقول الله جل في علاه ولكن يلقى النذر وقد قدرته أستخرج به من البخيل) فالقدر قدرة الله جل في علاه وهي قدرة الله فهي من لوازم الربوبية القدر من لوازم الربوبية وهو ضحض مزلة من أعمق النظر فيه خاب وخسر ورجع خاسئاً وهو حسير ومن أخذه فسلم له هذا الذي فاز والتكذيب بالقدر كفر لأن القدر ركن من أركان الإيمان كما جاء جبريل إلى نبيينا صلى الله عليه وسلم فسأله عن الإيمان فأجابه بأركان الإيمان وكان من أعظم أركان الإيمان القدر قال النبي صلى الله عليه وسلم (وان تؤمن بالقدر خيره وشره) وفي رواية ضعيفة (حلوه ومره) فهو ركن من أركان الإيمان ولذلك الإمام ابن عباس رضي الله عنه وأرضاه قال من وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده نقض تكذيبه توحيده لذا فالقول بأن القدر قدرة الله جل في علاه القدر سر من أسرار الله جل في علاه القدر غيب من لوازم ربوبية الله جل في علاه

هنا في قول المصنف رحمه الله تعالى (فالخلق عاملون بسابق علمه) بسابق علمه أشار هنا إلى مرتبة من مراتب القدر وهي أهم مراتب القدر وهي مرتبة العلم وهذه النقطة الفاصلة بين أهل السنة والجماعة وبين أهل البدعة والضلالة من القدرية الإمام الشافعي بين ذلك بين أن النقطة الفاصلة في هذا الباب العلم قال الإمام الشافعي قال (خاصموهم في العلم فإن أقرروا فقد خُصموا وإن أنكروا فقد كفروا) طبعاً هنا لا بد أن نعلم أنهم فقد كفروا على مسألة (النوع دون العين)

قال (فإن أقرروا فقد خصموا وإن أنكروا فقد كفروا) ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم يقول بأنهم مجوس هذه الأمة النبي صلى الله عليه وسلم يقول (مجوس في هذه الأمة هم القدرية) طبعاً روى الحديث جاء مرفوعاً وموقوفاً والموقوف أصح من المرفوع هذه المراتب أربعة ومن هذه المراتب

الإيمان بعلم الله السابق وهذا مقتضى اسم الله العليم والعليم يتضمن صفة العلم وعلم الله جل في علاه له شمول وهذا الذي بيناه في النقطة السابقة لذلك نسب ان ينتقل منها إلى القدر وأن الله جل وعلا يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف سيكون) وإن قلنا في مسألة القدر على الإضلال والهدى فكلها دائرة على علم الله جل في علاه قال الله تعالى (أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم) فهنا العلماء اختلفوا يعود الضمير العلم هنا على من (وأضله الله على علم) لو قلنا لأقرب مذكور يعني أضله الله على علم من الله يعلم الله جل في علاه أنه محل غير قابل للهداية فأضله الله جل في علاه لأنه طلب الغواية جزاءً وفاقاً واجراً طبقاً قال الله تعالى (فلما زاعوا أزاغ الله قلوبهم) وهذا أقرب وقيل (وأضله الله على علم) يعني على علم منه أنه على ضلال بعدما تبين الحق فرفضه لذلك قال الله تعالى (فأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) فلا بد ان تعلم أنه ما من كافر إلا وظهر له الحق وأباه وجده ورده في داخله نفسه

فرعون تبين له الحق وعلم الحق من الباطل وكبره منعه وطلبه للرياسة واستحباب الدنيا منعه من الإيمان الدلال على ذلك قول الله جل في علاه (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فسل بني اسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا) شوف هنا الكذب والزور الذي فعله (إني لأظنك يا موسى مسحورا قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر) يعني ان علمت ان هذه الآيات من رب السموات والأرض على بصيرة من أمرك (بصائر) وإني لأظنك يا فرعون مثبورا) الله جل وعلا بين لنا أنه ما من كافر إلا وقد تبين له الحق حين قال الله تعالى (وجحدوا) وهذا على التعميم (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا) وقد قال حيي ابن أخطب على ما أعتقد عندما قال له ابن أخيه أهو هو قال هو نعم هو هو قال هذا الرسول الذي تنبأ به موسى وجاءت في التوراة صفاته قال هو هو أقر الحمد لله على الإنصاف هو هو قال ما تفعل؟ قال عداوته إلى يوم الدين) لا حيلة في هذا عداوته إلى يوم الدين) فما من كافر إلا

وقد علم الحق ببينة ولكنه زاع عن الطريق وحاد وأراد الكفر فسهل الله له أبواب الكفر وزجه فيه نسال الله جل في علاه أن يثبت قلوبنا على دينه ورد عن أبي جهل والمغيرة ابن شعبه وهذا حديث ضعيف لأن المغيرة ما كان أسلم في هذا الوقت أو ما قابل أبا جهل في هذا الوقت في التوقيت في بدر عندما قال له تعلم يا مغيرة نعلم أنه لصادق وكنا

وبني هاشم كفرسي رهان ثم قالوا منا نبي أنى يكون لنا نبي انظر الكبر منعه من ذلك قال وما تفعل قال عداوته إلى يوم الدين) الله المستعان على ذلك فالله جل وعلا علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف سيكون فعلم الله جل في علاه المحل القابل للهداية فهده وعلم المحل القابل للغواية فأغواه قال الله تعالى (ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة) قال ابن عباس (علم ما يكون قبل ان يخلقه سبحانه جل في علاه) ولذلك مسح على ظهر آدم فأخرج ذريته فقال هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي سبحانه جل في علاه)

ولذلك قال الله تعالى (فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة)

وقد قال الله جل في علاه عن نوح انه قال (وما ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم) ولذلك قال الله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء) ولذلك قال الله تعالى (فمنهم من هدى الله) توفيقاً منه سبحانه جل في علاه وكرمه بعد علمه بأنه المحل القابل (ومنهم من حقت عليه الضلالة) أخذ بكل أسباب الضلالة بعد ما فتحت له أسباب الهداية لكنه رجلاً ما يريد المكلف لا يريد إلا الغواية. قال الله تعالى (والله لا يهدي القوم الظالمين) وقال الله تعالى (يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين) قال (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) وقال الله تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخير سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) ولما قام الكافرون يستهزئون وقاموا يجددون وقاموا يستفسرون (أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) قال الله تعالى (أليس الله بأعلم بالشاكرين) فإن الله يعلم المحل القابل فيهديه ويعلم المحل الغير القابل فلا يهديه وهذه تجعلنا من موازين القدر نعلم ان الله إذا اصطفى عبداً لشيء فهذه دلالة من الله لعباده ان الذي اصطفاه الله جل في علاه كان أهلاً لما اصطفاه له كما قال لموسى (واصطنعتك لنفسى) وقال

(ولتصنع على عيني) انظر أمر آخر أيضاً بتوابعه من الثمرات (والقيت عليك محبة مني) قال الله تعالى (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل) وأن الله جل وعلا اصطفاه نبياً (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين) كما قال الله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) انظر هنا هو اصطفاهم صحيح ومنحهم الكتاب لعلمه السابق بأنهم أهل لذلك وإن كان فيهم الظلم والتقصير

فهم أهل لذلك ومحل نظر الله جل في علاه القلب قال الله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) والثلاثة رضي الله عنهم والثلاثة في الجنة والذي يجعلنا نرجح قول أهل التفسير ان الثلاثة في الجنة هو قدر الله السابق لأنها كانت على الإصطفاء والاصطفاء كان عن علم سابق وحكمة فعلم الله بأنهم المحل القابل لملئ هذا الخير وهو هذا الكتاب فاصطفاهم له ولذلك عائشة ماذا قالت حتى تعلم قدر هذا (لما قرأت هذه الآية (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) ماذا قالت عائشة قالت رضي الله عنها وأرضاها يا بنية أما المقتصد فهو من قام بالواجبات وانتهى عن المحرمات وأتى بشيء من المندوبات وترك بعض المكروهات والسابق بالخيرات هو الذي أتى بالواجبات وأتى بالنوافل والمستحبات والمندوبات أيضاً نية حولها إلى مستحبات وترك المكروهات وترك بعض المباحات الظالم لنفسه قالت أما أنا وأنت فإننا من الذين يظلمون أنفسهم هذه عائشة رضي الله عنها وأرضاها وهذا ذهابٌ منها إلى أن الثلاثة قد رضي الله عنهم وأنهم من أهل الجنة هذه المرتبة الأولى تتكلم عنها المصنف وأشار إلى ذلك لم يذكر المراتب الثانية لم يذكر القدر إلا إجمالاً ولكن واجب علينا أن نعطي إشارات للمراتب الأخرى لأنه لا يستقيم فهم القدر إلا بمعرفة مراتب القدر

 المرتبة الثانية مرتبة الكتابة علم فكتب فأراد فخلق علم فكتب فأراد فخلق الكتابة والإيمان بكتابة المقادير بأن الله جل في علاه قد كتب المقادير والكتابات وإن كانت متنوعة لكن الأصل في ذلك أصل الأصول هو كتابة المقادير في اللوح المحفوظ كما قال الله جل في علاه (وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر) وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (أول ما خلق الله القلم قال له أكتب قال ما أكتب قال أكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة. اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة)

ولذلك قال الله تعالى (ما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حية في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) وقال تعالى سبحانه وتعالى

(ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) والكتابة كتابات

🌿 الكتابة الأولى كتابة اللوح المحفوظ وهذه شملت كل شيء وهي مكتوبةٌ والكتابة في اللوح المحفوظ لا تتبدل ولا تتغير ثم بعد ذلك

🌿 الكتابة هي الكتابة العبرية هذه قد تتبدل وت

تغير وهي ما كان في صحف الملائكة عندما وكل الله الملك بالجنين قبل ان ينفخ فيه الروح يقول ربي اي رب ذكر ام أنثى يا رب شقي ام سعيد يا رب العمل اي رب الرزق أي رب الأجل فيكتب ثم يؤمر بنفخ الروح

🌿 والكتابة العامية هي في ليلة القدر كما قال الله على ليلة القدر (فيها يفرق كل أمر حكيم) فيها يفرق كل أمر حكيم لذلك قال ابن عباس (يعرف من يموت يعرف من يولد من يحج من يعتمر الرزق والأجل) كل ذلك يكون في ليلة القدر

🌿 والكتابة اليومية وهي كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل والنهار ويلتقون في العصر والفجر فيعرج الذين باتوا فيكم

دذ فيكتبون هذه الكتابة اليومية) هذه المرتبة الثانية مرتبة الكتابة الكتابة في اللوح المحفوظ وان اللوح المحفوظ قد حوى كل شيء وقلنا اللفته المهمة التي لا بد ان تعرف في مثل هذه المرتبة هو

(ان ما كتب في اللوح المحفوظ لا يتبدل ولا يتغير) نسأل الله أن يكون كتبنا الله جل في علاه من السعداء

كما كان عمر الخطاب يطوف ويكي ويقول اللهم ان كنت قد كتبتني شقياً يعني في صحف الملائكة فمحاها واكتبني عندك سعيداً ثم يقرأ هذا فقه راقي لعمر بن الخطاب ثم يقرأ ويقول (يمحوا الله ما يشاء ويثبت) يعني في صحف الملائكة (وعنده ام الكتاب) يعني عنده ام الكتاب هو الأصل الذي يستنسخ منه

🌿 والمرتبة الثالثة من مراتب الإيمان لانه لا يستقيم الإيمان ولا يستقيم مع المعرفة بالقدر الإيمان بالقدر إلا بهذه المراتب مرتبة المشيئة الإرادة الكونية يعني مرتبة المشيئة النافذة وهذا ردٌ أيضاً على القدرية ردٌ على القدرية ان مشيئة الله نافذة سبحانه جل في علاه

قال تعالى (ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل فما يريد) (ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات) وقال تعالى (ويفعل الله ما يشاء) وقال تعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً) فمشيئة الله نافذة مشيئة الله نافذة من شاء الله هدايته هداه ومن شاء الله إضلاله أضله قال الله جل في علاه (من يرد الله ان يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء) اي إرادة هذه من يرد الله ان يضلهم ومن يرد أن يهديهم اي إرادة هذه اي إرادة سؤالي لكم في هذا كيف ذلك ؟ هنا يتكلم عن هداية القلوب لذلك قال (من يرد الله ان يهديه يشرح صدره للإسلام) هنا وافقت الشرعية الكونية (ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء) هنا خالفت الإرادة الكونية الإرادة الشرعية المرتبة الرابعة وطبعاً للعبد مشيئة عشان ما يقال ان مشيئة الله هي النافذة هل لا مشيئة للعبد كما قالت الجبرية؟ لا وهذا الضلال الجبرية والأشاعة ضلال الجبرية بل للعبد مشيئة سيحاسب عليها لكن هذه المشيئة ليست مستقلة هي مشيئة تابعة لمشيئة الله جل في علاه كما قال الله تعالى (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) وما تشاءون إلا أن يشاء الله

🌿 المرتبة الرابعة وهي آخر مراتب القدر الإيمان بأن الله جل في علاه عز وجل خلق أفعال العباد وهذا أيضاً رد على القدرية الذين يقولون العباد يخلقون أفعالهم فجعلوا كل العباد كل العباد خالقين مع الله جل في علاه كم من شركٍ بلازم هذا القول ونحن لو أخذناهم بتأصيلاتهم لكفرناهم جميعاً عيناً لا نوعاً لما هم يكفرون باللازم هم يكفرون باللازم وليس هذا من منهج أهل السنة والجماعة ولذلك بين الله جل في علاه انه خلق أفعال العباد (الله خالق كل شيء) كل شيء كل نص في العموم ينزل تحته أفعال العباد قال الله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) سواء قلنا ما مصدره وعملكم او ما اسم موصول الذي تعملون ففي الحالتين فإن الله خلق أفعال العباد. فإن أفعال العباد مخلوقة لله جل في علاه. لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم (ان الله خلق كل صانع وصنعه) ولذلك ابن عمر يقول حتى الكيس العجز والكيس خلقه الله جل في علاه

ابن عباس قال (وأنه هو أضحك وأبكى) سبحانه جل في علاه فأفعال العباد مخلوقة لله طيب لو كانت مخلوقة لله إذا الجبرية هنا كلامهم صحيح بأن العبد كالريشة في مهب الريح كل فعلٍ يفعله هو لله مخلوق إذا هم ينفذون قدرة الله او إرادة الله كما قال بشر المريسي يعني المريسي هذا المخبول المفتون المأفون يرى ان إبليس من أعبد الخلق لما؟ لأنه يوافق قدر الله ويوافق إرادة الله ولذلك قال عندما قرأ قول الله جل في علاه

(ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي) قال لو كنت هذا محامي إبليس لو كنت مكانه لقلت أنت فهم يرونه أنه ينفذ إرادة الله جل في علاه هذا قول الجهمية صراحة الجبرية هم جهمية أيضاً الجبرية أسوأ طائفة في هذا الباب أسوأ طائفة لذلك كلامهم أسوأ كلام هو كلام هؤلاء الطائفة والحق ان نقول ولكن العبد له مشيئة مستقلة لا غير مستقلة لكنه سيحاسب عليها لان الله قدر الصلاة والذي صلى زيد وعبيد وعمير الله قدر السرقة الغيبة النميمة والذي اغتاب ونم هو عمير وعبيد والذي سرق هو رفيد مثلاً فالحاصل ان العبد له مشيئة سيحاسب عليها قال الله تعالى وبين الله ان مشيئته تحت مشيئة ليست مستقلة لانه لن يكون في كون الله جل في علاه ما لا يرضاه الله ولا يريد الله جل في علاه يعني كوناً. قال الله تعالى (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) ولذلك أفعال العباد مخلوقة لله جل في علاه تنسب للأفعال بأسرها لله خلقاً وإيجاداً وتنسب للعبد فعلاً واكتساباً فيحاسبهم على أفعالهم واكتساباتهم ولذلك قال الله تعالى (أن تلکم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون) (ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد)

فإن قلنا ان المصنف رحمه الله تعالى يقول (فالخلق نافذون عاملون بسابق علمه لما خلقهم له من خير وش

ر) يجعلنا نقول عن مسألة مهمة جداً وهي مسألة بعد الإيمان بالقدر هل الإيمان بالقدر داعي للكسل داعي إلى الركون لما قدر وكتب

داعي إلى الوقوف مع قول النبي صلى الله عليه وسلم (فرغ ربكم من العباد علم أهل الجنة من أهل النار) في حديث عبدالله بن عمر بن العاص خرج النبي معه كتابان في يمينه وكتاب في شماله (يقول هذا كتاب فيه أسماء أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم وذرياتهم ثم أجمل على ذلك وكتاب في شماله كتاب فيه أسماء أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وذرياتهم ثم أجمل على ذلك) فعلم أهل الجنة من أهل النار فهل يركن المرء إلى هذا المكتوب؟ ابداً لأن هذا السؤال قديماً عن صدور الصحابة الكرام فقاموا إلى نبينا العدنان فسألوه نفس السؤال سألوه نفس السؤال فقال النبي صلى الله عليه وسلم لما قال الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم (أرأيت ما نعمل يا رسول الله أهو أمر فيما مضى وانقضى ام الأمر أنف قال بل فيما مضى وانقضى قال فعلام العمل فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل اعملوا فكل ميسر لما خلق له

🌸 يبقى سؤال سأسرد عليكم بعض الأمور باستدعاء القدر لكن السؤال هو قال (بل اعملوا فكل ميسر لما خلق له) فما وجه الجمع بينه وبين قوله ان المرء ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو له فيما يبدو للناس حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيختم له بعمل أهل النار يعني فيدخل النار وطبعاً الذي يعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة كيف الجمع بين الدليلين هذا سؤال أريد ان الجمع بين الحديثين لكني اقول القدر مدعاة للعمل القدر يستدعي العمل وهذا ليس مني هذا ابو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه قال (ازداد اجتهادي بعد ما تعلمت أبواباً من القدر) لما لنفس ما قلت لكم كل ميسر لما خلق له

ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تخبرهما لما سيزدادا اجتهاداً عندما قال سيدا كهول أهل الجنة عليه وعلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عمر يقول (لا اعبأ على نعمة او بلية انا اصبحت لم ؟ لكل عمل لكل عمل شاف يجعله يعمل البلية تحتاج إلى صبر فهذا عمل وعبادة النعمة تحتاج الى شكر فهذا عمل وعبادة) قال النبي صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له) ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال قولاً عجيباً قال (خلق الله الجنة وخلق لها اقواماً ويعمل أهل الجنة يعملون. شوف ما قال يدخلون قال خلق الله الجنة وخلق للجنة اقواماً ويعمل أهل الجنة يعملون) وقال (اعملوا كل ميسر لما خلق له) وقوله (فيسبق عليه الكتاب) هذا السؤال انتم ما فهتمم السؤال

وهو ما في خلاف بين ان يقول اعملوا فكل ميسر لما خلق له فهذا تيسيرٌ لهيعني بعمله مؤاخذ لأن في قوله (يسبق عليه) يعني يسبق عليه الكتاب بما هو عامل المعنى هنا يسبق عليه الكتاب بما هو عامل فيعمل بعمل أهل النار فيختم له بها ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال (خلق الله الجنة وخلق لها اقواماً ويعمل أهل الجنة يعملوا وخلق النار وخلق لها اهلها ويعمل أهل النار يعملون) وبالعمل أهل النار يعملون الأعمال بالنيات هذا هو بالنسبة لكلام أهل العلم أما في قوله (ونافذون لما خلقهم له فيه من خير او من شر) مسألة الاحتجاج بالقدر تأتي ان شاء الله في الدرس القادم ونكون بهذا اشبعنا القول فيما اوجزه وأجمله الإمام العلم الإمام المزن

شرح السنة للإمام المزني

المجلس السادس

عنوان الدرس : تابع القضاء والقدر

اعتقاد لعلمائنا النبلاء من علماء الشافعية الإمام العلم الذي أظهر به الله جل وعلا مذهب الشافعي الإمام المزني في

القضاء والقدر

قال (فالخلق عاملون بسابق علمه) تكلمنا عن القدر ومراتب القدر وان هذا الكلام كان رداً على القدرية (ونافذون لما خلقهم له من خير وشر) لما خلقهم من خير وشر بل وقلنا بان هذه أيضاً لها باب من الاعتقاد نبينه ان شاء الله (لا يملكون لأنفسهم من الطاعة نفعا ولا يجدون إلى صرف المعصية) في قوله من خير او شر لنا ان نتطرق إلى مسألة مهمة وهذه المسألة هي مسألة

(خلق الله الشر كما انه خلق الخير) ام ماذا؟ وصحيح الراجح في هذا الباب ان نقول بأن الله جل في علاه كما أنه خلق الخير فقد خلق الشر والأدلة على ذلك كثيرة لكن هناك آداب يتأدب بها أهل السنة والجماعة عند الكلام في هذا الباب وأيضاً النظر إلى الشر لابد في النظر إليه من أمرين

النظر يكون في مسألة الشر هذه لا يمكن بحال من الأحوال أن تكون في الأفعال الشر لا يمكن أن يكون في الأفعال الشر في المفعولات

والشر أيضاً ليس في القضاء الشر في المقضي اذا الشر ليس في الأفعال بل الشر في المفعولات والشر ليس في القضاء بل في المقضي ما معنى هذا؟ معناه ان الشر نزل تحت الخلق عموماً كما سنبينه لكن الشر فيه ليس في الأفعال أفعال الله كلها كمال كلها إحسان كلها خير كلها كمال كلها جمال الشر في المفعولات في الأثر الشر في المفعولات يعني خلق الله لإبليس خير وكمال وجمال وبهاء وعظمة وإبليس شر او المفعول وإبليس شر يبقى هنا الشر ليس في الأفعال الشر في المفعولات والشر أيضاً ليس في القضاء ما في المقضي لأن القضاء من فعل الله جل في علاه وفعل الله كله كمال وجلال وجمال وبهاء وعظمة

فاذا قارن بين الخير والشر كما قلنا الشر في المفعولات لا في الأفعال والشر في المقضي لا في القضاء

لكن تأدب أهل السنة والجماعة في مسألة نسبة الشر لله جل في علاه فإنهم يعلمون ان الشر نزل ضمناً في خلق الله جل في علاه كما قال الله تعالى (الله خالق كل شيء) ولقول الله جل وعلا (والله خلقكم وما تعملون) وما تعملون لو قلنا وعلمكم فعملكم فيه الخير وفيه الشر أيضاً والذي تعملون ثمرة فعملكم قد تكون خيراً على البشرية وقد تكون شراً على البشرية كالذين يعني صنعوا النووي وغير ذلك فالشر المستطير على البشرية بهذه يعني الصناعات التي أتوا بها هنا أيضاً إنه نزل ضمناً ان في الخلق شر

فاذا نقول في هذا الباب ان نزل شر ضمناً فلنا أولاً آدابان من آداب السلف في النظر إلى الشر أن الشر ليس شراً محضاً فالله خلق شر لم يخلق شراً محضاً لأن الحكمة تمنع ذلك ولأن شر المحض نقص لأنه ليس فيه مصلحة وكما قلت لما نقص لأن الحكمة تأبى ذلك الحكمة تقول بأن الخلق والتقدير كلها لما يأتي فيه من المصلحة بما يأتي فيه من الخير

فالله جل وعلا لم يخلق شراً محضاً حتى إبليس ليس شر محضاً إبليس به خيرات وبه أمور اقتضت الحكمة بوجوده كما قال الله جل في علاه (ليميز الله الخبيث من الطيب) (ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم) فإبليس خلق وجعل الله جل في علاه له الوسواس لا السلطان فأصحاب الغواية يسمعون له وينصاعون له ويتبعون خطواته وأما أهل الكياسة والعقل والديانة فإنهم يناون بأنفسهم عن خطواته

الغرض المقصود بأن إبليس ليس شراً محضاً قطع يد السارق ليس شراً محضاً إقامة الحدود ليست شراً محضاً بل في نفسها تدل على الخيرية كما قال الله تعالى (ولكم في القصص حياة يا أولى الألباب) ولذلك شرعت هذه الحدود بقطع يد السارق لحفظ أموال الناس هذا خير كبير مستتب بل في خير أيضاً للمقطوع ان كان في شر لقطع اليد ففيه خير بتكفير السيئات وعدم المؤاخذه يوم القيامة على ذلك والحفاظ طبعاً على أموال الناس

الغرض المقصود بأن هذا الشر لا يمكن ان يكون شراً محضاً الشر هنا شرٌ نسبيٌ إضافي

هذا الأدب الثاني في الكلام مع الشر انه لا ينسب إلى الله جل في علاه مع ان الله خلقه لان الله خلق كل شيء ولا يكون في الكون إلا ما أراد الله جل في علاه قدر الله القتل نعم قد قدر الله السرقة الزنا نعم الله قدره ولكن هذا التقدير الذي قدره الله جل في علاه كما قلنا يؤول إلى حكمة عظيمة يؤول إلى مصلحة قالها النبي صلى الله عليه وسلم وقالها الله في كتابه مبيناً إياها هذا الأدب الأول

الأدب الثاني أنا لا ننسب لله الشر لا ننسبه إلا ضمناً لقول الله جل في علاه مبيناً لنا أدب الجن. أدب الأنبياء أولاً في هذا الباب وأدب الجن بعده. قال النبي صلى الله عليه وسلم (والشر ليس إليك) يعني لا ينسب إليك قال والشر ليس إليك إبراهيم عليه السلام قال (الذي يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين) فاضاف المرض لنفسه مع الله جل وعلا هو الذي خلق المرض كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء. علمه من علمه وجهله من جهله) ولذلك قال (تداووا عباد الله ولا تداووا بحرام) فلذلك نقول بأن نسبة الشر إلى الله جل في علاه من سوء الأدب مع أنه خلق ذلك لكن أنظر إلى الأنبياء إبراهيم النبي صلى الله عليه وسلم قال (والشر ليس إليك) إبراهيم عليه السلام قال (وإذا مرضت فهو يشفين) الجن قالوا (وأنا لا ندري أشر أريد) هنا لم ينسبوا الشر لله جل في علاه (وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً)

وأيضاً الأولياء إذا كان الأنبياء وإذا كان الجن على الأدب الجم فالأولياء أيضاً كذلك فالخضر من أولياء الله الصالحين على الراجح قال (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً) شوفوا قال (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك) فهنا كما قلنا الخير ينسب كله لله جل في علاه والشر لا ينسب إلى الله أدباً مع أنه خلق ضمناً وأن الله جل وعلا خلقه لأن الله ما يكون في كونه إلا ما قدره ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن

وكما قلنا له ما له من الفوائد لأن هذا الشر يؤول إلى الخير

قال (ولا يملكون لأنفسهم من الطاعة نفعا ولا يجدون إلى صرف المعصية عنها دفعا) هذه مسألة من الأهمية بمكان لأنه فيها بيان النظر إلى أولية الله جل في علاه وان كنا نقول ان الطاعة أتى بها العبد وان المعصية أتى بها العبد مع الإقرار بأن الذي خلقها هو الله جل في علاه وقلنا تباين المسألة او أن تلازم المسألة او النظر في المسألة أنها تنسب لله خلقاً وإيجاداً وتنسب للعبد فعلاً واكتساباً وتنسب لله خلقاً وإيجاداً وتنسب للعبد فعلاً واكتساباً فالطاعة أصلها من الله جل في علاه ولولا توفيق الله لما وصل إليها أحد الله جل وعلا قال (ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً) هذا لمن؟ هذا لسيد الخلق أجمعين

ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى (يا عبادي إنما هي أعمالكم) يعني نسبت لكم فعلاً (إنما هي أعمالكم أحصيتها عليكم ثم أوفيك إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)

ولذلك قال الله جل وعلا (فمنهم من هدى الله) فضلاً وتكرماً (فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) فأصل النعمة من الله كما قال الله تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) وقال الله تعالى (وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) وقال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى (يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيتها عليكم ثم أوفيك إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)

ولذلك قال صالح أو شعيب (وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت) ولدعاء النبي صلى الله عليه وسلم (يا حي يا قيوم برحمتك استغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين)

قال (ولا يجدون إلى صرف المعصية عنها دفعا) يعني ما يستطيعون ان يدفعوا عن أنفسهم المعصية فإن الله جل في علاه ان قدرها فلا تدفع بحال من الأحوال الله اذا أراد شيئاً لا يد أن يكون كما قال الله جل في علاه (من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء) وهذه ظاهرة في هذا الباب انه إذا أراد الله ان يضله كيف يدفع عن نفسه ذلك؟ لا يستطيع ان يدفع عن نفسه ذلك بحال من الأحوال ولا يحتج به لأن هذه المسألة أيضاً لها لازمة في النظر في هذا الباب ولا يحتج به الأصل ان نقول في هذا الباب ان من أضله الله جل في علاه لا يجد فرجاً ولا مخرجاً من ذلك ولزماً لا بد ان يقع ان يقع فيه (ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء) (ولا ينفعكم نصحي ان أردت ان أنصح لكم ان كان الله يريد ان يغوكم هو ربكم) فالذي اراده الله جل في علاه لا بد أن يكون ولذلك لا ينفك العاصي لا ينفك عن المعصية بحال من الأحوال وهو محاسب عليها لانه محاسب على فعله وليس له أن يحتج بالقدر إذا القاعدة عند علمائنا أهل الاعتقاد هنا (الاحتجاج بالقدر ليس على المعاييب ولكن على المصاييب) لا يحتج بالقدر على المعاييب وقد يحتج بالقدر على المعاييب في حالة واحدة فقط هي الحالة الواحدة التي يمكن

أن نقول بجواز الاحتجاج بالقدر فيها وهي على المعايير يعني وهي إذا تاب وأناب منها فله أن يحتج بها وهذا له باب آخر
لسنا بصدد القول (ولا يجدون إلى صرف المعصية عنها دفعاً) ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم هو
نفسه يقول (وأنا رسول الله لا أدري ما يفعل بي) وانت لك في ذلك أسوة حسنة في نبي من الأنبياء أسوة حسنة في نبي من
الأنبياء من هو؟ الاقتداء به على ماذا؟ الصحيح في ذلك أن ضرب المثل بذلك بابراهيم عليه السلام ماذا قال؟ قال
واجبني وبني أن نعبد الأصنام)

يضرب مثل في هذا الباب على أنه ما استطاع أن يدفع عن نفسه هذا البلاء ولكن بلاء المعصية دفعه عن نفسه فهنا
إبراهيم عليه السلام إبراهيم ماذا قال قال (واجبني وبني أن نعبد الأصنام) هذا بحرٌ كبير أعطينا أصوله وأرسلنا قواعده
دون التبحر لأن التبحر في هذا الباب يأخذ منا وقتاً طويلاً واحنا نريد نهي في هذه الأيام الرسالة أسأل الله أن ييسر لنا هذا
الباب

قال (والملائكة خلق الخلق بمشيئته عن خير) هي طبعاً عندي النسخة فيها كذا ولا أظنه تصحيح (خلق الخلق بمشيئته عن
غير حاجة كانت به وخلق الملائكة جميعاً) هو طبعاً خلق الخلق بمشيئته وهو غني عنهم كما قلنا سبحانه جل في علاه قال
الله تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني)

(عن غير حاجة كانت به وخلق الملائكة جميعاً لطاعته) فذكر الملائكة

(وجبلهم على عبادته فمنهم ملائكةً بقدرته للعرش حاملون وطائفة منهم حول عرشه يسبحون وآخرون بحمده يقصدون
واصطفى منهم رسلاً إلى رسله وبعضٌ يدبرون لأمره)

هنا خلق الملائكة والملائكة خلق من خلق الله جل في علاه خلقهم الله جل وعلا من النور كما بين النبي صلى الله عليه
وسلم بأن الله خلق آدم من تراب قال (خلق الملائكة من نور وخلق الجان من النار كما قال خلق الله الملائكة من النور
وخلق الجان من النار وخلق آدم مما ذكر لكم؟ نعم فالملائكة خلقٌ لطيفٌ خلق من خلق الله جل وعلا خلقهم من نور لهم
قوة في عظيم الخلقة يدل على ربوبية الله جل في علاه لهم أجنحة كما بين الله جل في علاه انه خلق الملائكة (أولي أجنحة
مثنى وثلاث ورباع)

الإيمان بالملائكة ركنٌ من أركان الإيمان هو ركن أصيل من أركان الإيمان قال الله تعالى (ءامن الرسول بما أنزل إليه
من ربه والملائكة كل ءامن بالله وملائكته) والنبي صلى الله عليه وسلم لما جاءه جبريل فقال (أخبرني عن الإيمان قال ان
تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله)

فالإيمان بالملائكة ركنٌ من أركان الإيمان والمعنى انه لا يصح الإيمان بغيره يعني المعنى انه لو قال أنه ءامن بأن الله
الخالق الرازق المدبر إجمالاً وآمن بتوحيد الإلهية والربوبية لكن لم يؤمن بالرسول كفر لم يؤمن برسول واحد كفر (كذبت
قوم نوح المرسلين) لم يؤمن بالملائكة كفر والإيمان بالملائكة مراتب

الإيمان بأسماء الملائكة الذين سماهم الله جل في علاه يؤمن بوجودهم ويؤمن بوظيفتهم التي وظيفهم الله إياها لأن هذا
من ضمن قول الله تعالى (يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة) قال الله جل في علاه (تنزيل رب العالمين نزل به الروح
الأمين) (تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر) فإذا هذه دلالة على خلق جبريل عليه السلام قال الله تعالى
من كان عدواً لله وملائكته وجبريل وميكال) فذكر جبريل وميكال فلا بد من الإيمان بمن سماهم الله جل في علاه

والإيمان بوظيفته فجبريل عليه السلام هو سائد الملائكة وهو خير الملائكة على الإطلاق جعل الله جل في علاه هو
الوحي هو ناقل الوحي هو الرسول الملائكي الذي هو سفير بين الله جل في علاه وبين الرسول البشري فجبريل عليه
السلام موكلٌ بالرسالة بالوحي

ولذلك ورقة ابن نوفل لما قص عليه النبي صلى الله عليه وسلم ما حدث معه في الغار قال هذا الناموس الذي جاء لموسى
ولذلك قال له ليتني كنت فيها جذعاً يعني انا فاح عنك يعني حين يخرجك قومك قال او مخرجي هم لا يتصور ان هذا
سيحدث او مخرجي هم قال ما أحد بما أتيت به (إلا عودي) فالغرض أن قال هذا الناموس الذي جاء لموسى فلا بد من
الإيمان بجبريل عليه السلام وانه سفير الوحي

وميكائيل والإيمان بميكائيل وميكائيل هو موكل بالمطر والقطر وله أعوان من الملائكة فميكائيل تعلمون ان اليهود
يبغضون جبريل عليه السلام لأنه يأتي بالأحكام ويحبون ميكائيل لأنه يأتي بالمال يأتي بالرزق ملاعين ملاعين اليهود
ملاعين

الإيمان بجبريل ركن من أركان الإيمان بميكائيل أيضاً وهو موكل بالمطر كما قلنا

والإيمان بإسرافيل واسرافيل هو الذي التقم القرن وينتظر ان يؤذن له فينفخ في الصور

وأيضاً الإيمان بخازن النار مالك (فقالوا يا مالك ليقتض علينا ربك) الإيمان به أيضاً

والإيمان بالملائكة التي خلقها الله جل في علاه للذكر والتسبيح وللركوع والسجود قال النبي صلى الله عليه وسلم (أطت السماء وحق لها ان تأط ما من موضع شبر او ما من موضع اصبع إلا وملك راعع او ساجد)

وتكلم النبي صلى الله عليه وسلم على السماء السابعة وفيها البيت المعمور وكل سماء فيها بيت كالبيت الذي في الدنيا الكعبة شرفها الله وعظمها البيت المعمور يدخله سبعون الف ملك في كل يوم يطوفون ولا يعودون يعني كل يوم سبعون يدخلون هؤلاء السبعون غير السبعين الذين دخلوا أمس والذين دخلوا أمس فقال يدخلون يطوفون بالبيت ولا يرجعون وهذا في كل ليلة وهذا في كل يوم وفي كل ليلة

وأيضاً ملائكة جعلهم الله جل في علاه فقط لمجالس الذكر ومجالس العلم فله ملائكة يسبحون في الأرض ينظرون إلى خلق الذكر وحلق العلم فإن وجدوها قالوا هذه بغيتكم فيحفونهم إلى السماء حتى إذا انتهى المجلس صعدوا إلى ربهم جل في علاه فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي يمدونك ويمجدونك ويهللونك ويكبرونك ماذا يريدون يريدون الجنة مما يخافون يخافون من النار فيعطيه الجنة وينجيهم من النار ولما يقال فلان جاء لحاجة يقول الله جل في علاه هؤلاء القوم لا يشقى بهم جليسهم) لكن نؤمن بأن هناك ملائكة يسبحون في الأرض بغيتهم مجالس العلم

نؤمن أيضاً بالقرينين (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) يكتبون كل شيء ما يلفظ من شيء إلا هو مكتوب

وأيضاً ملائكة أخرى لكتابة أخرى الملائكة الذين يتعاقبون فيكم ويلتقون في الفجر وفي العصر هذه ملائكة الله جل في علاه ولا بد ان تعلموا ان في كل سماء الملائكة الركع غير الملائكة السجد لله جل في علاه فملائكة يركعون وملائكة يسجدون وملائكة يسبحون هم يلهمون العبادات فهم أكرم خلق الله على الخالق قال الله جل في علاه (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)

والحملة حملة العرش ثمانية عظيم خلقهم يعلمه الله جل في علاه

وأيضاً الملك الذي خلقه الله جل وعلا ما بين عاتقه إلى شحمته أذنه مسيرة خمسمئة عام سيراً والله تعالى خلق ادم وعظيم خلق جبريل دالة على عظيم ربوبية الله جل في علاه خلق له ستمئة جناح قيل صف لنا جناحاً من هذه الاجنحة ثم ابحت عن كيفية صفات الله لا يستطيع إلى ذلك سبيلاً قال (وجدته على كرسي يسد الأفق) ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم ذهب إلى خديجة رضي الله عنه فقال لها زملوني زملوني دثروني دثروني قالت لا والله لا يخزيك الله ابداً)

وهناك الملائكة الذين يحرسون النار والملائكة الذين يأتون بالنار يوم القيامة يؤتى بالنار لها سبعون الف زمام كل زمام يجره سبعون الف ملك

ملك الموت ونؤمن بملك الموت ليس له اسم ما جاء النص باسمه بحال من الأحوال ما قاله في اسمه كلها اسرائيليات ليس له اسم ظهر لنا يعني لكننا نؤمن بأن الذي يقبض الأرواح ملك الموت ومعه الأعوان الذين يأتون بالأكفان والحنوط إما في عليين وإما في أسفل سافلين

قال الله تعالى (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم) وفي الآيات قال (وما منا الا له مقام معلوم) حديث صحيح

ولذلك قال (فمنهم ملائكة بقدرته للعرش حاملون) السؤال الذين يحملون عرش الله جل في علاه واصدرت الأقدار أنهم تتحنن وجوهم عندما يرفعون يقولون سبحانه ما عبدناك حق عبادتك

والملائكة يقدسون ربهم ويسبحونه ويمجدونه وسبحانه جل في علاه

وهناك ملائكة أيضاً جعلهم الله جل في علاه لحفظ بني البشر ان لم يكن القدر ان لم يكن القدر (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) يعني هم من أمر الله يحفظونه إلا إذا جاء القدر يتركونه

والملائكة ليسوا بنات الله كما قال الكافرون (والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض) فوجدت ان الملك شفعا ليونس عليه السلام هذا الذي يعني يصعد إلينا في كل يوم من تسبيحه وذكره فكانوا فشفعا كانوا يشفعون له وأيضاً هو خير صديق للإنسان انت ترى ان سليمان عليه السلام قال (لاطوفن الليلة بمئة امرأة كل واحدة منهن تأتي برجلي يقاتل في سبيل الله فالتى الله على كرسيه جسداً اختبراً لم يحمل منهن إلا واحدة وأنت بشر آدمي لذلك واراها يقول قال له صاحبه يعني الملك قل ان شاء الله قل ان شاء الله فلما لم يقل لم يحدث ولو قال لكان دركاً لما أراد

هذا إجمالاً على ما قاله المصنف ثم قال (آدم عليه السلام وخلق آدم وهذا نبينه في الدرس القادم بإذن الله تعالى

ولذلك عمران ابن حصين قال كان تسلم علي الملائكة يعني تسلم عليه فاكثويت فلما اكتويت امتنعت فلما رجعت رجعت يعني لما رجع ذلك رجعت

هل يمكن ان تفصل القول بمعنى عدم جواز تعليق المشيئة؟ يعني لا يقول اللهم اشفني ان شاء الله. اللهم نجح ابني ان شاء الله. لأن هذا فيه سوء أدب مع الله جل في علاه كأنه هناك شيء يكره الله على شيء. لا جميع الأمور تحت يد الله وقدرته سواء (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون)

جزاكم الله عنا خير سبحانهك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الدرس السابع: آدم عليه السلام

قال: ثم خلق آدم بيده. وهو تكلم عن خلق الملائكة ابتداءً وثنى بعد ذلك بخلق آدم عليه السلام، ولأن خلق آدم عليه السلام أيضاً فيه دلالة على عظيم ربوبية الله جلّ في علاه. قال: ثم خلق آدم بيده وأسكنه جنته، وقبل ذلك للأرض خلقه ونهاه عن شجرة قد نفذ قضاؤه عليه بأكلها، ثم ابتلاه بما نهاه عنه منها، ثم سلط عليه عدوه فأغواه عليها، وجعل أكله لها إلى الأرض سبباً، فما وجد إلى ترك أكلها سبيلاً ولا عنه لها مذهباً.

وهذا دقيق النظر جداً في هذه المسألة العظيمة، ينظر فيها إلى الشرع وإلى القدر بعين الشرع وبعين القدر. يقول: ثم خلق آدم بيده، فيها إثبات اليد لله جلّ في علاه وأن الله جلّ في علاه خلق آدم تشريفاً لآدم بيده. فيها أولاً إذاً إثبات اليد لله جلّ في علاه، واليد صفة ثابتة لله جلّ في علاه من صفات الثبوتية الذاتية الخبرية، لا تثبت لله جلّ في علاه إلا بمحض النص، إلا بمحب التوقيف، أي لا مدخل للعقل فيها بحال من الأحوال لأنها من الصفات الخبرية التي مُسماها عندنا أجزاء وأبعاد، تثبت لله جلّ في علاه بالكتاب والسنة وإجماع أهل السنة.

أما الكتاب فقد قال الله جلّ في علاه: (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) [الفتح:10]، وقال الله جلّ في علاه: (مِمَّا عَمِلْتَ آيِدِينَ) [يس:71] على الأفراد والجمع، وقال الله تعالى: (لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدَيَّ) [ص:75] على التثنية. والله يدان سبحانه جلّ في علاه، لأن النبي صلى الله عليه وسلم في معرض المدح لصفات الكمال والجلال والبهاء والعظمة قال: "وكلتا يديّ ربي يمين". وأما الأفراد فهو مضاف والمفرد المضاف يعمّ، فلا إشكال بين الأفراد وبين الجمع. (مِمَّا

عَمِلْتُ أَيَّدِينَا [يس:71] للتعظيم، فنقول إذاً هذا لا خلاف فيه بأننا نثبت لله يدين من صفات الكمال والجلال والبهاء والعظمة.

وهنا تشريف آدم عليه السلام أن الله تعالى خلقه بيديه. والله كما أثبت اليدين، أثبت الأصابع وأثبت الأنامل، كما أثبت ذلك النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: "القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلّبها كيف يشاء، فأیما قلب أراد أن يقيمه أقامه وأیما قلب أراد أن يزيغه أزاغه". وقال: "رأيت ربي في أحسن صورة، فقال: يا محمد أتدري فيما يختصم المלא الأعلى؟ قلت: لا أعلم، قال: فوضع يده على صدري حتى شعرت ببرد أنامله"، فجعل الأنامل هنا مضافة لله جلّ في علاه إضافة الصفة للموصوف، بل وهناك روايات أثبتت الكف.

ثم خلق آدم بيده وأسكنه جنته. وهذا فيه رد على من اختلف هل آدم كان في الجنة التي هي جنة الخلد أم لا، والصحيح أنه كان في الجنة، هذا الصحيح أنه كان في الجنة ثم أنزله الله منها. وأسكنه جنته وقبل ذلك للأرض خلقه. وهذا أمرٌ جلال، أرايتم هنا المزني يلفت الانتباه إلى مسألة مهمة، إلى أن القدر يسبق وسبق القدر لابد من تحقيقه. قال: وقبل ذلك للأرض خلقه؛ يعني ما خلقه للجنة ابتداءً، خلقه للأرض ابتداءً وهياً الأسباب لذلك. ولذلك قال الحسن البصري: والذي نفسي بيده ما خلق الله آدم إلّا للأرض، ما خلقه للجنة. وهذه تجعلنا نتمسك بهذه المسألة العظيمة، مسألة إذا أراد الله شيئاً هياً له أسبابه.

إن الله جلّ في علاه أراد آدم في لأرض وأراد لهذا الصراع أن يقوم بين آدم وبين عدوه اللدود إبليس، عندما أمر الله بالسجود فأبى واستكبر وكان من الكافرين، فصارت الحرب مشتعلة مستعرة بني آدم وبين إبليس. وهكذا الله تعالى إذا أراد شيئاً هياً له أسبابه، إن أراد الرفعة والتمليك ليوسف عليه السلام ليحكم مصر عزيزاً كريماً، فهياً كل الأسباب إلى

أن يصل يوسف عليه السلام إلى مصر. يوسف ما كان لأحد أن يتوقع بحال من الأحوال أن يكون بمصر، ولا هو ولا أهله، إلا أن يكون بتهيئة هذه الأسباب، عندما رأى الرؤيا وحذّره أبوه أن يتكلم بهذه الرؤيا.

هذه مسألة عظيمة جداً، مسألة إذا أراد الله شيئاً هيأ له أسبابه. وهذه مسألة في قلب القدر في هذا الباب لأن التأصيل العام أن الله جلّ في علاه أناط المسببات بالأسباب وخلق السبب والمسبب، وقد يتخلف السبب عن المسبب لحكمة عظيمة، لكن من سنن الله الكونية أنه لا يظهر المسبب إلا بعد الأخذ بالسبب. فقد هيأ الله جلّ في علاه هذه الأسباب ليكون آدم في الأرض.

قلنا بأن يوسف عليه السلام هيأ الله له الأسباب حتى يصل إلى مصر، وقلت إنه ما يمكن لأحد أن يتصور يوسف أن يكون عزيز مصر، هو مع أهله لم يكن في مصر ولا قارب مصر بحال من الأحوال. لكنه عندما رأى الرؤية فقال له أبوه محذراً: (قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ) [يوسف:5]، فقصّ على إخوته وخالف كلام أبيه وكل ذلك لتحقيق القدر. لا بد أن نعقل عن ربنا وننظر في الحكم لم يحدث هذا؟ يقف الانسان متعجباً قد يتجاوز حدوداً ما كان له ولا في ذهنه ولا كان في قلبه يختلج في نفسه احتمالاً أنه يمكن هذه الخطوط أن يتجاوزها الإنسان أو يتعدها، لكنه في النهاية إن كان يعقل عن ربه جلّ في علاه يقول: والله حكمٌ وشؤون في عباده، ما وراء ذلك أن الله جلّ في علاه يحقق ما قدره، وأن ما قدره الله جلّ في علاه لا بد أن يكون ولو وقفت الدنيا بأسرها أمامه، ولو قدر في شيء ألا يكون ولو وقفت الدنيا دفعا له لن يكون. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لن يضروك بشيء إلا ما كتب الله عليك".

لذلك هيا الله الأسباب ليوسف فوق هنا في المحذور وخالف الوالد وقصّ على إخوته، حصل الحسد ثم أخذ يوسف. كاد يقتل فمنع الله ذلك تهيئةً للأسباب التي أرادها الله جلّ في علاه، لأنهم أرادوا قتله في البداية، والله ما أراد ذلك فلم يكن ذلك. (قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْفُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) [يوسف:10]، فَرَأَوْهُ بِيْعَ بَثْمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) [يوسف:20]، هكذا سبحان الذي لا يعلم أقدار خلقه إلا هو، الكريم ابن الكريم يباع بثمان بخرس دراهم معدودة كم قيمته عند ربه جلّ في علاه، لم يكن له قيمة عند إخوته. ولكن تفرّس فيه الرجل الذي اشتراه، هكذا النبلاء العقلاء بهم تحقق الأماني، لكن السفهاء ما يمكن أن تحقق بهم الأماني بحال من الأحوال ولو صلحت نواياهم. ولأن صلاح النية لا يمكن أن يصلح العمل الفاسد.

(وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ * وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ) [يوسف:20-21]، هذه البداية الآن إذا أراد الله شيئاً هيا له أسبابه (أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) [يوسف:21]. أنا أضرب مثلاً واحداً ولو وقفنا مع هذه المسألة، مسألة عظيمة جداً كلها في أبواب القدر تتفتح، لكن أردت أن أبين ما قاله المزني هو الذي قاله الحسن البصري. قال: والذي نفسي بيده أول ما خلق الله آدم ما خلقه للجنة، ما خلقه إلا للأرض. ولذلك لما موسى عليه السلام حجّ آدم كانت الحجة مع آدم على موسى، كما سيأتي.

فهيا الله الأسباب فقال (أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) [يوسف:21]. الله ماذا قال: (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) [يوسف:21]، إلى آخر الآيات. ثم بعد ذلك بلاءً للتمكين، لذلك الله جلّ في علاه يبين ذلك لنا أن المنح لا بد لها من تقدمة المحن، (حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَّسَاءِ) [يوسف:110]، (حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ؟ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ

قريبٌ [البقرة:214]، "يضحك ربكم من عباده، يقنطون مع قرب غيره". فهياً الأسباب حتى له احتاج الملك في الرؤيا، فأول الرؤيا فصار عزيزاً.

آدم عليه السلام خلقه الله للأرض لا للجنة، عاش في الجنة هو وزوجه ثم كانت الغواية، وسلط الله عليه الشيطان حتى أغواه فأكل الشجرة، وهذه تهيئة للأسباب حتى ينزل آدم في الأرض. ما الذي يضر آدم في هذا الباب؟ لا شيء يضر آدم إلا تجاوز الحد والمعصية التي وقعت فقط، لا يضره إن كان في جنة أو كان نار أبداً، هو الذي يضره أن يتعدى أو يتجاوز حدود الله جلّ في علاه الذي حدّها له، وقد وقع فيها. نهاه الله جلّ في علاه أكل الشجرة، وما نهاه إلا ليوقعه فيها. سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، **(إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)** [النحل:40].

فسبحان من جلت قدرته إذا أراد شيئاً هياً له أسبابه، ولذلك قلت الذي يجهل عن الله لا يدري لم يفعل الله ذلك، قد يقع المرء في المحذور ويتعجب ويجلس يتندم ويبكي هذا مطلوب منه، يتعجب ويتندم ويبكي لأن هنا مصلحتان تقعان بالقدر وبالشرع. ما هما المصلحتان؟ هذه اسمها خفي العلم ولطفه. مطلوب هنا الآن مصلحة شرعية ومصلحة كونية ما هما؟

إجابات الطلبة:

- شرعية أن يعلم آدم التوبة، أما الكونية نزوله إلى الأرض وخلافته وعمارته إياها.

- الإكثار (***) ومعرفة ما سيجري على....

- أن يعلم أن الله وحده بيده توفيقه فلا يعجب بعمله.

ما شاء الله الجميع من طلبة العلم كل أخذ طرفاً من أطراف المسألة وصب النظر عليها ووقف عندها وهذا ممدوح جداً.

- كذلك لا يزدري من وقع في ذنبٍ مثله، وكذلك يتعبد لله بأسماء التواب الغفور.

ما شاء الله ما هذا جمال.

- ليستغفر فيعلو قدره، والقدرية أن ينزل إلى الأرض.

- دليل على أن الكمال لله وحده والنقص في عباده.

- النظر إلى التعدي بعلم القدر لأنه لا بد أن يكون حكمة عظيمة (***) الشرع لزوم الاستغفار.

- أنه قدّر المعصية وأرادها شرعاً ومع أنه لا يحبها وذلك للابتلاء، وقدّر التوبة والأوبة وهي للمصلحة الشرعية حتى يتقرب العبد لربه ويرتفع درجات كسيدنا آدم.

قلت طلبة العلم هنا أفذاذ، كلُّ نظر بعينٍ جميلةٍ فأتى بمسائل أجمل ما تكون. أنا لا أستطيع أن أتعدى كل هذه الإجابات، كلها كلُّ نظر بطرفٍ إلى المسألة فادلى بدلوه. الله أكبر، مسائل عظيمة جداً في هذا الباب. الحق أننا نقول هنا مصلحتان عظيمتان من المصالح التي تحقق لا تُحقق إلا بالشرع والقدر: المصلحة الأولى إنابة آدم عليه السلام وانكساره وذله لربه، ذكر ابن كثير بأن آدم عليه السلام ما رفع رأسه من الأرض إلى السماء مدة ما عاش أو زمناً ورضحاً طويلاً من الزمن استحياءً من الله جلَّ وعلا لم ينظر إلى السماء بسبب الأكل من الشجرة مع أن الله قدّر عليه ذلك.

والأمر القدري الذي هو من الأهمية بمكان، طبعاً هو أصالةً أيضاً لتقرأ ما بين السطور بأن الإنسان قد تكون المعصية سبباً له في رفعته عند ربه جلَّ في علاه وفي تمكينه في الأرض، وهذا عجب! لأنه بعين الشرع فقط نقول لا، إنما نزل بلاءً بذنب، نقول ينتقص القدر بالذنب، بالذنب تنزل الرتبة، بالذنب ينزل البلاء. لكن بالذنب ترتفع الرتبة، بالذنب

يتملك المرء هذا عين العالم، هذه عين العالم الذي يحص النظر غوصاً في معرفة ما وراء الحدث.

وإذا كنا بالتقعيد العام لا يُمكن المرء حتى يبتلى، قد يبتلى بمثل هذه المعصية لِيُمْكِنَ، الله له حكمٌ وشؤون في عباده سبحانه جلّ في علاه. فآدم عليه السلام ما مُكِّنَ إلا بالمعصية، فآدم عليه السلام نزل إلى الأرض وعمّرها وكان له الولد، وتاب توبةً رفعتَه درجةً عند ربه جلّ في علاه. فأجمع العلماء أن ما كان من آدم بعد المعصية، أن درجته بعد المعصية عند ربه جلّ في علاه كانت فوق ما كانت قبل أن يعصي الله ويأكل من الشجر، ثم يأتي القدر لِيُمْكِنَ ما أرادَه الله جلّ في علاه.

لذلك البصر النافذ من الإمام المزني، والدليل على ذلك لما قال سليمان عليه السلام، أيضاً قدرٌ من الله جلّ في علاه من أجل يتمكن سليمان وأن يكون له ما كان مما قاله النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: "لولا دعوة أخي سليمان لوجدتموه مربوطاً في سارية المسجد يلعب به الصبيان"، الجن يعني. بعدما قال: (فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ) [ص:32]، قال: (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) [ص:35]، وقد استجاب الله جلّ في علاه وجعله ملكاً نبياً ما من أحدٍ من الملوك عنده ما عنده سليمان عليه السلام، (قَالَ أَنُمِدُونَ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ) [النمل:36]. ولذلك عظيم نظر الإمام المزني فيما يقول: ونهاه عن شجرةٍ قد نفذ قضاؤه عليه بأكلها.

لذلك نقول دائماً المتقن من أتقن أبواب الاعتقاد، فمن إتقان أبواب الاعتقاد هو النظر بعيني القدر والشرع، نهاه شرعاً عن المعصية وقدرها عليه. يا الله فسبحانك ربي ما أعظم شأنك. ما نهاه لأنه لا يحبها، نهاه لأنه لا يريدُها، كل ذلك شرعاً وقدرها عليه كوناً. ولما

قدَّرها مع عدم حبه لها للأثر، لأنه أراد الأثر. والمسألة هنا في النظر الدقيق الأثر لن يصل إليه إلا بالتعرج على هذا الباب، مع أنها بوابة فيها ما فيها من الإيلام، فيها ما فيها من العراقيل، فيها ما فيها من الشدة واللأواء، لكن هكذا قدَّر الله أنه لا يعبرها إلى الأثر الذي أراده وقدَّره كوناً إلا عن طريقها. وطبعاً لا بد أن تقول أما كان لطريق أسلم أن يصل به إلى هذه الثمرة، هذا المُسبَّب، هذه النتيجة. لا هناك طرق يصل بها الإنسان إلى ذلك لكنها لا تكون محكمة متقنة بالغة ما بلغت من الإتيان والإحكام وعظيم الثمرة إلا بالعبور على هذا الجسر. ولا يمكن أن يصل إليه المرء إلا عن هذا الجسر. فسبحانك ربي ما أعظم حكمتك، سبحانك ربي ما أعظم تقديرك.

فهنا أيضاً غوص الإمام المزنّي، لذلك قلت الشافعية أكثرهم الله أعطاهم دقة نظر وذكاء يعني لم يعطى أحد من العلماء مثل هذا العطاء في علماء الشافعية، والله تعالى أعلى وأعلم. ولذلك العالم الراسخ، رسوخ العالم يظهر بدقة نظره وغوصه في الأدلة. قال: نهاه عن الشجرة قد نفذ قضاؤه عليه بأكلها. لم نهاه؟ ما هو الله يعلم قبل خلق آدم أنه سيأكل من الشجر؟! قلنا لأن البشر كما قال هو في أول المسائل، هم صائرون إلى ما قدَّر الله جلَّ في علاه، ولأن قدر الله كله حكمٌ عظيمةٌ.

فلذلك قال: ونهاه، بعين الشرع لتعلم الفرق بين عين الشرع وعين القدر. عين الشرع فيها المحبة، عين الشرع فيها المحبة وعين القدر ليست كذلك، عين الشرع فيها المحبة تخصيصاً وعين القدر فيها التعميم، بين شاسع وفرق واسع بين العيين مع وجود التلازم. فنهاه عن الأكل من الشجرة وقضى عليه أن يأكلها، سبحانك ربي ما أعظم حكمك، وقد نفذ قضاؤه عليه بأكلها دلالة واضحة جداً كما قلنا.

أما المكلف فليس له بعين القدر فيحتج بها على عين الشرع، كما فعل البله السفهاء من الجبرية أو من الأشاعرة الذين يُغلبون عين القدر على عين الشرع ويقولون هذا ينفذ إرادة الله جلّ في علاه، ولذلك لهذا المذهب السوء دخل الرجل على امرأته فوجد رجلاً عليها فأخذ السيف فقال له الرجل وهو عليها (يا سلام على البجاجة) فقال له: تمهل والله ما فعلت ذلك إلا بقدر الله. هنا الجهل هنا الجهل هنا العين العوراء، قال: ما فعلت ذلك إلا بقدر الله، فأسقط السيف وقال: آمنت بالله. المرأة بعد النخوة انهارت، المرأة لما رأت ذلك قالت والله أن هذا لمذهب سوء، المذهب هكذا هذا مذهب سوء.

الفقه الدقيق لما أخذ عمر بن الخطاب السارق ليقطع يده قال: أمهلني يا أمير المؤمنين، والذي نفسي بيده ما فعلت ذلك إلا بقدر الله، قال: لا أمهلك، والذي نفسي بيدي لا أفعل ذلك بك إلا بقدر الله. قدر يدفع بالقدر وعين الشرع تُحقق وهذا هو العلم، قدر يدفع بالقدر وعين الشرع تحقق لأن الله ما شرعها إلا وأرادها أن تحقق، ما شرعها إلا لتحقيق.

قال: ونهاه عن شجرة قد نفذ قضاؤه عليه بأكلها. والله هذا خفي على كثير ممن يطلب العلم. قال المصنف: ونهاه عن شجرة قد نفذ قضاؤه عليه بأكلها، ثم ابتلاه بما نهاه عنه منها. هذا غوص، والله هذا غوص. كأن الله جلّ في علاه كأي برّبي وهو يقول لأدم لا بد أن تلجأ إلى هذه المعبرة، وإن كانت وعرة، وإن كان فيها ما فيها من انكسار قلبك، وإن كان فيها ما فيها من الألم العظيم الذي سيصيبك والندم الذي أحبه منك فأراه فيك على التجاوز والتعدي. يا الله سبحانه ربي العالم بحق من وقف يتدبر إلى أفعال الله جلّ في علاه.

ثم سلط عليه عدوه فأغواه عليها. أرايتم كيف مكن لعدوه من غوايته من أجل أن يصل إلى قدره، والله على كل شيء قدير، وله في عباده حكم وشؤون. والبار بالحق والعالم بحق هو الذي ينظر في المآلات وينظر للآثار مع أطواره بالكلام على المسائل العظيمة التي تبين

عين الشرع. ثم سلط عليه عدوه فأغواه عليها، وجعل أكله لها إلى الأرض سبباً، فانظر هنا إناطة المسببات بالأسباب، وجعل أكله لها إلى الأرض سبباً، فما وجد إلى ترك أكلها سبيلاً ولا عنه لها مذهباً. فكان كوناً لا بد أن يأكل لكن هنا مع دقيق اللطف فيما قدره الله جلّ في علاه على آدم أمرٌ جلّ، أرجو أن أرى دقيق اللطف في فعل الله مع آدم أن تأتوني به. أريد دقيق اللطف في هذه القصة مع آدم عليه السلام. ولذلك كان المزني من أعلم الناس عندما قال: وجعل أكله لها إلى الأرض سبباً، فما وجد إلى ترك أكلها سبيلاً ولا عنه لها مذهباً. هذه المسألة مهمة، دقيق اللطف فيما قدره الله جلّ في علاه على آدم.

اللطف في القضاء والمعذرة بضعف النفس، هذا الذي أردته. أن الله جلّ في علاه ما ترك آدم هكذا فيظن به أحد ظناً فاعتذر لآدم وأظهر عذره، وبين أنه لولا العذر لما كانت الثمرة الأخرى التي لفت الانتباه إليها، هو ما وُفق للتوبة إلا أنه لم يعزم على المعصية، ومن عزم على معصية أقسم لا يوفق للتوبة، من عزم على المعصية لا يوفق لتوبة. طبعاً أنا ممكن أسأل لِمَ؟ ما الذي جعلك تقول بذلك وتجزم به؟ هو العزم على المعصية دليلٌ على الإصرار، والمُصرّ لا يوفق، فالإصرار استخفاف واستهانة.

والمُصرّ لا يوفق لِمَ؟ لأن الله تعالى قال: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ) [أل عمران: 136]، استغفروا لِمَ؟ هكذا لا بد أن ترى في هذا، طبعاً أنا اقصد الغالب في هذا، قال: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ) [أل عمران: 136].

أنا لا أحكم حتى كمان لا أعطي حكماً، أنا أريد تصوراً علمياً فقط. حتى لا يأتي متنتع ويقول إذا أخذتم الناس بالمآلات هذا ليس هذا المقصود، المقصود تصور المسألة.

قال النبي صلى الله عليه وسلم في مسند أحمد: "ويلٌ للمُصِرِّين، الذين يَصِرُّون على ما يفعلون". قال: "ويلٌ لأقماع القول، وويلٌ للمُصِرِّين الذين يَصِرُّون على ما يفعلون". ولذلك الآية ظاهرة جداً، فالله جلَّ في علاه من اللطف الخفي في المسألة هذه برمتها، بعدما وقع في المعصية وأكل من الشجرة ونزل إلى الأرض؛ أولاً الله جلَّ وعلا اعتذر له والاعتذار كانت ثمرته أن وفقه للتوبة فقبله، ومن ثمراته أن كانت له الحجة على نبي آخر أراد أن يراجعه على ما حدث له، فهنا لم يصب. قال الله جلَّ في علاه: (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً) [طه:115]، وهذا من رب السماوات العلى، انظر كيف الله يدافع عن أوليائه حتى في معصيتهم، يا لله لك الحمد ربنا.

ولذلك ترى أن المؤمن بحق هو الذي ينظر إلى أخيه المؤمن فيدافع عنه حين الزلل، والله هذا محض الإيمان، وهذه أصالة لم تفتح لأي أحد. أنت الآن طبعاً ترى أن البقرة إذا وقعت الله المستعان، لكن الله جلَّ وعلا لطيفٌ بعباده. هذه ليست لأحد، أنظر كيف أن الله يدافع عن وليه حين معصيته ويكره الله منه المعصية، ولكن يحب فيه التوبة والإنابة. قال الله جلَّ في علاه: (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ) [طه:115]، أنظر هنا الاعتذار ظاهر جليٍّ فيما يقرره الله: (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً) [طه:115]، لم نجد له عزمًا وقصدًا إلى ذلك.

قال: (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى) [طه:115-116]، إلى آخر ما جاء لكنه قال: (فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى) [طه:120-121].

ثم الثمرة الثانية التي نختم بها أن الله جعل الحجة له على مراجعة موسى عليه السلام. أي نعم كان يرجع إلى بيته فيستغفر لهم هذا فعل الأنبياء وفعل الرُفُعاء النبلاء، أما فعل الأغرار فصعبٌ جداً. جاء موسى عليه السلام فقال: أنت آدم، أنت أبونا، أنت الذي أخرجتنا ونفسك من الجنة، فنظر إليه آدم منكراً كيف يخرج هذا الكلام من نبي من أولى العزم من الرسل، قال: أنت موسى، موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده، ثم قدم له المقدمة أنك أرفع من ذلك ولا تخطئ ولا تقع في مثل هذا.

وطبعاً ننأى بأذهاننا جميعاً ترفعاً وتنزهاً لموسى عليه السلام أن يكون عير آدم بمعصية تاب منها، أصالة التعبير بالمعصية حتى قبل التوبة إثم فوق المعصية. الله أكبر، التعبير بالمعصية إثم فوق الإثم الذي وقع فيه العاصي، يعني إثمه فوق المعصية التي وقع فيها العاصي. ما أدري من الذي لا يفهم مثل هذا؟ كيف يقعون هم متصدرون للناس مثل هذه؟ أنا رأسي ستذهب، ما أدري ما أقول إلا أن أموت كمدأ أو أسكت. أمرٌ جَل الذي يعير. الاعتذار للنبلاء تحلي بصفات الله سبحانه وتعالى.

دائماً كنت أقول جهلتم فقه التعامل مع الله جلّ في علاه ليتهم يسمعون النصيحة. نعم التعبير بالمعصية وإن لم يتب صاحبها منها ذنبٌ فوق المعصية التي وقع فيها العاصي، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا زنت أمة أحكمم فليجد فليجلدها الحد ولا يُثَرَّب، فإن زنت الثانية فليجلدها الحد ولا يُثَرَّب". شرع الله لأبد أن يقوم، "ولا يُثَرَّب، فإن زنت الثالثة فليجلدها الحد ولا يُثَرَّب". هذا علمٌ خفي لا يعلمه إلا من فتح الله مسامع قلبه وعين بصيرته. الغرض المقصود قال: "ولا يُثَرَّب"، ولما قال خالد: لعنة الله عليك ما أكثر ما يؤتى بك! قال: "لا تلعنوه فإنه يحبُّ الله ورسوله".

الغرض المقصود جاء موسى السلام، وننأى بأذهاننا أن موسى يعير أبداً لكنه يراجعه على هذه المصيبة والأواء، لأن موسى انكوى بهذه النار عندما قال: (إِنِّي لِمَا أُنْزِلَتْ إِلَيَّ

مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ [القصص:24]. فقال آدم: أنت موسى، موسى بني إسرائيل، اصطفاك الله برسالاته وكلامه وخط لك التوراة بيده؟! قال: نعم، فقال له: أتُلومني على أمرٍ قد كتبه الله عليّ قبل أن يخلقني؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم هنا: "فحجّ آدم موسى، فحجّ آدم موسى، فحجّ آدم موسى".

إن قلنا بالقول المرجوح الضعيف أنه عبّره بالمعصية، فقد تاب منها ولا يعاير أحد تاب من معصيةٍ والثمرة بعد ذلك حتى ولو كانت مترتبة لا يتحملها. وإن كانت على الأصح في هذا الباب أنه لأمه على المصيبة، فالمصائب يمكن للإنسان أن يحتجّ فيها بالقدر. وقد يقال إذاً يحتج بالقدر على المعاصي بعد التوبة، نعم لأنها سبب للمُسبّب، ولَمّا أباح في المُسبّب قد يباح للسبب بالتقييد لا بالتعميم. لَمّا أباح للمُسبّب على التعميم قد يباح للسبب على غير التعميم، كلام مغلق يفتح هنا الآن. لَمّا أباح الشرع الاعتذار بالقدر على المصائب لا يد فيها على الإطلاق لأنه لا فعل له هذا فعل لله جلّ في علاه فله أن يحتج، وهذا المُسبّب لأنه ما كان نتيجة للسبب الذي وقع فيه وهي المعصية.

قلنا إذاً له أن يحتج بالقدر على السبب لكن بالتقييد لا بالإطلاق، لأنه لو احتج به لعطلّ الشرع ولكن لَمّا أتى بالشرع الذي أُمر به بالتوبة فقد أتى بالعينين في الشرع لا في القدر له أن يحتج هنا بالقدر. ونقف عند هذه المسألة العظيمة التي لا انفكاك عنا من أن نتعلم منها العلم الغزير.

السنة للمزني

ما زلنا مع شرح السنة للإمام العلم الامام المزني نعم قال المصنف رحمه الله تعالى أعمال اهل الجنة والنار. ثم خلق للجنة من ذريته اهلأ فهم بأعمالها بمشيئة عاملون وبقدرته وارانته ينفذون وخلق من ذريته ذرية آدم عليه السلام وخلق من ذريته اهلأ للنار اهلأ فخلق لهم اعينا لا يبصرون بها واذا لا يسمعون بها نعم وقلوبا لا يفقهون بها فهم بذلك عن الهدى محجوبون وبأعمال اهل النار بسابق قدرته او قدره يعملون هنا نتكلم عن مسائل ومن هذه المسائل اصلها الاصيل وهي فرغ ربكم من العباد بان الله خلق الخلق وعلم اهل الجنة من اهل النار وكتب اهل الجنة واهل النار بعد ما خلق الخلق جميعاً هذا اصله في قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وارضاه ان الله مسح على ظهر ادم فاخرج ذريته فقال هؤلاء للجنة ولا ابالي وهؤلاء للنار ولا ابالي قال مسح على ظهره بيده اليمنى فاخرجه ليسلم فقال هؤلاء للجنة ولا ابالي ومسح بيده الاخرى نعم فاخرج ذرية فقال هذه للنار ولا ابالي وفي تفسير قول الله تعالى (واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى) نعم جلس النبي صلى وسلم على مقبرة فجاءه بعض الصحابة وقال يا رسول الله اريت ما نعمل ثم نحن فيه افي امر قد مضى وانقضى ام هو امر الانف قال له بل في امر قد مضى وانقضى من قال فيما العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له قال اعملوا وفي حديث عن عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنه في مسند احمد خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابان كتابه في يمينه وكتاب في شماله فقال للكتاب الذي بيمينه هذا كتاب اهل الجنة باسمائهم واسماء ابائهم ثم اجمل ذلك لا زيادة ولا نقصان هذا كتاب باسمائهم للنار واسماء ابائهم وذريتهم ثم اجمل على ذلك. ثم قال فرغ ربكم من العباد لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم وان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة حتى لا يكونوا بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان الرجل ليعمل بعمل اهل النار حتى لا يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه بعمل اهل النار فيدخلها لذلك قال ثم خلق للجنة من ذرية آدم اهلأ فهم بعملها بمشيئته عاملون والمعنى ان الله جل وعلا يحاسب الفريقين على اعمالهم فيها دلالة على الرد على الجبرية الذين يقولون ان حقيقة الامر انها ليست اعمال العباد بل هي افعال الله جل في علاه الجبرية يقولون اننا فقط المنفذون لارادة الله جل وعلا واننا كالشجرة او كالريشة في مهب الريح لا عمل لنا هو ينسب لنا مجازاً وحقيقة الامر ان العمل عمل الله جل في علاه الجبرية يحتجون بالقدر بهذه الطريقة ويضربون به الشرع والقدرية يضربون القدر ولا ينظرون اليه ويحكمون الشرع هؤلاء يعتبر اعظم قولاً او افضل قولاً من الجبرية وكلاهما على ضلال مبين لكن في قوله فهم بعملها بمشيئته عاملون فيها اولاً انه محاسبون بأعمالهم وانا الاعمال تنسب لهم حقيقة وهم عاملون لها حقيقة لذلك قال الله تعالى عن اهل الجنة (ان تلكم الجنة اورتتموها بما كنتم تعملون) وقال عن اهل النار ذلك بما قدمت يدك وان الله ليس بظالم للعبيد) قال (ان تلكم الجنة اورتتموها بما كنتم تعملون) نعم (من عمل صالحاً من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنجينه حياً طيبه ولنجزينهم بأحسن ما كانوا يعملون) وقال وما منعهم أن تقبل منهم نفقتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله فذلك قال بأعمالها بمشيئته عاملون وقدرته وارانته وبارادته ينفذون وفي قول وبارادته ينفذون هذه تبين لنا ايضاً قول النبي صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدكم الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته هذا لا خلاف فيه مع قوله (ان تلكم الجنة اورتتموها بما كنتم تعملون) ان الجنة لا تكون إلا برحمة الله وسبب الرحمة والوصول الى الرحمة العمل الصالح الذي يعمل به الانسان لذلك قال والعمل الصالح يرفعه. فاذاً في هذا الباب لا بد ان نقول لنا نظران في الرد على العيينين العورائين ان نقول للعبد فعل وفعل العبد تابع لفعل العبد جل في علاه ولا يكون للعبد فعل قط الا اذا اذن الله بذلك وقال الله تعالى (وما تشاءون الا ان يشاء الله رب العالمين) وعمل العبد مخلوق للرب جل وعلا فينسب للرب خلقاً واجاده وينسب للعبد فعلاً واكتساباً لذلك قال خلق للجنة من ذريتي اهلأ ولا بد ان نعلم شيئاً مهماً جداً خلق خلق الجنة ما خلق الجنة من ذريتي اهلأ معناه هنا وبأعمالها بمشيئته عاملون هذا تفضلاً وتفضلاً وكرماً من الله جل في علاه بأنه تفضل على عباده باوليته على ادخالهم الجنة وادخل الايمان في قلوبهم وتوفيقيهم للأعمال ولولا ذلك لولا الله جل في علاه ما عملوا بذلك العمل ولذلك قال (واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة) وقال الله تبارك وتعالى وما بكم من نعمة فمن الله) يا عبادي انما هي اعمالكم احصيتها عليكم ثم اوفيك اياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه قال الله جل وعلا ومن تشاءون الا ان يشاء الله الباء في الآية ليست للمقابلة بأي شيء كيف يقال ذلك خطأ بَيِّن لو قلنا بقول الله جل في علاه ان تلكم الجنة اورتتموها بما كنتم تعملون (ان الباء هنا للمقابلة دخل في قول المعتزلة في هذا الباب لا يصح ان تلكم الجنة اورتتموها بما كنتم تعملون) الباء هنا للسببية بسبب ما كنتم تعملون نلت رحمة الله ودخلتم الجنة وفي الحديث الا ان يتغمدني الله برحمته والاخرى خلق النار وخلق لها اهلأ وجعلهم بأعمال اهل النار يعملون وهذا عدلاً منه يعني هذا كان عدلاً منه لأن الله جل في علاه علم ان هذا ان هؤلاء أعمالهم لا تصل بهم الى مرضات الله جل في علاه كفروا بالله وبرسوله وعاندوا وارادوا لهوا ولعبا وخلودا في الدنيا لذلك بعمل اهل النار هم يعملون عدلاً عدلاً الله جل وعلا ...

لم يوفقهم للهداية لانهم ليس محلاً قابلاً للهداية قال الله تعالى (أما تمود فهديناهم فاستحقوا العمى على الهدى) وقال الله جل في علاه (واضله الله على علم) لذلك لم يوفقهم للهداية وخذلهم ووكلمهم لأنفسهم وكان فيهم الجحود ولو نظرت الى شريحة من هؤلاء الكفرة الذين خلقهم الله لناره ترى ذلك منهم هم الذين قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب قريب لذلك قال الله تعالى ذلك بما قدمت يدك وان الله ليس بظالم للعبيد وقال الله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس هذا ايضاً جعلنا نقول بان الله اذا اراد شيئاً هيئ له اسبابه وان الله يحاسب العباد على اعمالهم لإقامة الحجة عليهم والا لو اخذهم بعلمه لكانت لهم الحجة على الله جل وعلا لذلك ارسل

الرسول وانزل الكتب ثم بعد ذلك جعلهم يعملون بهذه الاعمال فلا ينفكون عنها ويحاسبون عليها (اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون) واما التوفيق فمن الله جل وعلا وفق عباده المؤمنين الى العمل بما يرضيه ويدخلهم بذلك الجنة فضلا منه وتركما ونعمه (وما بكم من نعمة فمن الله واولحنا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة) واما اهل الكفر فانهم لما زاغوا ازاع الله قلوبهم ليس ظلماً وعدلاً قل بان الله جل في علاه كان عليمًا حكيمًا كما قال الله تعالى ان الله كان عليمًا حكيمًا يدخل من يشاء في رحمته يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً انظر ماذا قال إن الله كان عليمًا حكيمًا يدخل من يشاء في رحمته يدخل من يشاء بعلمه وحكمته بانهم من اهل الجنان ويعمل اهل الجنان يعملون فادخلهم الجنة ان الله كان عليمًا حكيمًا يدخل من يشاء في رحمته والظالمين صدر الباب بوصفهم انهم كانوا ظالمين لتعلم ان الله تعالى لم يظلمهم في شيء وانهم ما عملوا بما ينجيهم عند ربهم جل وعلا والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً وهؤلاء الذين اراد الله جل وعلا غوايتهم كما قلت لانه من علمه وحكمته علم انهم ليسوا محلاً قابلاً كما قال الله تعالى "وما ينفككم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم" الله جل وعلا ينظر للقلوب ويعطي عليها والا فالفتنة صارت فتنة القلب نعم قال الله تعالى انظر الى سياق الايات "يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هاجروا سماعون للكذب سماعون لقوم اخرين لم يأتوا يحرفون الكلم عن مواضعه يقولون ان اوتيتهم هذا فاحرجوا وان لم توتوا فاحذروا

من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم " هنا لفته عظيمة جدا في هذه الايات لتعلم ان الله جل في علاه فعل ذلك عدلاً منه وحكما ايضاً بالاصل الاصيل ان الله كان عليمًا حكيمًا يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وهذا نص في مطلع الاية على المنافقين وفعل المنافقين وانهم يخادعون الله وهو خادعهم لذلك قال ولم تؤمن قلوبهم ومحل نظر الله القلب ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم اخرين لم يأتوا انظر الى عملهم حتى تعلم لم ختم الله على قلوبهم لم استدرجهم الله ففتح لهم الفتنة في قلوبهم يحرفون الكلم من بعد مواضعه يبقى اذاً بما سبق بفعلهم كانت مشيئة الله جل في علاه على خذلانهم يحرفون الكلم من بعد ما مواضعه يقولون ان اوتيتهم هذا فخذوه وان لم توتوه فاحذروا هذه طبعاً قصة بني اسرائيل قصة اليهود عندما قالوا اذا اتاكم بالجلد والتحميم فخذوه واذا اتاكم بالرجم فاحذروا وان لم توتوا فاحذروا ماذا قال الله جل وعلا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً يعني هؤلاء الذين حرفوا الكلم عن مواضعه هؤلاء الذين ارادوا طمس الحقائق وقالوا اذهبوا الى محمد ان اتاكم بما تريدون وما تحكمون من الجد والتحميم فخذوه ويكون نبي قد وافقكم على ما حكمتم به في هذا البلد لانهم كان في قصتهم انهم اذا زنى فيهم الشريف لم يقيموا على الحد واذا زنى الوضيع اقام عليه الحد فقالوا دعونا نجعل حكماً يكون عاماً في الشريف والوضيع فحرفوا الكلم عن مواضعه والغوا الرجم وجعلوها جلداً وتحميماً فقالوا اذهبوا الى النبي ان وافقكم فوافقكم نبي ولا عتب عليكم في هذا الباب وتقولون النبي وافق هو الذي شرع ذلك ولذلك لما اتوا للنبي صلى الله عليه وسلم قال لهم ماذا تجدون حكم الزاني في التوراة؟ قالوا الجلد والتحميم قال فاتوا بالتوراة فتلوها ان كنتم صادقين فلما تلاها ووصل الى اية الرجم وضع يده عليها فقام عبداً ابن سلام فضربه على يده وقال له انزع يدك لكع فخرج فيها الرجل فرجم فيقول الله جل وعلا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم انظر قال ولكن الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي لهم في الآخرة عذاب العظيم لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لانهم يحرفون الكلمة عن مواضعه ولانهم امنوا بالسنتهم ولم يؤمن قلوبهم لذلك قال (اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم) ثم ذكر من اوصافهم لتعلم ان الله تعالى لم يظلمهم سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاؤوا فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين فهنا تبيان واضح جلي بان الله جل وعلا

الله تعالى فتنتهم لانهم ما ارادوا الهداية بل ارادوا الغواية لذلك قال الله تعالى عنهم في كتابه "فلما زاغوا ازاع الله قلوبهم" فاذا اهل الجنة واهل النار قد علموا وقد فرغ ربكم من العباد وخلق للجنة اناسا ويعمل اهل الجنة يعملون وخلق للنار اناسا ويعمل اهل النار هم يعملون هذه ايضا كما قلت لا تقول للجنة أو النار بعلم الله جل في علاه حتى لا تكون الحجة لهم لانهم قالوا كما بين الله جل في علاه لولا ارسلت لنا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزي ولذلك قال الله تعالى رسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ثم قال الايمان قول وعمل وهما سيات ونظامان وقرينان لا نفرق بينهما دائماً الا بعمل ولا عمل الا بالايمان انا لم اجد اصرح من ذلك عن الامام المزي وهو يبين شريطة العمل في الايمان. وهذه فيها دلالة واضحة جداً على الرد على المرجئة الذين لا يجعلون العمل من الايمان وهذا سنقصله ان شاء الله فصله تفصيلاً بديعاً في هذا الباب. ولذلك قال وللمؤمنون في الايمان تفاضل قال والايمان قول وعمل. الايمان قول وعمل. يعني هذه مع اعتقاد في الجنان وقول باللسان وعمل بالجوارح والاركان. الايمان في اللغة التصديق. والحق ان نقول هو التصديق المقترن بالادعان والقبول الايمان في اللغة هو التصديق. قال "وما انت بمؤمن لنا ولو كنا ولو كنا صادقين" وليست صديقاً مطلقاً بل هو تصديق مقترن بالادعان والانقياد والقبول والايمان يتعدى بنفسه ويتعدى بالباء ويتعدى باللام الايمان يتعدى بنفسه فيكون بمعنى الأمان وهذا من لوازم الايمان. الايمان يكون هنا بمعنى ان تعدى بنفسه يكون بمعنى الايمان وهذا من لوازم الايمان. يعني كانه تعريف للايمان بايش بلازمه فان من لوازم الايمان الامانة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم المؤمن من آمن الناس على اموالهم واعراضهم لا ايمان لا امانة له فالامان لازم للايمان لا سيما وان الله جل وعلا بين انه لا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة فهنا كان الامان بسبب الايمان ان قلنا لا ايمان اذا

لا امان نعم قال الله تعالى " فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف " ويتعدى بنفسه ويتعدى باللام ويتعدى بالباء اما اكثر الاستعمال التعدي بالباء فأنت تعدى بالباء كان المعنى المشهور وهو التصديق كان المعنى المشهور هو التصديق تقول "آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير " فهو هنا يتعدى بالباء بمعنى التصديق ويتعدى باللام ويكون بمعنى الانقياد فأمن له لوط انقاد له لوط نعم ولا بد ان نعلم انه في بداية الامر لا بد من ان يكون الايمان المتعدى بالباء ولازمه فيظهر ثمرته فيظهر لازمه المتعدى باللام ثم تظهر ثمرته وهو تمام الامان فيكون المعنى التصديق يسبق فيستلزم الانقياد التام والاذعان فان ظهر لازم من الانقياد التام كانت الثمرة الامان التام وهذا الامان امان في الدنيا وفي الآخرة امان قلب في الدنيا وامن من عذاب الله في الآخرة على ديمومة الخلود فتقول زيد آمن بالله وبرسوله صدق بالله ورسوله وامن لهم يعني انقاد لاوامرهم فكانت الثمرة أمنة الله جل في علاه في الدنيا والآخرة واعظم الامان امام في الآخرة عندما يدخل بجوار الرحمن سبحانه جل في علاه الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون والايمان في الاصطلاح هذا كله في اللغة والايمان في الاصطلاح هو قول باللسان وتصديق بالجنان عمل بالاركان الايمان بالاصطلاح قول تصديق بالجنان عمل بالاركان. قول باللسان هو النطق بالشهادتين. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ولقول النبي صلى الله عليه وسلم عندما دخل على عمه يريد اسلامه فقال له يا عم قل كلمة احاج لك بها عند الله قل لا اله الا الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم قل آمن بالله ثم استقم قولوا امنا بالله وما انزل إلينا وما أنزل إلى ابراهيم واسماعيل الى الآخر الايات وهذا قول باللسان هذا هو الايمان قول باللسان ويا ليتنا نرسم لتعرفوا العلاقة بينهم. قول باللسان وتصديق بالجنان وتصديق بالجنان وهذا أصل ايمان القلب وهو تصديق القلب بلا ريب "انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا " ولذلك قال الله جل وعلا والذي جاء بالصدق وصدق به. وهذه مفارقة المنافيين كما سنبين اصناف الناس بالنسبة للايمان. اذا قول اللسان وقول القلب وقول القلب هو التصديق. قول اللسان وهو النطق بالشهادتين ولا بد ولا يصل الاسلام الا بذلك قول القلب بالتصديق أو قول القلب التصديق تصديق القلب وعمل بالاركان وعمل بالجنان عمل بالاركان كالصلاة والصوم هذا من أصل الايمان وعمل بالاركان الجوارح عمل الجوارح من صلات وصدقة وصيام وحج وهذه الاعمال شرط في صحة الايمان كما سنبين انها متلازمة وهو نفسه قال لا ايمان الا بعمل ولا عمل الا بايمان نعم اعمال الجوارح كما سنبين ان الاعمال باسرها اطلق عليها الشارع انها ايمان وعمل القلب ايضا ركن من أركان الإيمان عمل القلب

عمل القلب وعمل قلبه من خوف وانابة ورغبة ورهبة وتوكل وخوف وحسن ظن كل هذه اعمال كل هذه الاعمال اعمال القلوب الاصل في العلاقة بين هذه الاربعة صدق القلب لا بد ان ينضح على صدق القول صدق القلب ينضح على نطق القول او نطق الانسان وهذا اصله قول النبي صلى الله عليه وسلم الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا صدق القلب نطق اللسان واذا صدق القلب عمل وهو عمل القلب من توكل وخوف وانابة اذا صدق القلب عمل اذا صدق القلب نضح الى الجوارح نطق واذا عمل القلب نضح على الجوارح وكل هذه الاربعة متلازمة. كلها متلازمة اما اصناف الناس بالنسبة للايمان فكفار خلص ومؤمنون خلص ووسط بين الكفار وبين المؤمنين. هؤلاء الذين وصفهم الله جل في علاه "مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء" الكفار الخالص هؤلاء الذين فقدوا قول اللسان وقد يكون عندهم تصديق الجنان نعم كأبي طالب فهم على قسمين فقدوا قول اللسان قول القلب وفقدوا عمل القلب وعمل الجوارح ومنهم من فقد قول اللسان وعمل القلب وعمل الجوارح لكن بقي عنده تصديق القلب اللي هو قول القلب عنده قول القلب كأبي طالب علم يقيناً بان محمداً صلى الله عليه وسلم ان دينه من خير الاديان البرية دينا ويعلم ان محمداً صادق ويعلم انه نبي كل ذلك يصدق في ذلك ومع ذلك كبيراً لم ينطق لم ينطق اللسان لذلك لم يشهد له بالاسلام أما المؤمنون الخالص فالمؤمنون الخالص هم الذين صدقوا بقلوبهم فنطقوا بألسنتهم وعملت قلوبهم فعملت جوارحهم فصدق الظاهرة الباطل مع اريد التلازم بينهما وهؤلاء كما قلنا حدث لهم تصديق القلب ثم تصديق اللسان بالنطق بشهادتين ثم بعد ذلك عمل القلب فعملت الجوارح وهؤلاء قسمهم الله جل في علاه الى اقسام ثلاثة " ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله والجميع تحت مظلة الايمان وهم في الجنان اما الوسط فهؤلاء الذين لهم طرف في الكفر وعين عليه. وطرف الايمان او الاسلام وعين عليه. يعلمون الاسلام هو دين الحق نطقوا باللسان ولم تصدق القلوب لانه قال الله تعالى "قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم" ولذلك قال الله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار قال عنهم يخادعون الله وهو خادعهم لم ينتفعوا من الاسلام الا ظاهراً فقط لم ينتفعوا الا ظاهراً نعم وهنا في قوله لا نفرق بينهما لا ايمان الا بعمل ولا عمل الا بايمان فهذه دلالة على ان الاعمال شرط صحة الايمان وهذا سيأتي تفصيله ان شاء الله في الدرس القادم لنبين ايضاً اقوال المرجئة في هذا الباب الذين يقولون بان العمل ليس من الايمان اخرجوه كلية حتى من جهة الفقهاء قالوا انه مؤثر لكنه ليس من الايمان فقالوا الاختلاف لفظي وهذا خطأ بين كما قاله الطحوي وخطأ الطحوي في ذلك والاختلاف حقيقي وليس اختلافاً لفظياً ولذلك سيأتي ان شاء الله الكلام على كل الأدلة سرداً على ان الاعمال من الايمان والرد على المرجئة في هذا الباب سواء مرجئة الفقهاء او المرجئة الذين هم اصل الارزاء وايضاً الرد على الخوارج وبيان التفريق بين اهل السنة والجماعة وبين الخوارج

الدرس التاسع: تابع الإيمان

إلى الكلام على الإيمان قولٌ وعمل وهما سيّان ونظامان؛ سيّان يعني مثلاً ونظامان أي ما انضم بعضه إلى بعض. وقرينان لا نفرق بينهما لا إيمان إلا بعمل ولا عمل إلا بإيمان. والحق أن الأعمال كلها من الإيمان، قال الله تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) [البقرة:143]. فالأعمال من الإيمان، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن، الوضوء شطر الإيمان"، وأيضاً قول النبي صلى الله عليه وسلم: "الإيمان بضغّ وسبعون شعبة"، في رواية: "سبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق". فالأعمال من الإيمان، وعلاقة العمل بالإيمان علاقة تلازم فهما مرتبطان لا ينفكان بحال الأحوال، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "استوروا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم"، أيضاً ما ذكر الله جلّ وعلا الإيمان ذكر معه العمل الصالح مقروناً.

كما قلنا الأعمال من الإيمان، "الإيمان بضغّ وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من شعب الإيمان"، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: "الحياء من الإيمان". نكمل الكلام، قال: والمؤمنون في الإيمان يتفاضلون، هذا فرعٌ على أصل وهو زيادة الإيمان ونقصان الإيمان، وهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة خلافاً لأهل البدع والضلالة، أن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي.

وثبوت الزيادة والنقصان في الكتاب والسنة كثير، كما قال الله تعالى: (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى) [مريم:76] ففيها زيادة، (وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) [الأنفال:2]، قال الله تعالى: (وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا) [المدثر:13]، (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ) [الفتح:4]، (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ

فَلَاخْشَوْهُمْ فَرَّادَهُمْ إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) [آل عمران:173]. ولقوله تعالى:
(وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَكُنْمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَّادَتْهُمْ إِيْمَانًا
وَهُمْ يَسْتَنْبِشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَرَّادَتْهُمْ رَجْسًا إِلَى رَجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ
كَافِرُونَ) [التوبة:124-125]، في قوله تعالى: (فَرَّادَتْهُمْ رَجْسًا إِلَى رَجْسِهِمْ) [التوبة:125]
فيها نقص الإيمان.

والنقصان خلافاً للمالكية طبعاً تعلمون أن هذا جموع العلماء يرون ذلك، والنقصان
وصفه النبي، وفي الآيات كما قلنا (وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَرَّادَتْهُمْ رَجْسًا إِلَى رَجْسِهِمْ
وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ) [التوبة:125]، وأيضاً في قوله: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ
كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا) [النساء:137]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما رأيتم الناقصات
عقلٍ ودين"، ولما ذكر نقصان الدين قال: "أليست إذا حاضت لم تصلي ولم تصُم". وقال:
"لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين"، وحديث الشفاعة يدل
دلالة واضحة أيضاً على الزيادة والنقصان وتفاوت المؤمنين بعضهم من بعض.

إنما يتفاضلوا فيما بينهم في الأعمال وتفاوت درجاتهم لا سيما أهل العلم وغيرهم كما
قال الله تعالى: (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) [المجادلة:11]، وأيضاً
قول الله جلَّ في علاه: (أَمَّنْ هُوَ قَانِثٌ آَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً
رَّبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) [الزمر:9]. والله بيّن في كتابه أنه لا
يستوي من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل، لا يستويون (لَا يَسْتَوِي
مِنْكُمْ مَن أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۖ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا)
[الحديد:10].

ولذلك قال: والمؤمنون في الإيمان يتفاضلون وبصالح الاعمال هم متزايدون. ولذلك قسم النبي صلى الله عليه وسلم أهل الإيمان إلى أقسام أيضاً، وأن الجنة درجات وقال: "إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما يتراءون الكوكب الدري". وقال النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً في بيان التفاوت، قال: "سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا سابقة عذاب". "سبعون ألفاً"، إذا هؤلاء مفضلون على غيرهم ولذلك قال: "ومنحني ربي مع كل واحد منهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة من غير حساب ولا سابقة عذاب"، اللهم اجعلنا جميعاً منهم يا رب العالمين. ولما قال ربيعة بن كعب الأسلمي حين قدم وضوءه للنبي صلى الله عليه وسلم، "قال النبي صلى الله عليه وسلم له: تمنى، قال: مرافقتك في الجنة"، دلّ على أن هذه أعلى ما يصبون إليه وأن هذه ليست لكل أحد. لذلك النبي صلى الله عليه وسلم "قال له: أو غير ذلك؟، قال له: هو ذلك، قال: إذا أعني على نفسك بكثرة السجود". ولقول النبي صلى الله عليه وسلم، حديث علي عن أبي بكر وعمر قال: "هما سيد كهول أهل الجنة"، تفاوت موجود. وقال: "الحسن والحسين هما سيدا شباب أهل الجنة"، فهذا تفاضل الصحابة بعضهم ببعض.

قال: والمؤمنون في الإيمان يتفاضلون، وقلنا إن الأصل الأصل في ذلك أنه يزيد وينقص. وبصالح الأعمال هم متزايدون، ولذلك لا يجعل الله جلّ في علاه من سبق إليه كمن تأخر. لما استأذن سهيل بن عمرو وأبو سفيان على عمر بن الخطاب لم يأذن لهما حتى جيء لبلال، فقال: بلال يستأذن، قال: أدخلوه، ودخل سريعاً. أبو سفيان لما أنكر ذلك قال له سهيل ابن عمرو متفقهاً، قال: سبق إلى الله فسبق الله به. كما قلنا لقول الله تعالى: (لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۖ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا) [الحديد:10].

قال: ولا يخرجون بالذنوب من الإيمان، يعني أهل الإيمان لا يخرجون بالذنوب من الإيمان. هذه أيضاً ترتكز على تأصيل مسألة معينة، ما هي المسألة التي ترتكز عليها هذه

المسألة العظيمة؟ قال: **ولا يخرجون بالذنوب من الإيمان.** هذه تركز الى مسألة مهمة ما هي؟ (إجابة الطلبة: الرد عليها الخوارج). نعم لكن الحق أنها تركز إلى مسألة الاجتماع الطاعة والمعصية في المؤمن، واجتماع الإيمان والنفاق في المؤمن أو الإيمان والكفر الذي لا يخرج من الملة في المؤمن. هذه الفرق بيننا وبين أهل البدع والضلالة من طرفي النقيض، من المرجئة والخوارج. بأن المؤمن يجتمع معه معصية وطاعة والمؤمن أيضاً يجتمع معه إيمان وكفر لا يخرج من الملة، أو إيمان ونفاق. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "آيات المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب...."، وقال: "أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة كانت فيه خصلة من خصال النفاق"، يبقى خصلة من خصال النفاق ولم منافقاً كاملاً.

فإذاً هي أن المؤمن يجتمع فيه كما قلت معصية وطاعة، بر وفجور. لذلك قال: **ولا يخرجون بالذنوب من الإيمان**، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كل ابن آدم خطّاء وخير الخطّائين التّوّابون"، وقال: "ما من أحدٍ إلّا وأخطأ وهمّ بخطيئةٍ إلّا يحيى بن زكريا"، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لو لم تذنبوا لذهب الله بكم لآتى يقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم". وقد قال الله تعالى: **(وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا)** [الحجرات:9]، والقتال كبيرة من الكبائر أيضاً **(وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا)** [الحجرات:9].

فإذاً **ولا يخرجون من الذنوب من الإيمان ولا يُكفّرون بركوب كبيرة ولا عصيان**، هذه مسألة مهمة لأن هذا فيه الرد على الخوارج الذين يُكفّرون بالمعصية، والمعتزلة كذلك لكن المعتزلة يقولون في الدنيا ومنزلة بين المنزلتين لكن في الآخرة مخلد في نار جهنم وينكرون حديث الشفاعة، ليس الشفاعة الكبرى لكن الشفاعة في أهل الكبائر ينكرونها. والنبي صلى الله عليه وسلم قال: "خبأت دعوتي لأهل الكبائر من أمّتي"، "لكل نبيّ دعوة مستجابة وخبأت دعوتي لأهل الكبائر من أمّتي". وأيضاً لذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لمّا ذكر من بعض الحدود قال: "فمن أتى من هذه القاذورات من شيءٍ فأقيم عليه الحد فهو كفّارة له".

وأصل المسألة في الرد على الخوارج الذين يُكفِّرون بالمعصية هو كما قلنا التصدُّر الصحيح في حقيقة الإيمان أنها حقيقة مركبة، وأنه يجتمع في المؤمن كفر وإيمان، ونفاق وصدق وإخلاص، وطاعة ومعصية. والدلالة على ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "لو لم تذنّبوا لذهب الله بكم لآتى يقوم يذنّبون فيستغفرون فيغفر لهم". والشافعية قالوا: لا تمحيض للطاعة ولا تمحيض للمعصية. هو يُخلط وعلى قدر التخليط.

الخوارج يُكفِّرون بالمعصية وأراد أن يرد عليهم بأنهم لا يُكفِّرون (أهل السنة) لا يُكفِّرون بركوب المعصية. الخوارج لهم أدلة شبيهة يتمسكون بها، قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض". وأيضاً يستدلون ذلك الحديث المشهور "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن"، إن لم يكن مؤمناً فهو كافر. ويتمسكون أيضاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم (براءة الذمة): "أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين"، وأيضاً في قوله: "ليس منا" لما قال: "من غشنا فليس منا، من حمل السلاح علينا فليس منا". اثنتان هما بهم كفر، وذكر النياحة على الميت، وسباب المسلم فسوق وقتاله".

فتمسكوا بكل هذا على تكفير من وقع في المعصية وهذا ضعفٌ منهم وجهلٌ مركب، إذ الخروج من هذا الباب أولاً أن أهل التوحيد هم في الجنان، أهل التوحيد لهم الأمان قال الله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ) [الأنعام: 82]، ولذلك من آمنه الله في الدنيا فقد آمن شرهم فهو من الله جلّ في علاه. وكما قلت إن أساس الأمر هم يرون أن الإيمان، كتلة واحدة إما يثبت كله وإما يذهب كله، أهل السنة والجماعة لا ينظرون بعين عوراء ينظرون بعينين جميلتين، فقالوا أولاً عندنا محكمات كل من أتى بالتوحيد لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة"، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة". وحديث البطاقة مع سجلات المعاصي والسيئات، الرجل قال: وما تصنع هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ قيل: لا

ظلم اليوم، ففتح البطاقة فوجد "لا إله إلا الله" فأخذ الورقة فرجحت كفة "لا إله إلا الله" على جميع السجلات.

إذاً المُوَحِّد هو في الجنة سواء من أول وهلة سواء عُذِّبَ وطُهر فهو بعد ذلك إلى الجنة، كما قلت والأدلة على ذلك كثيرة. وأما الأدلة التي استدلوا بها فكلها مردودٌ عليها حيث قال النبي: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر وهو مؤمن"، وهذا يتمسكون به أيضاً لأن ابن عباس قال: إذا زنى كان الإيمان فوق رأسه فإن تاب نزل. فقال: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر وهو مؤمن"، قالوا ارتفع الإيمان ومسمى الإيمان عنه فهو إذاً من الكفران.

وأما الأدلة التي يستدلون بها في قوله: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن"، قال ابن عباس: إذا تاب نزل الإيمان إلى محله، وأيضاً في حديث أبي ذرٍّ وهو من أهم الأحاديث لهذا الباب، أنه تباعد عنه النبي صلى الله عليه وسلم مدة ثم رجع له وكاد أن يتقطع قلبه فقال له: "أتاني جبريل متهللاً، قال: أتاني جبريل الليلة وقال لي. في قوله: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر وهو مؤمن"، كما قلنا بأن النبي قال: "أتاني جبريل فبشرني أنه من مات من أمتي على لا إله إلا الله دخل الجنة، قال أبو ذرٍّ: وإن زنى وإن سرق، قال: وإن زنى وإن سرق وإن شرب الخمر وعلى رغم أنف أبي ذرٍّ"، هذه فيها دلالة أنه من الإيمان.

وفي قوله: "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض"، هذا الكفر من الكفر وليس الكفر الأكبر بل سمّاهم الله جلّ وعلا أهل الإيمان كما قال الله تعالى: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ) [الحجرات:9].

في قوله: "من غشنا فليس منا، من حمل علينا السلاح فليس منا"، "اثنتان بهما كفر، وذكر النياحة على الميت"، وأيضاً حديث براءة الذمة ممن جلس بين أظهر المشركين. كل هذا يدل على أن هذه الأفعال كبيرة من الكبائر لكن لا يستحق الخروج من الإيمان لأن الله قال: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا) [الحجرات:9]، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً قال في حديث عبادة: "من أقيم عليه الحد فهو كفارة له"، و"من" لا تقع في المشيئة.

إذاً حتى الخوارج هم يُكفّرون وكل الأدلة التي استمسكوا بها، كلها ترد إلى المحكمات، وأن التوحيد مانع من الخلود من النيران. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من قتل نفسه بحديدة فهو بحديدته يتوجهها في نار جهنم خالداً مخلداً فيها، ومن تحسّى سماً فهو في نار جهنم يتحسّاه خالداً مخلداً فيها، من ألقى نفسه بشاهق فهو في نار جهنم يتردّى خالداً مخلداً". فهنا التوحيد جاء مانع لأن أبو هريرة قال: هذا جزاؤه إن جوزي به لكنه لا يجزى به. ولم لا يجزى به؟! التوحيد جاء مانعاً من التخليد، يعني التخليد في النيران. إذاً منهج أهل السنة والجماعة أنهم لا يُكفّرون ويردون عن الخوارج الذين يُكفّرون، الخوارج والمعتزلة وخوارج معتزلة تمسكوا بشبه فلم يكن لهم فيها أدنى دليل، وبنفس الأدلة كما قال ابن تيمية: ما رأيت مبتدعاً استدل بشيء إلا ورددت عليه البدعة فكانت دليلاً عليه.

قال: ولا يُكفّرون بركوب معصية ولا عصيان ولا نوجب لمُحسنهم الجنان بعد من أوجب له النبي صلى الله عليه وآله وسلم. ولا نوجب يعني لا نجزم لأحد بجنة ولا بنار هذا اعتقاد أهل السنة والجماعة، لا نجزم لأحد بجنة أم بنار ولأن هذا أمرٌ غيبي لا يعلمه إلا الله، ربنا العلي. ولا نقول أن هذا في تزكية أعلى ما تكون تزكيةً، ولا يصل إليها المرء إلا بوحي. فنحن لا نوجب الجنة إلا لمن صرّح النبي صلى الله عليه وسلم أنه من أهل، فقد صرّح النبي صلى الله عليه وسلم بأن العشر في الجنة، قال: "النبي في الجنة، أبو بكر في الجنة، عمر في الجنة، علي في الجنة، طلحة في الجنة، سعد بن أبي وقاص في الجنة، الزبير

في الجنة، عبد الرحمن بن عوف في الجنة، أبو عبيدة بن الجراح في الجنة، سعيد بن زيد في الجنة"، قال: "فهؤلاء العشر في الجنة"، وأيضاً زاد على ذلك بلال في الجنة.

نحن نجزم بذلك، كما قال: ولا نوجب لمُحسنهم الجنان بعد من أوجب له النبي صلى الله عليه وسلم، نقول قد أوجب النبي ومن أوجب له النبي صلى الله عليه وسلم فهو في الجنة، ونحن نجزم بأنه في الجنة. كالعشرة كما سردنا، بلال أيضاً نجزم أنه في الجنة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ماذا فعلت؟ إني أسمع دفاً عليك في الجنة، ما أرجى عمل عندك يا بلال؟! إني أسمع دفاً عليك في الجنة"، فبلال أيضاً مع العشرة نجزم أنه في الجنة. ومن ذلك أيضاً نجزم بأن عبدالله بن سلام في الجنة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبدالله بن سلام أنه من الجنة، من عاشر عشرة وأنه في الجنة، فبشره في الجنة. وأيضاً نحن نؤمن بأن بنت ملحان في الجنة لأنها شهيدة وأنها في الجنة، والرجل الذي خرج عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "هو في الجنة"، قال: "جاء عليكم رجل من أهل الجنة". وأيضاً "المرأة السوداء التي جاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إني أصرع وأتكشف فادعُ الله لي، قال: إن شئت صبرت الجنة وإن شئت دعوت لك، قالت: أصبر (يعني أصبر ولي الجنة)، لكن ادعُ ألا أتكشف فالخبيث يتكشفي".

جعفر بن أبي طالب في الجنة وأبدله الله جلَّ في علاه بجناحين يطير بهما في الجنة، جعفر الطيار رضي الله عنه وأرضاه. زيد بن الحارثة في الجنة لأن النبي قام يخطب فيهم فيصف لهم ما يحدث في الساحة، وهو يبكي لأن هو كان النبي صلى الله عليه وسلم (***) لزيد، "إن قتل زيد فعليهم ابن أم عبد، فإن قتل ابن أم عبد". عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وقد نشهد أنه في الجنة لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما مرَّ عليه وهو يقرأ استوقفته قراءته فسمعه يدعو ويقول: اللهم إنا نسألك إيماناً لا يرتد ونعيماً لا ينفذ ومرافقة النبي محمد في جنات الخلد، قال: "سل تُجَب، سل تُجَب، سل تُجَب"، إذاً أخبره النبي صلى الله عليه وسلم بأنه أجابه الله جلَّ في علاه، بأنه شهد له أنه في الجنة. أيضاً لما تكلم عن السبعين ألف

يدخلون الجنة بلا حساب ولا سابقة عذاب، فقام عكاشة بن محصن وقال: يا رسول الله ادعُ الله أن أكون منهم، قال: "أنت منهم". فجعفر في الجنة، زيد بن الحارثة في الجنة، عبد الله بن رواحة في الجنة، سعد بن معاذ في الجنة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن عرش الرحمن اهتز فرحاً بقدوم أهل الجنة، وثابت بن قيس بن شماس أيضاً في الجنة.

فإذا نحن نجزم بالجنة لمن جزم له النبي أنه في الجنة، ولا نجزم لأحدٍ في النار إلا ما جاء الدليل أنه في النار. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل الذي كان يقاتل حمية، قالوا: قتل فلان أو فلان، قال: "هو في النار"، فوجدوه قد جرح فقتل نفسه، جزَّ على أصابعه بالسيف حتى سال الدم ومات قال النبي صلى الله عليه وسلم: "الله أكبر أنا رسول الله". ولا نشهد على المسيء أيضاً بالنار لأن هذا هو الأصل، المسيء سيئته على نفسه والله تعالى قد يغفر له كل السيئات وإن لم يعمل خيراً قط. والأصل في ذلك حديث بني إسرائيل: مرَّ رجلٌ على رجلٍ من بني إسرائيل وهو يعصي الله، قال: يا فلان أقصر، فقال: خلني وربّي، وجاء في الثانية قال: أقصر، قال: خلني وربّي، أقصر، قال: خلني وربّي، ثم مرَّ عليه فقال: والله لا يغفر الله لك أبداً. فجمعهم الله جلَّ في علاه قال: "من ذا الذي يتألى عليّ؟ أكنت على ما في يدي قادر؟ أكنت بي عالماً أم على ما في يدي قادراً؟ اشهدوا أنني قد غفرت له وعذبتك أنت".

نحن نثبت ما أثبتته الشرع وننفي ما نفاه الشرع، ولا نتعداه، فنحن نجزم لمن جزم له النبي صلى الله عليه وسلم أنه في الجنة بأنهم في الجنة، ونجزم لمن جزم الشرع لهم أنهم في النار فهم في النار، (***) هو أهل الاجتهاد في هذا الباب. وفي قوله: ولا نشهد على مسيئهم بالنار، طبعاً من أهل الإيمان لأنهم في مشيئة الرحمن، ولذلك عائشة قالت له دواوين: ديوان لا يتركه أبداً، ديوان لا يغفره أبداً، أي ديوان المغفرة وديوان المعاصي. فهو في المشيئة إن شاء عذب وإن شاء غفر. نقف عند هذه المسألة، لأنه دخل على القرآن بعد ذلك.

نقف عند هذه المسألة ولو في أسئلة تفضلوا:

خير الملائكة فينا الذين حضروا بدر وأيضاً قال قالوا خير الناس فينا الذين شهدوا بدر، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: لن يلج النار أحدٌ بايع تحت الشجرة. لكن نتكلم على الأعيان الذين نشهد لهم بالجنة هو الذي سمّاهم النبي صلى الله عليه وسلم وللمسيء ما نشهد لأحدٍ منهم في النار إلا كالرجل الذي قتل نفسه وقال: "هو في النار"، وأيضاً هي ليست للعين فقط بل هي على التعميم لمن أتى لمثل ما أتى به.

قال النبي صل الله عليه وسلم عن أبي بكر وعمر: "سيدا كهول أهل الجنة"، ونحن أولنا هذا الكلام ولأنهم كلهم يكونون في سن الثلاث والثلاثين.

السؤال: ماذا يفعل من ذهب يتعلم عند الشيخ ولم يتيسر له لرفض الشيخ إكمال الدرس مع طالبين بسبب تغيب أحدهم لظروفه؟ لا حول ولا قوة إلا بالله، يحاول أن يتكلف في ارضاءه وأن يتكلف في تقبيل يده ليرضى عنه وإن أخذ الحظ ورضي عنه لا يدانيه أحد في تمرس العلم.

أنا قلت ركزوا على مسألة الحقيقة المركبة للإيمان، الإيمان حقيقة مركبة وهذه التي تفيد جداً طالب العلم، لذلك الخوارج يرونه شيئاً واحداً والمرجئة كذلك فالطائفتان ضللاً بسبب ذلك، أما أهل السنة والجماعة يرون أن الإيمان حقيقة مركبة لذلك قالوا يجتمع في المؤمن معصية وطاعة وبر، وإخلاص ونفاق.

الحمد لله وكفى والسلام على عباده الذين اصطفى لا سيما النبي المجتبي والأمين المصطفى وعلى صحابته الكرام وآل بيته العظام المستكملين الشرفا وبعد اخوتي الكرام شرح السنة للمزني تكلم هنا الآن الإمام المزملي على القرآن كلام الله جل في علاه وهذا قد اتهم به قبل ذلك وهذه طهارة له واعتبر انقاداً له في هذا الباب نعم لأنهم اتهموه بأنه يقول بأن القرآن مخلوق قال (والقرآن كلام الله عز وجل ومن لدنه وليس بمخلوق فيبيد) أنظر هنا الآن أيضاً يتكلم على انه لا يبيد عن يسرى عليه يوم القيامة كما سيأتي

قال (والقرآن كلام الله ليس بمخلوق) فالقرآن كلام الله أضاف الكلام لله جل في علاه والمضاف إلى الله جل في علاه على نوعان اضافة

🌿 اضافة معاني

🌿 واطافة أعيان مستقلة بذاتها كعيسى روح الله كالكعبة بيت الله كنافذة الله وسقيها فالمضاف إلى الله جل في علاه من الأعيان المستقلة بذاتها إضافة تشريف وهي إضافة مخلوق لخالق

🌿 واما الإضافة إضافة المعاني كالكلام كالرحمة كالعزة كالقدرة فهي إضافة بصفة للموصوف فعندما يقول كلام الله أضاف الكلام لله جل في علاه على أنها إضافة صفة لموصوف ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق) قال الله تعالى (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) وقال الله تعالى (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) وقال الله جل في علاه (منهم من كلم الله ورفع بعضهم فوق بعض درجات) ورفع بعضهم فوق بعض درجات ولكنه

قال (منهم من كلم الله) فانه جل في علاه هو الذي كلمه وهناك ان الله جل وعلا كلم الملائكة وكلم آدم وكلم جبريل وكلم عيسى وكلم السماوات وكلم النار كلم الله جل في علاه خلقه

قال الله تعالى (واذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصالٍ من حمأ مسنون) (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس) وكلم آدم (قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم) وقال له ولحواء (الم انهكما عن تلكم الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين)

وكلم جبريل عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله إذا أحب عبداً نادى في السماء اي يا جبريل اني أحب فلان) وجبريل سمع القرآن كله من الله جل في علاه فنزل به إلى النبي الأمين وكلم موسى عليه السلام حين قال جل في علاه (وكلم الله موسى تكليماً) وأيضاً كلم محمد صلى الله عليه وسلم حينما فرض عليه الصلاة خمسين صلاة وراجعته فقال (لا يبدل القول لدي هي خمس وهي خمسون)

وكلم نوح (يا نوح لا تسألني ما ليس لك به علم) وكلم إبراهيم عليه السلام (اي يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) وكلم موسى عليه السلام كما قلنا (يا موسى اني اصطفتك على الناس برسالاتي وبكلامي) وأيضاً كلم عيسى عليه السلام (يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وأمي الاهين من دون الله)

وهذا كله دلالة على أن الله تعالى يتكلم ويتكلم بصوت وحرف لأن الله جل وعلا قال (واذ نادى ربك موسى ان انت القوم الظالمين) وأيضاً في الحديث الحديث ظاهر جداً في قول النبي صلى الله عليه وسلم (ان الله يجمع الأولين والآخرين ثم يناديهم بصوتٍ بصوتٍ وبحرف ثم يناديهم بصوتٍ يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب) وكلم الله جهنم (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) وقالت النار (أكل بعضي بعضاً فأذن لها عز وجل بنفس في الصيف ونفس في الشتاء وأشد ما تجدون من حر وأشد ما تجدون من زمهرير) والجنة أيضاً كلمها لما اختصمت الجنة والنار فقال للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء وكلم أهل الجنة بعد دخول الجنة سلام قولاً من رب رحيم وأيضاً يقول يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله بيدك أن لكم عندنا موعداً انجزكموه فيكشف عنه الحجاب فينظرون إلى وجه الرحمن) وهو أيضاً يكلم أهل النار (اخشوا فيها ولا تكلمون إنه لا يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد)

وهناك أدلة كثيرة من ذلك في قول الله جل في علاه (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) كل ذلك هو ان الكلام هو معناً من المعاني يضاف إلى الله جل في علاه وإضافته إضافة صفة للموصوف

ومن السنة أن أفضل الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وكان يقول (أعود بكلمات الله التامات من شر ما خلق)

وأجماع السلف على أن الله يتكلم ويتكلم بصوت وحرف والأدلة على ذلك كثيرة حيث أن أبا بكر رضي الله عنه وأرضاه عندما قال تغلب الروم ولما سأله عن ذلك قال هذا كلام ربي وأيضاً عمر ابن الخطاب قال (القرآن كلام الله غير مخلوق) وعن عائشة رضي الله عنها وأرضاهما قالت (إن الله أنزل في قرآن يتلى إلى يوم الدين قالت وإن شأني في نفسي لأحقر من أن ينزل الله في كلام) فهي أثبتت كلام الله جل في علاه وعن عثمان أيضاً قال (لو طهرت قلوبنا ما شبعنا من الكلام ربنا) وابن مسعود يقول (من أراد أن يختبر حبه لله فليعرض نفسه على كتاب الله جل في علاه فالقرآن كلام الله غير مخلوق هو قال غير مخلوق و

الذين قالوا بأنه مخلوق الجهمية والمعتزلة والفرق الثلاثة أو فرق أكثر من ثلاثة خمسة الذين تكلموا في مسألة القرآن كالكلابية والأشاعرة والجهمية والمعتزلة وهذا إن شاء الله نتعرض له بإذن الله في الدرس القادم

وبعد إخواني الكرام ما زلنا بفضل من ربنا ونعمة مع هذا الكتاب الجليل وبيين لنا اعتقاد إمامنا أهل السنة والجماعة الإمام المزمري وقفنا عند قوله أمس (والقرآن كلام الله عز وجل ومن لدنه وليس بمخلوق فيبيد) فهذا الإمام المزمري يبين وهو يبرئ ساحته لأنهم اتهموه بهذا ويبرئ ساحته على أن الكلام هو كلام الله غير مخلوق وأن الله تكلم به وسمعه جبريل ونزل به إلى النبي الأمين

ولذلك قال ليس بمخلوق وأتينا بكثير من الأدلة من الكتاب والسنة على أن القرآن كلام الله كقول الله جل في علاه (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) فهذا مضاف والمضاف إلى الله نوعان عين مستقل بذاتها وهذه إضافة مخلوق إلى الخالق وزيادة للتشريف له ومضاف هو من المعاني فيكون هنا إضافة الصفة للموصوف فالكلام هنا للمعاني إذا أضيفت إلى الله جل في علاه معناه هنا إضافة صفة للموصوف قال الله تعالى (يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه) يسمعون كلام الله والآيات واضحة (وكلم الله موسى تكليماً)

(ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) والنبي صلى الله عليه وسلم صح عنه في خطبته إنه كان يقول (إن أفضل الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم) وأجمع السلف جميعاً على إثبات الكلام لله جل في علاه وأن الله تكلم بصوت وحرف وسمعه جبريل ونزل به إلى النبي الأمين لا سيما وأن هذا الثابت ثابت عن الخلفاء الأربعة عثمان ابن عفان علي ابن أبي طالب أيضاً عمر بن الخطاب أبو بكر الصديق وأبو بكر الصديق كما قلنا (.) بينه وبين أهل مكة عندما قرأ عليهم قول الله جل في علاه (ألم غلب الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد) فانظر كيف لما سأله عن ذلك قال هذا كلام ربي

وعمر ابن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه قال (القرآن كلام الله)

وعائشة أنها قالت (أن الله أنزل في قرآن يتلى إلى يوم الدين) عثمان ابن عفان لما قال (لو طهرت قلوبنا ما شبعنا من كلام ربنا جل في علاه)

فورد عن السلف أن إجماع السلف على أن القرآن كلام الله غير مخلوق ولذلك الذين يؤولونه أو يحرفونه ويقولون مخلوق خالفوا الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة فما حكم هؤلاء الذين خالفوا وقالوا القرآن مخلوق فقولهم أن القرآن مخلوق هذا قول المعتزلة وقول الجهمية أصالة وقول فرق الجهمية وهم المعتزلة بأنهم قالوا بأن القرآن مخلوق ومن قال بأن القرآن مخلوق قد أتى كفرأ لا بد أن تفهم ذلك يقيناً من قال أن القرآن مخلوق فقد أتى كفرأ لكثير من المسائل

المسألة الأولى أو الأدلة على كفره أو أن هذا القول قول كفر لأسباب كثيرة أو لأدلة كثيرة من هذه الأدلة

👉 أولاً إذا قال القرآن مخلوق فهذا كذب صريح للكتاب والسنة لأن الله جل وعلا فرق بين الخلق وبين القول (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) ألا له الخلق والأمر ففرق الله جل وعلا بين الأمر وبين الخلق والأمر هنا من قوله والخلق من فعله سبحانه جل في علاه فهم جمعوا بين ما فرق الله جل في علاه وقالوا لم يأت به الله ولم ينزل به سلطاناً فإذا هذا تكذيب لما جاء صريح عن كلام الله جل في علاه أنه قال (وكلم الله موسى تكليماً) ولقوله جل في علاه (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) فهم يقولون كلمه ربه هم يقولون لا ما كلمه الله ده خلق كلاماً في الشجرة يقول (يا موسى اني ربك فالخلع نعليك) أعود بالله من هذا الضلال المبين ومن هذا الكفر المبين

👉 من الأدلة على الكفر أيضاً بأن القول بخلق القرآن فيه تشبيه الخالق بالمخلوق والله جل في علاه قال (ليس كمثله شيء) وقد قال نعيم ابن حماد (من شبه الله بخلقه فقد كفر) تعلمون إذا ان كلام يحتاج إلى شفه إلى أضرار إلى لسان لكن

الكلام الحق هو صفة من الصفات قد يتكلم ولا يحتاج إلى شفة ولا لسان ولا أسنان كالبيغاء مثلاً هو يتكلم ولا يحتاج إلى لسان ولا لشفة ولا لأضراس ولا لغيرها الجنة تكلمت السماء تكلمت الأرض تكلمت وكل هذا لا يستدعي ولا يستلزم ما قاله هؤلاء الكفرة الفجرة الذين شبهوا الله بخلقه وقد وردت الآثار الكثيرة على حتى تكفير من قال بخلق القرآن عيناً يعني جاء تصريحاً فيها كما ورد عن علمائنا في هذا الباب بأنه بعضهم قال (من قال بأن القرآن مخلوق فقد كفر يستتاب وإلا يقتل تضرب عنقه) يعني ردة الإمام أحمد قال (من قال بأن القرآن مخلوق فهو عندنا كافر)

قال ابن المبارك هذا الرجل المبارك قال (من قال أن القرآن مخلوق فهو زنديق)

وقال سفيان ابن عيينة (من قال أن القرآن مخلوق فهو كافر ومن شك في كفره فهو كافر) وهذا الكلام شديد جداً لابن عيينة فيه دلالة على أنهم أسقطوا الحكم على العين هذا شديد جداً من ابن عيينة وهذه معناها كما قلت أنهم أحكموا الأمر على أنهم قالوا وجعلوا ال

حكم يسقط على الأعيان وليس على العموم قال ابن عيينة (من قال ان القرآن مخلوق فهو كافر ومن شك في كفره فهو كافر)

سئل وكيع عن ذبائح الجهمية الذين يقولون بأن القرآن مخلوق (قال وكيع لا تؤكل ذبائحهم إنهم مرتدون)

والإمام جعفر الصادق أيضاً قال (من قال بأن القرآن مخلوق فقد كفر) وأنتم تعلمون بأن الصحابة الكرام جميعاً اتفقوا على أن القرآن تكلم الله به وإلا فالأمر على المناداة (وإذ نادى ربك موسى ان ائت القوم الظالمين) وأيضاً في الحديث الصريح جداً (ان الله يجمع الأولين والآخرين ثم يناديهم بصوتٍ يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب) وتعلمون بأن هذا الحديث كان سبباً في نجات ابن تيمية عندما قالوا إنه يشبه الخالق بالمخلوق واتهموه طبعاً الأشاعرة الذين فعلوا ذلك والمتصوفة وأرادوا محاكمته فالقاضي قال كيف تقول بأن الله يعني كيف تشبه الخالق بالمخلوق ؟ فقال له إن النبي صلى الله عليه وسلم قال (يجمع الله الأولين والآخرين ثم يناديهم بصوتٍ يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب) قال أهدأ حديثٌ صح عن النبي ؟ قال نعم قال اذهب اذهب خلاص الحجة معك في هذا الباب فالحق أن (من قال بأن القرآن مخلوق فقد كفر) لذلك المزني برأ ساحتته وقد اتهموه ظلماً وزوراً بذلك برأ ساحتته وقال ليس بمخلوقٍ يبيد

يبقى لنا فرع ونختتم هذه النقطة وهي فرع الكلام على اللفظية وما معنى اللفظية اللفظية معناها أن يقول لفظي بالقرآن مخلوق والحق أن القول بأن لفظي بالقرآن مخلوق هذا قول مبتدع في كل أحواله قول مبتدع ويسأل حتى عنه من يتبناه يقال له ماذا تقصد بلفظي بالقرآن مخلوق لأنه هذه يعني المعتزلة يتخذونها تكأة لو قال لفظي لفظ بالقرآن مخلوق يتخذونها تكأة ليصلوا إلى أن يقولوا القرآن مخلوق هم يتخذون هذه تكأة حتى يصلوا بها إلى أن مخلوق. فهنا

ولذلك الإمام أحمد تحامل جداً على الكرابيسي. وكان من أقرانه من أعز ما كان من أصحابه ومع ذلك اشتد عليه جداً واشتد نكيره عليه جداً لا لأن الكرابيسي يقول بأن القرآن مخلوق الكرابيسي يقول صوتي هذا بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين فهو يقول انه هذا الصوت الذي خرج هذا مخلوق لفظي بالقرآن مخلوق وهذا حق لكن أحمد يعلم أن المعتزل يتخذون مثل هذا القول تكأة من أجل أن يصلوا إلى أن القرآن مخلوق لذلك علماءنا قالوا هذا قولٌ مبتدع لا يصح لنا قبوله مطلقاً ولا يصح لنا رده مطلقاً فنسأل القائل ماذا تقصد ؟ فإن قصد حقاً فهو حق كأن يقول الأصوات والأحبال الصوتية وقولي وتلاوتي كلها مخلوقة نقول حق حق أما المتلو فهو القرآن هو كلام الله حق حق فيقبل منه

فإن قلنا له سم ما عندك ما تعتقد من ذلك فوجدناه تكلم بأن القرآن مخلوق كالشجر كالسماء كالارض يكفر بذلك لذلك هو هذه من العيوب التي موجودة في كتاب سيد قطب رحمه الله بأنه هلك كتأويل الصفات هو يقول يعني السماء () يسبح في مسألة التصور الأدبي والإبداع الأدبي فقط هو الذي أهمه في هذا الباب طبعاً هو وقع في أمور عقديّة عظيمة جداً في هذا الباب المهم الغرض المقصود بأنه من شبه القرآن بالسماء بالأرض فقد وقع في الكفر فقد وقع في الكفر لم يكفر هو الحق أنه لا بد أن تقام عليه الحجة وتزال عنه الشبهة ويستتاب ثم إن بقي على ما هو عليه يقتل ردةً وهذا من قبل ولي الأمر

ولذلك المحنة التي وقع فيها البخاري بسبب أنهم اتهموه زوراً حسداً الرجل تبوأ المكانة ومن تبوأ المكانة فحسدوه فهو كان يقول (القول قول الباري واللفظ لفظ القارئ) وهذا حق ولذلك أنظر إلى الأدلة الكثيرة التي تبين لك البخاري لما قال (كتاب الله محفوظ في اللوح المحفوظ) ولذلك قال الله تعالى (والطور وكتاب مسطور في رقي منشور) وقال (انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون) (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ)

عندما قال الله تعالى عن أفعال عباده (وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر) قال النبي صلى الله عليه وسلم (وأول ما خلق الله القلم قال له اكتب وما اكتب ؟ قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة) القرآن نزول القرآن

وانه نزل جملة واحدة إلى بيت العزة في ليلة القدر ونزل بعد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم منجماً موافقاً للأحداث على ما قال ابن عباس وهو محفوظ في الصدور أيضاً هذا هو القرآن محفوظ في الصدور والصدور مخلوقة اللوح المحفوظ مخلوق والصدور مخلوقة فهو محفوظ محفوظ في الصدور وفي القلوب وهي مخلوقة وعنه وهي مخلوقة كما قال الله تعالى (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) وقد قال الله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به انا علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم انا علينا بيانه) وقال (سنقرئك فلا تنسى) قال الله تعالى (وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) والحق أنه أيضاً يسمع بالاذنان يعني هو يُقرأ بالفم وبالأحبال الصوتية وبالشفة والفم مخلوق والشفة مخلوقة والحبال الصوتية مخلوقة فهو يتلى بالأسنة أيضاً قال تعالى (أتل ما أوحى إليك من ال

كتاب) (وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستورا) فهو يتلى بالأسنة ويسمع بالاذنان أيضاً (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) هذه كلها تدل على قوة ما تنباه الإمام البخاري لأنه قال (القول قول الباري) وهنا نسبة القول لله جل في علاه وهذه التبرئة لساحته (القول الباري) واللفظ لفظ القارئ الأصوات المختلفة هذه كلها مخلوقة إذاً من قال بذلك وقصد حقاً مثل هذا فهو حق والبخاري قصد حقاً وهو أراد أن يبين تفصيلاً لكن كما قلت محاربة العلماء لمثل هذه الأمور هو أنها لا تعرف الهوية وما يعلمون الذي قال بذلك هو معتزل أو معتزلي وهي تكأة للمعتزلي لذلك حسمو المادة

ولذلك قال (وليس بمخلوق فيبيد أيضاً لا اعتقادنا بأن كل مخلوق يفنى) كقول الله جل في علاه (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)

قال المصنف رحمه الله تعالى (وكلمات الله شف هنا قال وكلمات الله جمع الكلم كلمات مضافة لله جل في علاه واضافتها إضافة صفة لموصوف لأنها معاني لكن هنا ماذا قال؟ قال (وكلمات الله) ما هي كلمات الله اختلف العلماء في ذلك هل هي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أم نقول كلمات الله يقصد بها القرآن والذكر الذي جاء به النبي العدنان هذا ظاهر في هذا الباب وان الإضافة هنا إضافة صفة للموصوف

قال (وكلمات الله وقدره الله) قدرة الله عامة (ان الله على كل شيء قدير)

(ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين)

قال (إنما قولنا لشيء إذا أردناه ان نقول له كن فيكون) فقدره الله جل في علاه شملت كل شيء والله جل في علاه على كل شيء قدير لكنه يختبر عباده ببعض البلايا والرزايا أو بعض النعم اختباراً لإظهار الصدق في العبودية لله جل في علاه

يقول (وكلمات الله وقدره الله ونعته وصفاته) يعني صفات الله جل في علاه كاملات غير مخلوقات قال صفات الله جل في علاه غير مخلوقة لذلك هنا يتبين لك إلى ضلال من دعا الصفة وقال يا رحمة الله ارحميني يا مغفرة الله اغفري لي هذا شرك وانظر إلى المهلكة لأنه إذا دعا صفة من الصفات فجعلها منفصلة عن الله جل في علاه والصفة لا تنفصل عن الموصوف وليعلم مستقل بذاتها وكأنه جعلها خالقاً مع الله جل في علاه لذلك قلنا هذا شرك ولا يجوز دعاء الصفة شرك لا يجوز قال (كاملات غير مخلوقات صفات الله جل في علاه معاني والمعاني هذه الكثيرة لموصوف واحد وهو الله الواحد الأحد القهار سبحانه دائماً أزليات وليست محدثات فتبيد) طيب هنا في قوله دائماً أزليات لا بد ان تفهم أن المسألة على وصف صفات الله جل في علاه على التقسيم الذي قسمناه قبل ذلك أنها صفات ثبوتية وصفات ثبوتية ذاتية هذا الصحيح الذي ينظر فيه لكن قوله (دائمات أزليات) ممكن تحمل على ان الجميع في أوله أزلي) أزلي يعني لا ينفك عن الله إلا يوم القيامة لا تنفك عن الله هذه الصفة إلا يوم القيامة لا تنفك الصفات أصلاً عن الله جل في علاه وقد نقول هذا في التأصيل الأول لكن الصفات الفعلية قلنا بأنه قد يتصف الله بها تارة ولا يتصف بها تارة والإجابة عن ذلك أنها قديمة النوع حديث الأفراد جمع ذلك أنها قديمة النوع حديث الأفراد لذلك قلنا قديمة النوع إذا يحمل قول المزمي دائماً أزليات أزليات على أنها صفات الثبوتية الذاتية الأزلية على أنها أزلية أبدية نقول وثبوتية فعلية اللي هي كالكلام كالضحك كالنزول نقول أصلها أزلي يعني ؟ احنا قلنا هي قديمة النوع حادثة الأحاد لذلك قال أزليات دائماً أزليات يعني أزلية أبدية وهذا اللي يقال فيه الصفات أنها أزلية أبدية

(وليست بمحدثات فتبيد)

لأن صفات الله جل في علاه كما قلنا ثابتة أزلية أبدية

قال (ولا كان ربنا ناقصاً فيزيد) أعوذ بالله وهذا شوفوا هنا ماذا فعل؟ الإمام أثبت لنا الصفات الثبوتية وأيضاً نفى الصفات المنفية الصفات السلبية لأن الصفات السلبية نقص والله جل وعلا لا يوصف بالنقص والله جل وعلا يوصف بالكمال فله الكمال المطلق سبحانه جلّت قدرته

والصفات المنفية هي الصفات التي نفاها الله عن نفسه في كتابه ونفاها عنه رسوله صلى الله عليه وسلم وأجمعت الأمة على نفيها لأن الله لا يتصف بها لأن صفات النفي صفات نقص من كل وجه والله له الكمال المطلق (ولله المثل الأعلى) فالصفات السلبية هي الصفات المنفية في قولها الله جل في علاه (لا تأخذه سنة ولا نومة) وقول الله تعالى (وما مسنا من لغوب) لقول النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يرفع القسط ويخفضه) ولقوله (أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصماً ولا غائباً تدعون سميعاً بصيراً) الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته

وقد قال الله تعالى هو الذي خلق السماوات السبع وأنزل المطر من السماء لكنه قال (وما كنا غائبين) فهو شهيد على كل شيء سبحانه جل في علاه وهذا كما قلنا قد وصف المزماني ربه جل في علاه بالصفات الثبوتية وأيضاً

الصفات المنفية التي هي السلب التي نفاها الله عن نفسه ونفاها عنه رسوله صلى الله عليه وسلم والكمال في ذلك فاحنا قلنا ان الأدب عند أهل السنة والجماعة في الصفات المنفية إثبات كمال الضد ولذلك قلنا صفات الله جل في علاه تتصف بصفات الثبوتية والصفات السلبية وصفات مقابلة

🌸 الصفات الثبوتية كمال من كل وجه العزة القدرة الرحمة نعم

🌸 الصفات المنفية صفات اللي هي السلبية صفات نقص من كل وجه كالخيانة لذلك الله جل في علاه قال (فأمكن منهم) قال جلّت صفاته عن شبه صفات المخلوقين وهنا التشبيه أيضاً كفر التشبيه كفر

🌸 صفات المقابلة وهي نقص من وجه كمان من وجه فالمكر كمال من وجه عندما يكون في المقابلة (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين)

(إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً)

(ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) الآن الكمال هنا لأنه رد الكيد العدا رد مكروهم سبحانه جل في علاه عندما قال الله جل وعلا (وإن كان مكروهم لتزول منه الجبال) ومع ذلك مكروهم رده الله جل في علاه قال جلّت صفاته عن شبه صفات المخلوقين وقصرت عنه فطن الوصف وهذه معناه انه لا يجوز لأحد ان يتكلم في التشبيه هنا الآن ثم تكلم في الكيفية قال (وقصرت عنه فطن الواسفين) اي لا يصل أحد إلى تكييف صفة من صفات الله جل في علاه وهذا أبعد ما يكون ولذلك جاء في الآثار (لا تتفكروا في الله وتفكروا في خلق الله جل في علاه أو تفكروا في نعم الله جل في علاه) لذلك لما قال بأن الله خلق ملكاً طوله ما بين السموات والارض له ستمئة جناح قيل له صف لنا جناحاً واحدة ما استطاع وهذه فقط صفة من صفات خلق من خلقه فكيف بصفات الجليل سبحانه جل في علاه إذا قال (قصرت عنه فطن الواسفين يعني ان الله لا تصله فكرة وان الكيف موجود نعم لكن ما تستطيع ان تصل إليه لأنه غاب عنك إلا إذا اظهره الله لك إذا هو الكلام عن الكيف هو تكلم عن الصفات وتكلم عن الكيف أيضاً كأنه أثبت للصفة كيف؟ وأنه كما قال علمائنا يقولون محال ان تثبت صفة ولا يثبت لها كيف؟ لكن هذا الكيف الثابت هو أيضاً غيب عنا ما لنا الا التسليم التام

ولذلك قال الإمام مالك قال (الاستواء معلوم والكيف مجهول لكنه موجود والسؤال عنه بدعة) قال

(قريباً بالإجابة عند السؤال) هنا يعني كيف تقرأون قول المزماني (قريباً بالإجابة عند السؤال) هذا أصله أن النبي صلى الله عليه وسلم سرعة الإجابة طبعاً هو القرب ان هذا قرب خاص ان هذا قرب خاص هذا قرب خاص بالمؤمنين ولذلك الله ماذا قال

قال (ان رحمة الله قريب من المحسنين) ان رحمة الله قريب بان الله قريب إليهم برحمته والله قريب من كل مؤمن لما قال (اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصماً ولا غائباً تدعون سميعاً بصيراً) إن الله أقرب لأحدكم من عنق راحلته (القرب هنا قرب إجابة القرب قرب إجابة لأن القرب قد يكون قرب رحمة وهو طبعاً ضمناً ان يكون يدخل هذا عموم مخصوص او قرب إجابة إجابة للسؤال لذلك قال (ان الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته)

وإذا والمزماني قال (والقصد من ذلك أنه قريباً بالإجابة عند السؤال) بالله عليكم وهذا ذكره الإمام المزماني لعظيم ما نناله من هؤلاء من الاعتقاد السديد في ربنا المجيد لكن هنا وأشار إلى صفة أخرى ما هي؟ (قريباً بالإجابة عند السؤال) أشار إلى أمر آخر وتقعيد آخر عند أهل السنة والجماعة في مسائل المحكمات وغيرها ماذا كان يقصد قال (قريباً بالإجابة عند السؤال) أراد المزماني هو اراد ان يبين انه ليس قريباً بذاته مع أن الحق أنه ما يبعد ان نقول قريب بذاته لأن ابن عباس ماذا قال؟ قال (الكون كله في يده كحبة خردل في يد أحدكم) إذا قلنا هذا قرب خاص بالمؤمنين لكن هو السلامة في السكوت

عن ذلك والإشارة إلى ما قال فيه السلف بأن الله من المحكمات انه فوق السماوات من المحكمات انه فوق السماوات قال الله تعالى (ءامنتم من في السماء) قال (الرحمن على العرش استوى) هذه محكمات لذلك لما تكلم عن القرب والله جل في علاه فوق العرش وأنها من المحكمات في علو الله جل في علاه وأنه فوق العرش قال

(قريبٌ بالإجابة عند السؤال) لقلول الله تعالى(وإذا سألك عبادي عني فإني قريبٌ أجيب دعوة الداع إذا دعان) قال (قريبٌ بالإجابة عند السؤال بعيدٌ بالتعزز لا ينال) لا تناله الفكرة سبحانه جل في علاه ولا يبلغه ضرر قال الله تعالى (يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني يا عبادي إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني) قال(عالٍ على عرشه) نقف عند هذه للكلام على العلو وهذا العلو ينافي القرب والدنو لاسيما وان الله جل في علاه يتعبد بأسمائه الحسنى وصفاته العلى بأنه الأول والآخر والظاهر والباطن فهو(قريب في علوه علي في قربه) وهذا سنبينه ان شاء الله بالأدلة والأمثلة بالكلام على العلو في الدرس القادم

شرح السنة للإمام المزني

المجلس الحادي عشر

عنوان الدرس : تابع الصفات الآجال والقبر

وصلنا الى قوله (جلّت صفاته عن الشبه وعن شبه صفات المخلوقين وقصرت عنه فطن الواصفين) كل ذلك شرحناه امس (قريباً بالإجابة عند السؤال وبعيداً بالتعزز لا ينال سبحانه جل وعلا لا تصل إليه في فكرة وكيفية صفاته لا يعلمها الا هو سبحانه جل في علاه عال على عرشه بائن من خلقه) في أول الكتاب ذكر العلو وقلنا بأن العلو علو مطلق وعلو مقيد

والعلو المقيد هو العلو على العرش

والعلو المطلق لا نزاع فيه علو الشأن علو القهر لا نزاع فيه

النزاع في العلو الخاص والعلو على العرش (الرحمن على العرش استوى) بقوله (بائن من خلقه سبحانه) له ما (.) فهو بائن من خلقه عال على عرشه أحاط به قدرةً وسمعاً وبصراً وعلماً سبحانه جل في علاه كما قال الله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا)

قال (موجودٌ وليس بمعدوم ولا بالمفقود) سبحانه جل في علاه هذا رد على الجهمية لأن في الحقيقة الأمر ان الجهمية يعبدون عدماً في حقيقة الأمر أنهم يعبدون عدماً يقولون لا فوق لا تحت لا يمين لا يسار لا داخل العالم لا خارج العالم فهم يعبدون عدماً () موجود ومظاهر الربوبية تدل على وجوده سبحانه جل في علاه وموجودٌ هنا خبر عن الله ليست صفة من صفاته لأن الموجود هناك من أوجده لكن هو يريد أن يخبر عن وجود الله والآيات العظيمة في السماوات وفي الأرضين دالة على وجود الله جل في علاه وكل شيء له فيه آية قال كيف يعصى وكيف يجحد الجاحد وله في كل شيء آية تدل على أنه واحد

يقول ليس بمعدوم وليس بمفقودا يعني ليس بغائب كما قال الله تعالى

(وما كنا غائبين) وأيضاً الله شهيدٌ على عباده كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصماً ولا غائباً تدعون سميعاً بصيراً ان الذي تدعون أقرب لأحدكم من عنق راحلته)

قال (والخلق ميتون بأجلهم عند نفاذ ارزاقهم وانقطاع آثارهم) المعنى هنا والخلق ميتون بأجلهم الأجل مكتوب فقد قال الله تعالى (لكل أجل كتاب) (ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) والملك إنما يؤمر برفع الروح او بنفخ الروح يقول أي ربي الأجل أي ربي الرزق أي ربي شقي أم سعيد أي ربي أذكر أم أنسى الشاهد يقول أي ربي الأجل فكل أجل مضروب عند الله جل في علاه كما قال الله تعالى (لكل أجل كتاب) وكما دخل النبي صلى الله عليه وسلم على أم حبيبه وهي تدعوا اللهم متعني بأبي سفيان اللهم متعني بأخي معاوية ابن أبي سفيان يقول النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها لو سألتني الله الارزاق مقسومة والأجل مضروبة لو سألتني أن يدخلك الجنة وينجيك من النار لكان خيراً لك ما من نفس منقوسة إلا وكتب الله عليها الموت قال الله تعالى (إنك ميت وإنهم ميتون) وقال الله تعالى (كل من عليها فان) ولذلك لما مات النبي صلى الله عليه وسلم وجاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه يرفع السيف ويقول ما مات ذهاب إلى ربه وسيأتي جاء الإمام ابو بكر رضي الله عنه وأرضاه فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقيل بين عينيه وقال طيب حياً وميتاً ثم قال رضي الله عنه وأرضاه أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت

قال (والخلق ميتون بأجلهم عند نفاذ ارزاقهم) وعند نفاذ ارزاقهم المقصود بذلك ان الرزق كالموت وهذا يدل على أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم بأبي هو وأمي النبي صلى الله عليه وسلم قال (إن الرزق ليسعى خلف المرء كما يسعى الموت خلفه) فهي آجالٌ مضروبة وأرزاق مقسومة مقسمة على الأجل

قال (وانقطاع آثارهم) انقطاع الأثر بالموت لذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا يتمنين أحدكم الموت لضرٍ وقع به) وقد بينا أنه ولعله يبقى فيقيم طاعة قال (طوبى لمن طال عمره وحسن عمله) وانقطاع الأثر هذا أصل بعد الموت لكن قد لا ينقطع الأجر كالمرايط فإنه يكتب أجره إلى يوم الدين أيضاً كالعالم فالعالم يموت وعلمه ينتشر وله في كل واحد علمه أجر فهذه الآثار لا تنقطع مكانه إن كان مرابطاً أو كان عالماً قد صنف وشرح وفصل

ثم قال (ثم هم بعد الضغطة في القبور مساءلون) الضغطة هي ضمة القبر قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم

(لو نجي منها أحد لنجي منها سعد ابن معاذ. السؤال هل الضمة أيضاً تدخل تحتها الأنبياء ام لا؟ هذا السؤال مطروح عليكم. قلت لكم انه قال(ثم هم بعد الضغطة في القبور مسائلون) وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (ان للقبر ضمة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد ابن معاذ) هل الأنبياء ينجون منها ام أيضاً الأنبياء يقعون فيها؟؟

والله المسألة فيها نظر الأصل أولاً نقول ان النبي قال لو نجا منها أحد لنجا منها سعد ابن معاذ طيب ما ذكر الأنبياء فكل سعد بن معاذ وما تحته يضمنون حتى الطفل الصغير لا ينجو من ضمة القبر والطفل الصغير غير مكلف لا ينجو من ضمة القبر لأن ا

لنبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة أن أبا هريرة صلى على طفل قال اللهم نجه ضمة القبر فالمسألة فيها نظر في هذا الباب قد نقول ما من أحد ينجو منها وقد نقول بأن الأنبياء لا تضمهم الأرض

قال (ثم هم بعد الضغطة الأصل ان المسألة على التعميم يعني الأحكام على التعميم ما فيش تخصيص يعني حرمت ان تأكل أجساد الشهداء يعني هي حرم الله عليها ان تأكل الأنبياء وحرم عليها ان تأكل أجساد الشهداء أيضاً

(ثم هم بعد الضغطة في القبور مسائلون) ومسائلون سؤال القبر ويتبع سؤال القبر عذاب القبر سؤال القبر ثابت لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما دفن صحابياً جليلاً قام ينكت بعصا بيده ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم سلوا لاختيكم التثبيت واستغفروا له فإنه الآن يسأل

ثم قال ان الميت إذا دخل قبره واهيل عليه التراب جاءه ملكان فيقعدانه فيسأله من ربك وما دينك وماذا تقول في الرجل الذي بعث فيكم فأما المؤمن فيقول ربي الله وديني الإسلام ومحمد صلى الله عليه وسلم هو الذي بعث فينا صلى الله عليه وسلم يقولون نم كنوم العروس لا يوقذه إلا من يحب في الرواية الأخرى انه يأتيه الملك فيسأله من ربك وما دينك وماذا تقول في النبي الذي بعث فيكم هذه فتنة أخرى هي فتنة السؤال ولذلك قال الله تعالى عندما علموا بسؤال منكر ونكير وأن الأمر جل في القبر فأنزل الله جل في علاه(يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) يعني يثبتهم عند سؤال القبر عمرو بن العاص رضي الله عنه وأرضاه قال نظر إلى أولاده ثم قال إن أنا مت فقال فأسرعوا في دفني فأكرموني يعني وأهبلوا علي التراب وقفوا على قبري مقدار ذبح جزور لعلي استأنس بكم فأرد على أسئلة ملائكة ربي هناك رواية فيها ضعف ان عمر بن الخطاب لما سمع ذلك قال يا رسول الله هذه الملائكة الأسودان الأزرقان منكر ونكير هما خلق من خلق الله قال نعم يا عمر هما خلق من خلق الله قال اذا سأسألهم كما يسألونني من ربكم وما دينكم وماذا تقولون في الرجل الذي بعث يعني فيكم او فينا تعجب هذه قوة إيمان هذه ان دلت على قوة الإيمان لكن السؤال ثابت وهذه فتنة لا ينقذ من هذه الفتنة ولا ينجو منها إلا إذا تكلمنا عن صنفين

 الصنف الأول هم الشهداء أنجاهم الله الشهداء من هذه الفتنة فتنة السؤال فهم يقيم الله جل في علاه في قبورهم فإنهم لا يفتنون في قبورهم والنبي صلى الله عليه وسلم قال (تفتنون في قبوركم قريب من فتنة الدجال) (.) اليهودية قالت لعائشة رضي الله عنها وأرضاهما وقال الله من فتنة القبر فأنكرت فاثبته النبي صلى الله عليه وسلم فهنا الضغطة في القبور فيها السؤال وهذه فتنة عظيمة وكما قلنا الشهداء يخرجون من ذلك للحديث الظاهر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما سأله لما لا يسألون؟ قال كفى ببارقة السيوف فتنة

 وأيضاً الذين تكتب لهم النجاة في قبورهم من مات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة يوم مبارك وليلة مباركة كتب الله لهم نجاته من القبر وما فيه من الأهوال الحمد لله كفى ببارقة السيوف فتنة ولا ويوم الجمعة فيها كما قلنا انه يقية الله جل وعلا ما في قبره طرح بعضهم اذا كان الأمر على إظهار الصدق في الشهداء أنهم أظهروا صدقهم مع بوارق السيوف طيب الصديق الصديق الأكبر هل يسأل أو لا يسأل الصديق الأكبر ؟ هل يسأل أو لا يسأل هذا سؤال مطروح؟ الحق اننا نسكت عنه ما سكت الشرع عنه الأولى السكوت عنه يتبع السؤال وقال وضغطة القبر جعلنا نذهب إلى التابع واللازم لازم ذلك انه إذا سئل فاذأ يعقب هذا السؤال العذاب او النعيم والعذاب ثابتان من الكتاب والسنة ثبوت كالجبال الرواسي إلا أصحاب الفتنة وأصحاب الاعتزال الذين ينكرون ذلك هم المعتزلة أهل البدعة والضلالة

 ثبوت عذاب القبر ونعيم القبر

ثابت بالكتاب والسنة والعقل بل وإجماع أهل السنة والعقل قال الله تعالى(ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون) وإن كان قد نازع بالاستدلال بها بعض العلماء والحق انه يستدل بها بالاحتمال في هذا الباب ان العذاب الأدنى هو عذاب القبر والعذاب الأكبر هو عذاب النار لقول الله جل وعلا عن فرعون قال (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب) النار يعرضون عليها غدواً وعشيا أين ؟ في البرزخ لأنه قال ويوم القيامة ادخلوا آل فرعون ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب

🌿 أما السنة فكثير وكثير أيضاً في قوله جل في علاه عن قوم نوح (أغرقوا فادخلوا ناراً) أغرقوا فادخلوا ناراً الفاء هنا للتعقيب والسرعة مع أن النار التي يدخلونها ويلتحقونها ويخلدون فيها نار الآخرة لكن بمجرد نزوله إلى القبر قال الله جل في علاه (أغرقوا فادخلوا ناراً) وأما السنة بالكثير فالأحاديث المصرحة بالسؤال والفتنة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (تفتنون في قبوركم قريب من فتنة الدجاج) والحساب والعذاب والنعيم وارء كما في قصة ابن عمر رضي الله عنه وأرضاه (أنه بات ليلة فسمع رجلاً من الأموات يصرخ من

عذاب القبر فلما سمع ابن عمر ذلك فزع فذهب فقص على النبي صلى الله عليه وسلم هذه القصة فنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سفر الإنسان وحده

وأيضاً من ذلك ما في حديث ابن عباس مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال (يعذبان وما يعذبان في كبير ما الكبير أما أحدهما فكان لا يستنزه من بوله وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة)

فعدم التنزه سبيل العذاب القبر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (استنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه)

ومن ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لولا ألا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر) ولذلك أنت ترى النبي صلى الله عليه وسلم (مر على قريب بدر فقال هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فأني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً) وفي الحديث الطويل حديث أسماء في صلاة الكسوف قال فيقال للمنافق من ربك وما دينك وماذا تقول في النبي الذي بعث فيكم فيقول ما سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثلما قالوا يقولون قولا فقلت قولا يعني قلت مثلما قالوا فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول (فيأتي الملك بمطرقة فيضرب بين عينيه فيصرخ صرخة يسمعا كل أحد سوى الثقلين) وحديث ابن عمر ما من يوم إلا ويفتح للمؤمن يفتحون له باب من الجنة يأتيه من ريحها وطيبها ومسكها وما من يوم إلا ويفتح له من ريح النار إذا كان من أهلها فيرى من سموها وزمهريرها الله الله ينقذه من ذلك لكن كيف لو مات على الكفر والنفاق لا إنقاذ له إذا هذه السنة التي تدل على أيضاً عذاب القبر ونعيم القبر

تعلمون انه أيضاً جاء رجل يريد أن يشرب فقال إذهب لهذه الشن المعلقة وكان تحتها بئر فذهب ليشرب فرفع الرجل فوقع الرجل فمات فلما مات عذب في قبره بهذه المصيبة وهذه الجناية والجهة الأخرى البول كان لا يستنزه من بوله فكان يصرخ ويقول شن وما شن بول وما بول وأنه كان يعذب في ذلك وان كان الإسناد فيه كلام

من الأدلة على عذاب القبر أيضاً ما جاء من مؤمن له بعد السؤال أن صدق عبدي فافرشوا له من الجنة عندما يصعد الملائكة به يعني قال ان صدق عبدي فافرشوا له من الجنة واليسوء من لباس الجنة فيأتيه من طيبها وريحها اللهم اجعلنا منهم وأما ان كان منافقاً فيقال ان كذب عبدي فألبسوه من النار ويفتح له باب من النار فيأتيه من سموها وحميمها فانظر هذه كلها أحاديث تدل على ان في القبر نعيم وفي القبر عذاب

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم صريحاً (لولا ألا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر)

وكان نبيك كما قالت عائشة يوم ان قالت لها اليهودية وقال لها انكم تفتنون في قبوركم ما ترك النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء دبر كل صلاة يستعيز من أربع منها فتنة المحيا والممات ومنها فتنة القبر ومن أعظم الأدلة على عذاب القبر وعلى نعيم القبر ما حدث للنبي صلى الله عليه وسلم في المعراج كان يمر في كل سماء ووجد أعاجيب وجد رجل يضرب بحجر حتى شق جسده والآخر بالكلايب على فمه ومنهم من كان يسبح في نهر من الدماء ورجلاً واقف على القبر كلما اقترب فغر فاه فالقمة حجراً فيرجع كما كان رأى تنوراً فيه النساء والرجال الزناة يدجون وأصواتهم كانت بالصراخ عالية فكان النبي صلى الله عليه وسلم يستوقف جبريل عليه السلام ويسأله فكان يبين له ان هذا أكل الربا وهذا الساعي بين الناس بالنميمة هؤلاء الذين يفعلون الفاحشة هذا كله من عذاب القبر ومن نعيم القبر على ما قاله المصنف قال (ثم هم بعد الضغطة في قبورهم يسألوني يتبع السؤال العذاب او النعيم يبقى لنا مسألة متعلقة فيها وهي ان قلنا بعذاب أو نعيم وحديث الشجاع الأقرع أيضاً لو بعذاب العذاب يكون حسي او معنوي فالعذاب والنعيم على الجسد ام على الروح أم عليهما معاً؟؟
اختلف العلماء في هذه الأقوال

🌿 منهم من قال على الروح فقط وهذا قول المعتزلة وابن حزم مال إلى ذلك

🌿 ومنهم من قال انه على الجسد فقط حتى يبلى

🌿 ومنهم من قال انه على الجسد والروح وهذا قول المحققين من أهل السنة والجماعة أنه على الجسد والروح أما على جسد فالأدلة كثيرة في ذلك الثعبان الأقرع الذي يقرصه إن كان أكل بالربا وايضاً المطرقة التي يأتي بها الملك فيضربه بها ضربة ويعني يصرخ صراخاً لا يسمعه إلا الثقلان فقط

والذين قالوا على الجسد كما قلنا المطرقة والشعبان الأقرع الذي تقرصه في القبر والحق انه يقع على الروح وعلى البدن يقع الروح وعلى البدن قال النبي صلى الله عليه وسلم (أرواح الشهداء في حواصل طيرٍ خضرٍ معلقة في قناديل على العرش يسرحون ويأوون إلى أشجار الجنة معناه أرواح المؤمنين أما النعيم فقد وقع على الروح فقط والنعيم وقع على روح فقط والعذاب كذلك لكن كما قلت قد ينفرد البدن وهذا قليل وقد يجتمع البدن والروح

ولذلك الدارمي يقول (بأنه يكون على البدن تارة وعلى الروح تارة وعندما يكون على البدن والروح قد يقال البدن قد يبلى يعني له مدة يسيرة ويبلى فنقول يبقى عجب الذنب وبقاء عجب الذنب دلالة على أنها تقترب به الروح فيكون العذاب والنعيم على البدن وعلى الروح

فاذاً المسألة تارة على ال

روح تارة على البدن تارة على الروح والبدن والأغلب انه على الروح لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم بأن الشهداء أرواحهم في حواصل طيرٍ تعلق في شجر الجنة

طبعاً منكر عذاب القبر مبتدع ضال أسأل الله أن يعافينا

الدرس الثاني عشر: النشور والحساب

بعدما تكلم المصنف رحمه الله تعالى عن الغيوب، تعلمون بأننا بين حياة ثلاث: الحياة الدنيوية والحياة الأخروية وبينهما برزخ وهي الحياة البرزخية؛ تبتدئ بالقبر وبعد القبر يحدث فيه من الأهوال، ثم يتبعه بعد ذلك من نعيم أو عذاب سواء على الروح أو على البدن أو على الروح والبدن كما بيّنا أمس، فهذه الحياة البرزخية سبيلٌ إلى الحياة الأخروية. لذلك إمامنا الذي أظهر مذهب الشافعي، هذا المذهب الذي كتب الله له القبول وأنا أدين الله أنه أقرب المذاهب للسنة هو المذهب الشافعي، ومع ذلك السنة تقدم عليه وتقدم على أي مذهب من المذاهب.

الإمام المزني كما قلت -لنعلم هنا الفرق بين طريقة المتقدمين وطريقة المتأخرين- هو كان على الجادة وكان على عقيدة إمامه الحق، فالإمام المزني ترى أنه في الصفات لا سيما في الكلام على صفات الأفعال وبالتحديد الكلام على صفة الكلام، لأنهم أيضاً اتهموا الإمام المزني أنه يقول بخلق القرآن كما اتهموا البخاري وغيره. فهو تكلم عن القبر وما يحدث في القبر ثم قال: **النشور والحساب**، فقال: **وبعد البلى**؛ يعني بعد ما تبلى الأجساد وتعلمون أن الحديث جاء صريحاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أن كل الإنسان في القبر يبلى إلا عجب الذنب منه يُرَكَّب الإنسان. قال: **وبعد البلى منشورون ويوم القيامة إلى ربهم محشورون**، فأثبت البعث والنشور وأثبت الحشر. **ولدى العرض عليه محاسبون بحضرة الموازين**، فذكر أيضاً الميزان. **ونشر الصحف الدواوين**، أحصاه الله ونسوه في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة، لو كان غير الله عز وجل الحاكم بين خلقه لكنه الله يلي الحكم بينهم بعدله بمقدار القائلة في الدنيا. **طبعاً هذا ورد عليه بعض الآثار**، كما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"يوم القيامة كقدر ما بين الظهر والعصر"**. هذا يمر على المؤمن هكذا، أما على الكافر فعُدُّ السنين الخمسين ألف سنة. **وهو أسرع الحاسبين كما**

بدأه لهم من شقاوة وسعادة يومئذ يعودون فريق في الجنة وفريق في السعير، رجع مرة ثانية للكلام على مسألة القدر وبيان أن الله جل في علاه قد فرغ من العباد وعلم أهل الجنة من أهل النار.

بدأ المصنف رحمه الله تعالى بمسألة البعث والنشور، ويسبق البعث والنشور النفخ في الصور. وهذه المسألة العظيمة جداً بأنه الخروج من القبر، يعني هو عندما تقوم الساعة على شرار الخلق لا أحد يقول الله الله، إسرافيل يؤمر بالنفخ في الصور كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كيف أنعم وقد التقم القرن صاحب القرن؟!"، وهو الصور العظيم، "ينتظر له فينفخ". قلنا في خلاف بين العلماء؛ هي نفخة واحدة أم ينفخ نفختين أم ثلاث نفخات، على خلاف بين العلماء وإن كان المحققون يرون بأنه ينفخ نفختين: النفخة الأولى وهي نفخة الصعق، ونفخة الصعق يموت فيها كل من في السماء والأرض ويصعق بها كل من في السماوات والأرض فلا يبقى أحد معها إلا ويموت.

فالصور العظيم الذي يحمله إسرافيل ينفخ فيه الملك فيصعق من في السماوات ومن في الأرض، كما قال الله جلّ وعلا: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) [الزمر: 68]، فيموت الجميع في النفخة الأولى. إن الله تعالى يأمر إسرافيل فينفخ في صور نفخة واحدة فيصعق منها كل إنسان، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن، وانتظر أن يؤذن له فينفخ في الصور؟!". وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخشى كل الخشية والرهبة على أمته، فإن المسألة جلت فيها الرجوع إلى الله جلّ في علاه، وفيها الحساب العظيم. وقد أحصى الله كل شيء في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى، سبحانه جلّ في علاه، (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) [ق: 18]، بل يختم على أفواههم وتتكلم الأيدي والأرجل وتشهد بما كانوا يكسبون.

وهنا صيحة واحدة تحصد كل من في الأرض، كيف الملك وكيف قوته؟ بل كيف الصور الذي ينفخ فيه بل كيف نفخته؟ صيحة واحدة يأتي بالجميع فيصعق من في السماوات ومن في الأرض، ونفخة أخرى تتطاير فيها الأرواح إلى الأجساد فتلتقي، والسمااء تمطر مطراً كالطَّل أو كالظِّل أو كالظِّل فتنتب بها الأجساد ثم يحشرون إلى ربهم جلَّ في علاه. قال الله تعالى: (وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) [الزمر:68]، المستثنى كما بيّنا قبل ذلك، استثنى الله جلَّ في علاه (***)، وهذه هي النفخة نفخة الصعق كما قلنا. كما قال الله تعالى: (وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِّخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) [الزمر:68]، وكما قال الله تعالى: (وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ) [يس:51].

ولذلك بعد أن يُميت الله الخلائق بهذه النفخة فإنه يأمر السماء أن تمطر مطراً كالطَّل تنبت به الأجساد، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ثم ينفخ إسرافيل في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتهاً ورفع ليتهاً"، يعني يصعق يموت. فلا يبقى أحد إلا قد صعق، ثم يأمر الله السماء فتمطر مطراً كالطَّل فتنتب منه أجساد بني البشر. فيؤمر بالنفخة الثانية، فينفخ في الصور النفخة الثانية على الراجح الصحيح (فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) [الزمر:68]. وهناك من أهل السنة والجماعة ومن المحققين يرى بأن النفخ ثلاث نفخات، وظاهر الكتاب والسنة على أنهما نفختان.

ثم يحدث بعد ذلك البعث منشور كما قال الإمام: منشورون يوم القيامة وإلى ربهم محشورون. والأصل في البعث هو الإرسال والنشر، وفي الاصطلاح العلماء يقولون البعث ما جاء في الكتاب إلا بإحياء الموتى يوم القيامة. فإن الله جلَّ في علاه يبعث جميع الخلائق، الجميع يبعثون إلى الله في علاه حفاةً عراةً غرلاً غير مُختونين، يقفون بين يدي الجبار سبحانه جلَّ في علاه فهم عن أعمالهم مسئولون وعلى أفعالهم مجزيون (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) [الشعراء:227]. قال الله تعالى: (قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ) [التغابن:7]،

وقال الله تعالى: (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) [الأنبياء:104]، وقال تعالى: (قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمٍ مَعْلُومٍ) [الواقعة:49-50].

والسنة كثير؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يحشر الله الناس يوم القيامة على أرضٍ بيضاء عفراء كقرصٍ نقي ليس فيها معلّمٌ لأحد"، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً: "تحشرون حفاةً غرلاً"، غرلاً يعني غير مختونين، حتى إن عائشة رضي الله عنها وأرضاها قالت: أو ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: "الأمر أشد من ذلك يا ابنة الصديق"، فهذا كتاب وسنة على مسألة البعث والنشور.

وأجمع أهل السنة والجماعة على البعث والنشور، رداً على الدهرين الذين يقولون وما يهلكنا إلا الدهر، ورداً على أهل الكفر يعني أهل مكة الذين عارضوا البعث والنشور الذي أخذ العظام ففركها فصارت تراباً فقال الله جلّ وعلا مبيناً بجاحة ووقاحة هذا الذي أعرض للنبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب، فقال: (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) [يس:78-79]، سبحانه جلّ في علاه.

ولذلك الله تعالى ضرب الأمثلة على البعث والنشور بما وقع حقيقةً وبالقياس أيضاً، لكن ما دخل القياس في البعث والنشور؟ ضرب القياس دلالة على حجية القياس في هذا الباب لأن الله تعالى جعلهم يضربون يعني ينظرون للأمثلة في الأرض: إحياء الأرض بعد موتها، الله جلّ وعلا ضرب مثلاً بالأرض الميتة قال الله جلّ في علاه: (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) [الحج:5]، هامة أي ميتة. (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [فصلت:39]. هذه كلها أمثلة واضحة جلية

عياناً على البعث والنشور ضرب الله بها مثلاً، لا سيما أن السماوات والأراضين أعظم من خلق الإنسان.

وقد وقع حقيقة بأهل الكهف بأن الله جلّ وعلا أماتهم ثلاثمائة سنة وعشرة، وأيضاً الرجل الذي مرّ على القرية فأماته الله جلّ وعلا مئة عامٍ ثم بعثه، وأيضاً ما كان من إبراهيم عليه السلام: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۚ) [البقرة:260]، هذه أمثلة حية قد ضربت. وأيضاً صاحب البقرة من بني إسرائيل الذي قتل عمه ووضعها على حافة بلدة وقال قتلوا عمي ويريد الإرث تعجلاً وطمعاً، وأراد أيضاً دفع التهمة مع وجود الدية يريد لها، فسبحان ربي العظيم لذلك قال الله جلّ في علاه: (فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۖ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [البقرة:73]. بل ومن قصص بني إسرائيل التي قصها علينا النبي صلى الله عليه وسلم أنهم مرّوا قالوا له أحيأ الله لنا رجلاً من هذا القبر فيخبرنا، فأخرج الرجل رأسه من القبر قال: ما لكم ولي... إلى آخر الحديث.

هذا الأصل في هذا الباب، وهذه فائدة القياس هنا في هذا الباب، وهذه أفضل ما يكون قياساً في مسائل الاعتقاد في هذا الباب هو البعث والنشور. بأن الله تعالى بيّن لهم مقياساً على البعث والنشور ولذلك قال: (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ) [الأنبياء:104]، ولأن الإعادة تكون أيسر من الابتداء، فقال أقررتم بالابتداء؟! قال الله تعالى: (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا) [الإنسان:1]، قال الله تعالى: (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ) [الأنبياء:104]. فيحشرهم الله جلّ في علاه، فإذا كان الحشر يوم القيامة يكون على أرض بيضاء كقرصٍ نقي، كما قال الله تعالى: (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) [إبراهيم:48]، وقد قال النبي: "يحشر الله الناس يوم القيامة على أرضٍ بيضاء عفراء كقرصٍ نقي، ليس فيها معلّم لأحد".

فإذا نشرهم الله جميعاً حفاةً عراةً، كلهم يحشرون إلى الله جلّ في علاه. وبيّنا الحشر قد يكون فيه الكرامة زمراً أي جماعات (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) [الزمر:73]، وأما الكافرون فيحشرون على وجوههم صمّاً وبكماً وعمياً، مأواهم جهنم، ويحشر المتكبر منهم كأمثلة الذرّ صغاراً وحقارةً لشأنه ولمكانته.

ثم يبدأ الحساب، فإن الله تعالى يبعث الجميع ويحشرهم للحساب. وهذا كما قاله بعض علماؤنا من أدل الأدلة على وجود الله جلّ في علاه وعلى البعث والنشور، وأن الظالم قد يموت ظالماً ولا ينتصر منه والمظلوم قد يموت مقهوراً مظلوماً ولا ينتصر له، فلا بد عقلاً أن يكون هناك معادٌ من أجل تصفية الحساب. وجوباً عقلياً أنه لا بد من البعث والنشور من أجل تصفية الحساب، لأن هذا باب العدل والله جلّ في علاه حكمٌ عدل. ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لن تزول قدم عبدٍ من أمام الله على حتى يُسأل عن أربع: عن ماله كيف اكتسبه وفيما أنفقه، وعن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن علمه ماذا عمل به"، فلن تزول قدم عبدٍ حتى يسأل عن هذه الأربعة.

وقد تكفّل الله جلّ في علاه بعد البعث والنشور بالحساب، ولأنه لما أرسل الرسل وظّفهم بوظيفةٍ واحدة (مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ) [المائدة:99]، "فإنما" أسلوب حصر وقصر (فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ) [الرعد:40]، ولذلك قال جلّ في علاه: (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ) [الغاشية:25-26]. فالحساب إلى الله بعد الإياب وبعد البعث والنشور، والحساب يكون للجميع كحساب رجلٍ واحد لأن النبي سئل عن ذلك، سألوا النبي كيف يحاسب الخلق جميعاً؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنكم كما تسمعون صوته كرجلٍ واحد فسيحاسبكم كرجلٍ واحد"، يحشر الله الأولين والآخرين ثم يناديهم بصوتٍ يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما منكم من أحدٍ إلّا وسيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان، ويقول: عبدي أتذكر ذنب كذا يوم كذا"، يُقَرّ، "عبدي أتذكر يوم كذا ذنب كذا". وهو يُقَرّ، فينظر المرء إلى أَمْن منه فلا يجد إلّا ما قدّم، وينظر إلى أَشَأْم منه فلا يجد إلّا النار، فيظن أنه قد هلك "فيقول: عبدي سترته عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم". وكان النبي من ضمن دعائه دعاءً عظيماً قد يستسهله المرء أو ينساه والأصل أننا لا ننسى مثل هذا الدعاء بحال من الأحوال، وهو كان يدعو "اللهم حاسبني حساباً يسيراً"، فسُئِل النبي على حساب اليسير فقال: "ينظر الله جَلّ في علاه في الكتاب (أي في الصحائف المكتوب فيها أعمال العباد) في الصحائف فيتجاوز عنك ربك لما فعلت".

ما من أحدٍ إلّا وقد اقترن به الزلات والسيئات وقد وقع فيما هو منكر ومن المنكرات، ويخشى على نفسه فهذا الذي يكون الحساب يسير وهو مسألة العرض. أما طريقة الحساب الأخرى فهي المناقشة والمناقشة تؤول إلى العذاب، لأن النبي قال: "من نوقش الحساب عُذِّب". عائشة تعترض، تعلمون هي لا تعترض استغفر الله إنكاراً تعترض تريد تتعلم، فقالت: يا رسول الله كيف ذلك؟ وقد قال الله تعالى: (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا) [الانشقاق:8]، فقال لها النبي: "ذاك العرض، ومن نوقش الحساب عُذِّب". لأن الله ناقشه وبيّن له نعيمه فإنه يجعل عليه من نفسه رقيباً (نَحْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَتَنْشَهُدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [يس:65].

وفي الحساب ترى تفضيل الله جَلّ في علاه للعباد، فالكرامة يوم الكرامة عندما يُقَدِّم الله جَلّ في علاه هذه الأمة على جميع الأمم ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال: "نحن الآخرون الأولون". أول من يحاسب هذه الأمة، أول من يمر على الصراط هذه الأمة والجميع حتى الأنبياء يقولون "اللهم سلم سلم، اللهم سلم سلم". وأول الأمم دخولاً الجنة هذه الأمة وأولهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا سابقة عذاب كلهم على صورة القمر لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، والنبي صلى الله عليه وسلم قد بشر الأمة بأنه قال:

"فأعطاني مع كل واحدٍ من السبعين ألف سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حسابٍ ولا سابقة عذاب". وهذا تشريفٌ لهذه الأمة وتعظيماً لمكانتها، ولتعلم هذه الأمة أنها أمة مرحومة.

ويحاسب المرء على حقوق الله وحقوق العباد، لا بد أن يعلم ن الله تعالى لا يفوت شيئاً في كل عملٍ، فإنه يحدث العرض ونشر الصحف وأول ما يحاسب عليه المرء بقضاء الحقوق: حق الله حق العباد. ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أول ما يحاسب عليه المرء الصلاة"، هذا من حق الله فالصلاة هي أعظم حقوق الله، ولذلك قلنا بأن الصلاة هي أعظم أركان الدين بعد الشهادتين. فأول ما يحاسب على المرء الصلاة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا صلحت صلح سائر العمل وإذا فسدت فسد سائر العمل"، في رواية قال: "أول ما يحاسب على المرء صلاة فإن صحت أفلح ونجح وإن فسدت خاب وخسر".

ثم حقوق العباد وأول ما يقضى فيها بالدماء، وإذا تجاوز المرء هذا الحساب فيكون حسابه يسيراً فإن غلبت حسناته سيئاته فله الجنة، يقف على الصراط ولا يعبر ولا يمر حتى يقضي الله جلّ في علاه في الخصومات، قنطرة عين الجنة والنار في هذا المكان لا بد من التطهير من المظالم، ولذلك النبي قال: "من كان له عند أخيه مظلمة فليتحلل فإنه ليس ثمة الدرهم ولا دينار إنما هي الحسنات والسيئات"، ويحدث التطهير بالجميع لأنه لا يدخل الجنة أحد له لأحد شيء ولا يدخل الجنة أحد فيه مظلمة، الجميع يطهرون ثم يدخلون بعد ذلك في الجنان. وعن عائشة رضي الله عنها وأرضاها: "لله دواوين ثلاثة: ديوانٌ لا يتركه أبداً وديوانٌ لا يغفره أبداً وديوانٌ هو في المشيئة". ديوان السيئات والمعاصي فهو في المشيئة، الديوان الذي لا يتركه أبداً ديوان المظالم ولا بد من التطهير، والديوان الذي لا يغفره أبداً كما قلت هو الشرك.

ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا دينار، فقال: المفلس من أمتي يوم القيامة من يأتي بحسنات كالجبال، فيجيء وقد سب هذا وشتم هذا وقذف عرض هذا وأكل مال هذا فيأتي يوم القيامة، فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته حتى إذا انتهت الحسنات يطرح عليه من سيئاتهم طرحاً، فمن كانت له عند أخيه مظلمة فليتحلل"؛ يعني إما يتحلل منه ويستسمحه فيسامحه وإما أن يجعله يقضي عليه في المظلمة لأنه لو أتى يوم القيامة جبال الحسنات تنتقل.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: بحضرة الموازين ونشر الصحف؛ وهذا اثبات للميزان، اثبات لوجود الميزان وهو ميزان حقيقي. هذا هو الميزان ميزان حقيقي توزن به الأعمال، فلا بد من الحساب أو بعد الحساب من زنة الأعمال، إذا حاسب الله العباد على أعمالهم فتوزن أعمالهم، صحائف الأعمال فتوزن في ميزان له كفتان وهو ميزان واحد أو موازين. اختلف في ذلك لأن الله جلّ في علاه قال: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) [الأنبياء:47]، وقال الله تعالى: (فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ) [القارعة:6] وهذا هو على الجمع، (هُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ) [القارعة:7-8]، لكنه قال: (وَوَضَعَ الْمِيزَانَ) [الرحمن:7] ميزان واحد.

والصحيح أنه ميزان واحد والكثرة هنا والجمع على الأعمال والصحف وأيضاً ميزان العبد، لأن العبد على الراجح الصحيح يوزن والصحف على الراجح الصحيح توزن وأيضاً الأعمال تجسم وتوزن. وقد جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "أثقل ما يكون في ميزان العبد بعد تقوى الله حسن الخلق"، فحسن الخلق من أثقل ما يكون في ميزان العبد، كذلك في البطاقة فيها التوحيد. فحقيقة الميزان أجمع عليه أهل السنة والجماعة واختلف فيه طبعاً أهل البدعة والضلالة وأنكره. والعلماء اختلفوا فيما يوزن يوم القيامة فالبعض يقول توزن الأعمال والبعض يقول توزن الصحائف والبعض يقول يوزن العامل، والصحيح أن الثلاثة ثبت الميزان بهم. فالسجلات بالصحائف توزن كما في الحديث البطاقة: وضعت له

سجلات كسبعين سجلاً ظن الرجل أنه قد هلك فقيل: لا ظلم اليوم، أي لك عندنا بطاقة. قال: وما تنفع هذه البطاقة مع هذه السجلات، ومكتوب في البطاقة "لا إله إلا الله". فيقول: لا ظلم اليوم، فتوضع البطاقة على الكفة فتخرج. ولا شيء يوزن مع التوحيد وهذا إذا كان بقلب خالص، لذلك ابن القيم - ما أروع ما قال ابن القيم - قال: الكبائر تُكفّر الصغائر والتوحيد التام يُكفّر الكبائر. فالتوحيد مع الكبائر كالكبائر مع الصغائر.

و(***) النفس يوزن أيضاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "يؤتى بالرجل السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة". وابن مسعود لما تلاعبت الريح وكان قد تسلق الشجرة، فكانوا يضحكون فسألهم النبي على ما يضحكون؟ قالوا على دقة سياق ابن مسعود، فقال: "والذي نفسي بيده إنهما كجبل أحد في الميزان يوم القيامة".

وأما ميزان الأعمال فقد جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اقرأوا الزهراوين: البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف"؛ تجسيده تجسيد للعمل أي القراءة، ليس للقرآن بل القراءة لتعلموا. وإيضاً الحديث الصريح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده". فتكون هنا الحكمة من ميزان العبد أيضاً الكرامة أو المهانة، عندما يكون المؤمن عند الله وزنه غالياً. لما كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي إلى عياض ابن حمار بأن النبي احتضنه من الخلف وقال: "من يشتري مني العبد" فبكى وقال: إذاً تجدني كاسداً يا رسول الله، قال: "لست بكاسد، بل أنت عند الله نافع"، فهي الكرامة لأهل الإيمان. ثم بعد ذلك تتطايير الصحف كما قال: ونشر الصحف والدواوين أحصاه الله ونسوه، هذا يأتي إن شاء الله في الغد مع الكلام على الجنة والنار. وأيضاً هو أغفل كلاماً آخر في الاعتقاد وهو الكلام على مسألة حوض النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذا، بعد كل هذا الورود على حوض النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا يأتي إن شاء الله غداً في درس غد.

الأسئلة:

- حد المحبة الجبلية الذي إذا زادت زاد أصبحت شرك محبة؟

هذا صحيح هذي المحبة الجبلية هو ألا ترتقي إلى القربات، بمعنى يحب زوجته فهذه المحبة لا تكون واقفة، ضابط المحبة الجبلية هو محبة الرجل لزوجته لابنته لأبيه هذه المحبة في طوق التعامل دون أن تكون عارضاً للعبادات، فإذا وقفت عارضاً للعبادات هذه ستدخل بعد ذلك في المحبة التعبدية. فكلما علا سهمها تدخل في الشراكيات في هذا الباب، (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ) [البقرة:165]، كالذين يقدمون آباءهم على ربهم جلّ في علاه فهم في حقيقة يعبدونهم الأمر يعبدونه من دون الله جلّ في علاه. المحبة الجبلية أن يميل له وأن يؤدي ما عليه بالنسبة لهم ويقترب منه ويقتربون منه إلا أن تأتي فتقف عارضاً للعبادات هنا يبدأ عبد الخطر.

- ما معنى عارض للعبادة؟

يعني بين أمر أبيك وبين العبادة، بين أن يأكل من الربا ليرضي زوجته وبين أن يمتنع من أجل رضا الله جلّ وعلا، هنا يبقى الحد الحاسم في هذه المسألة.

- عند النفخ الأول كل مخلوق يفنى فالنفخة الثانية (**)?

يبقى إسرافيل للنفخة الثانية يصعق من في السماوات والأرض إلا من شاء الله ومنهم إسرافيل، وقيل بل إسرافيل أيضاً يموت، يأمر الله ملك الموت فيقبض روحه، بعدما ينفخ فيصعق الجميع ويموتون يأمر الله ملك الموت فيقبض روح إسرافيل ثم يحيه الله جلّ وعلا لينفخ النفخة الثانية.

شرح السنة للإمام المزني

المجلس الثالث عشر

عنوان الدرس : الجنة والنار

لا زلنا مع شرح السنة للمزني بلغنا إلى قوله (والجنة والنار) قلنا بأنه رحمه الله تعالى قد أغفل بعض أمور الغيبيات منها تطاير الصحف ونشر الدواوين وأيضاً منها الكلام على حوض النبي صلى الله عليه وسلم ثم انتقل سريعاً إلى الكلام عن الجنة والنار وطبعاً أغفل أيضاً مسألة الشفاعة الكلام على الشفاعة إذا دخل أهل النار النار ففي هناك شفاعة يخرجون منها بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم بشفاعة المؤمنين بشفاعة الله رب العالمين بعد شفاعة الملائكة إنا نتكلم على الجزئيات هذه التي أغفلها المصنف لأن من الغيبيات بإيجاز لا نطيل فيها وهي تطاير الصحف ونشر الدواوين لأنه بعد الميزان من يعرف من رجحت كفته ممن سقطت كفته أو لم ترجح فيكون هنا نشر ينشر الله الدواوين والكتب فينادى على أهل النجاة وأهل الجنان فيأخذون الكتب بميامنهم باليمين ونادى على أهل النيران والفسق والكفران فيأخذون الكتاب بالشمال وترى الفرحة والسرور والبهجة على أهل اليمين علموا السعادة التامة السرمدية الأبدية بجوار رب البرية وادعو أهل النيران بالويل والثبور قال الله تعالى (هاؤم أقرأوا كتابي إني ظننت أني ملاق حسابه) وهذا صاحب اليمين يفرح ويسعد ويقول (هاؤم أقرأوا كتابي) فرحاً وأيضاً سعادةً ويظهر كرامته على الجميع فيقول (هاؤم أقرأوا كتابي إني ظننت أني ملاق حسابه فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية) وكما قال الله تعالى (وينقلب إلى أهله مسروراً)

أما أهل الشمال فقد وصفهم الله جل وعلا بأنه قال (يا ليتني لم أوت كتابية ولم أدر ما حسابي ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه) وهذا الذي ينقلب إلى أهله بالويل والثبور وقد ورد أن عائشة رضي الله عنها وأرضاها سألت النبي صلى الله عليه وسلم هل تذكرون أهليكم؟ قال أما في ثلاث مواطن فلا يذكر أحدًا

🌸 عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يتقل

🌸 وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره

🌸 وعند الصراط اذا وضع بين ظهراني جهنم حتى يجاوزه هذا الحديث فيه ضعف لكن يستأنس فيه في هذا المقام لأنه بين الله جل في علاه انه الكل يتبرأ من الكل كما قال الله تعالى (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) ويذهبون بعد ذلك بعد تطاير الصحف إلى حوض النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما عرف أهل اليمين وأهل الشمال فالعطش يصيبهم ويشتد عليهم يعني يتمنون الشرب من يد النبي صلى الله عليه وسلم مسألة الترتيب فيها خلاف بين العلماء اختلف العلماء في هذا الباب الصراط أولاً الحوض لكن كما قلنا هذه الغيبيات على الإنسان ان يؤمن بها وان يعلم بأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن كل ما يحدث يوم القيامة وهو حادث لا محالة لأن هذه وحي من الرحمن سبحانه جل في علاه. ولنبي حوض يزود عن حوضه تلتف أمته حول هذا الحوض يشربون منه والحوض يصب فيه نهر الكوثر هذا الحوض كما وصف النبي صلى الله عليه وسلم (كأنه مربع زواياه متساوية فطوله شهر وعرضه شهر وعندما يكون زواياه متساوية أضلاعه متساوية هذا كالمربع وهذه معناها للتساوي حتى يكون الأمر ان يستوي فيه الناس جميعا الذين يشربو فيكون العدل في التقسيم في الشرب وصف النبي صلى الله عليه وسلم كيزان الحوض وأكواب الحوض فهي كالنجوم عدداً يبقى كثرة بكثرة المؤمنين لأن النبي صلى الله عليه وسلم هو أكثر أتباعاً ولذلك أيضاً قال في حوضه مما يفرق بينه وبين حوض الآخرين من الأنبياء والمرسلين عليه صلاة ربي وسلامه أن هذا الحوض أكثر وأردأ فهو كيزانه كعدد النجوم لا تحصى وأيضاً اذا قال عدد النجوم فشبه النجوم أيضاً بهاءً وعظمةً ولمعاناً فيكون بذلك الكفاية عدداً وأيضاً فيها اشباع الروح بالنظر إلى اللمعان والضوء وأيضاً جمال الكؤوس واشباع الحس بالطعم شرب الماء فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الماء هو أحلى من العسل كطعم أحلى من العسل وقال وأبيض من اللبن فإذا هو جمع بين حلو المذاق وأيضاً يريق العين حلو المنظر فحلو المذاق وجمال المنظر يؤثران معنوياً وحسياً كما قلنا

وماء هذا الحوض العظيم اختص به نبيينا صلى الله عليه وسلم يصب من نهر الكوثر الذي منحه الله لنبيينا صلى الله عليه وسلم عندما نام نومة ثم قام متلهلاً فرحاً قال أنزلت علي سورة قال لأنس قال (إنا أعطيناك الكوثر) بسم الله الرحمن الرحيم وسمى الله بسم الله الرحمن الرحيم (إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر) إنا أعطيناك الكوثر هذا الكوثر نهر أعطاه إياه في الجنة فهو يصب في حوضه صلى الله عليه وسلم ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم

(أنا فرطكم على الحوض) ومكان حوض النبي صلى الله عليه وسلم هو مكان منبره (قال ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي) وهذا معناه ان هو كما قلنا النظر فيه إلى يوم القيامة يكون في هذا الموضع والله تعالى أعلى وأ

علم وتحدث أيضاً أهوال عند شرب من حوض النبي صلى الله عليه وسلم فيها رعب لأهل البدع والضلالات لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال (وليختلجن أقوام من بين يدي فأقول إي رب أمتي أمتي في رواية أصحابي فيقال يا محمد إنك لا تدري ماذا أحدثوا بعدك) لا تدري ما أحدثوا بعدك من كفرٍ أو نفاقٍ وأنا في المناققين الحق أنها أيضاً أنها في كل مبتدع ضال في هذه الأمة لأنه قد أحدث حدثاً عظيماً والمبتدع ينازع الربوبية لأن الله جل وعلا قال (ألا له الخلق والأمر) وقال (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) فكل من بدل كل من ابتدع في دين الله جل في علاه يؤخذ من على حوض النبي صلى الله عليه وسلم ولا يشرب مع حاجته العظيمة للشرب فيقول النبي صلى الله عليه وسلم لما يسمع ذلك يقول سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي) وهذه مسألة عظيمة في هذا الباب فإن النبي صلى الله عليه وسلم يزيد الأمر سوءاً عليهم بدعائه عليهم ولأنهم يستحقون ذلك لأنهم تقدموا بين يدي الله ورسوله لأن في ابتداعهم إتهام للنبي صلى الله عليه وسلم هذا في ابتداعهم وفيه أيضاً منازعة ربوبية الله جل في علاه

يبقى لنا الكلام على الشفاعة سريعاً سريعاً بعد المرور وبعد دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النيران هناك نار غير النار دركة من درجات النار هي النار الدركة الأولى نار الموحدين هذه هي الدركة التي فيها نار الموحدين فإنها تقنى لأن الله تعالى يخرج كل من فيها الذين قالوا بلا إله إلا الله أهوال يوم القيامة تتعجب الجميع وبعد الميزان وبعد دخول أهل الجنة الجنة ومتعتهم في النظر إلى وجه الله الكريم ودخول النار يدخل النار أقوامٌ ممن قالوا لا إله إلا الله ممن كانوا من الموحدين ممن كانوا يصلون يحجون يصومون يتصدقون فيكونون غلبت سيئاتهم على حسناتهم فكان ميزان العدل هم في مشيئة الرحمن جل في علاه لكن إذا شاء الله تعالى دخلوا الجنة يطهرون فدخلوا النار وبعد ذلك يطهرون ويلقون في نهر الحياة ثم يدخلون بعد ذلك الجنة

مسألة الشفاعة لا بد ان نفهم فيها من أمرين مهمين

 الأمر الأول هو ان الشفاعة جميعاً لله جل في علاه فلا يشفع أحد ولا يقبل شفاعة ولا يؤذن له إلا بالله جل في علاه. كما قال الله تعالى (قل لله الشفاعة جميعاً) فالشفاعة كلها لله جل في علاه. ولا يمكن لأحدٍ أن يشفع إلا إذا أذن الله جل في علاه والشفاعة التي ذكرها الله في الكتاب بعد ما بين أن الشفاعة أصلاً له (شفاعة منفيته وشفاعة مثبتة)

 الشفاعة المنفية الشفاعة لأهل الشرك أن أحداً يتقدم فيشفع له ولا حتى إبراهيم عليه السلام فأهل الشرك لا شفاعة لهم بحال من الأحوال كما قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) وقوله تعالى (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدلٌ ولا هم ينصرون) وهنا المقصود بذلك شفاعة الكافرين كما قال الله تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) وهم أنفسهم قالوا

(فما لنا من شافعين ولا صديقٍ حميم) هذه هي الشفاعة المنفية إبراهيم عليه السلام لما جاء يشفع لأبيه لم يقبل الله جل في علاه منه الشفاعة وهو كان على موعدة لقول إبراهيم (لأستغفرن لك)

كان عن موعدة وعدها إياه وعدها لأبيه (فلما تبين له أنه عدوٌ لله تبرأ منه)

وهذا كل من فيه شفاعة واحدة خاصة وهي شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لعمة أبو طالب لأن العباس لما قال له العباس ما فعلت لعمةك وهو يحوطك وينصرك ويعضدك قال لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار هو يقف على جمر من النار في رواية يلبس نعلين من النار يغلي بهما دماغه يحسب انه اشد الناس عذاباً) هذه شفاعة فقط للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة وكراماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقط

النبي صلى الله عليه وسلم يذهب تحت العرش يسجد ويقال يا محمد ارفع رأسك. وقل يسمع وسل تعطى واشفع تشفع وهذا المقام المحمود لنبينا صلى الله عليه وسلم على رؤوس الخلائق قدمه على جميع الخلائق والشفاعة لأهل الجنة الشفاعة والتوسط نعم فيبقى أمامنا من الشفاعات التي

 الشفاعة المثبتة هي الشفاعة التي لنبينا صلى الله عليه وسلم بل وللملائكة بل وللمؤمنين ايضاً وهذا كله بعد دخول اهل الجنة الجنة. لان الشفاعة الأولى التي ما خالف فيها أحد من اهل البدع هي شفاعة الموقف الشفاعة في عرصات يوم القيامة ان يجعل الله جل في علاه بفصل القضاء بين العباد لأنه يشتد الكرب ويدلهم الخطب وتدنون الشمس من الرؤوس

قدر ميل فيغرق الناس في عرقهم ويذهبون يستشفعون بكل نبي يقولون لأدم يا آدم أنت تقولون أنت أبو الأنبياء ألا ترى ما نحن فيه ألا تشفع لنا؟ ألا تدعو لنا فيقول نفسي نفسي إني أكلت من الشجرة فيذكر ذنباً ويقول اذهبوا إلى نوح نوح يقول نفسي نفسي قد سألت ما ليس لي به علم اذهبوا إلى إبراهيم إبراهيم يقول نفسي نفسي كذبت في جنب الله ثلاث كذبات اذهبوا إلى موسى

ي فيذهبوا إلى موسى فيقول نفسي نفسي قتلت نفساً بغير وجه حق اذهبوا إلى عيسى فعيسى في بعض الروايات لا يذكر ذنباً وفي بعض الروايات يذكر ذنباً ثم يقول اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم عبيد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فهو عندما يذهبون إليه يقول أنا لها أنا لها فيستأذن على ربه فيأذن له فيخر تحت العرش ساجداً فيحمد الله بمحامد علمه الله إياها ثم يقال يا محمد إرفع رأسك وقل يسمع وسل تعطى واشفع تشفع واشفع تشفع النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الموقف فيفصل الله في القضاء بينهم

ثم تأتي بعد ذلك الشفاعة الخاصة أيضاً لنبينا صلى الله عليه وسلم كما ان شفاعة الموقف خاصة به والشفاعة لعمه خاصة به هناك شفاعة أخرى خاصة بعدما يعرف أهل الجنة من أهل النيران يذهب النبي صلى الله عليه وسلم يستأذن حتى يفتح له فيستأذن على باب الجنة والجميع يقفون ينتظرون فيقول الملك من؟ فيقول محمد يقول بك أمرت ان أفتح لا بغيرك بك أمرت ان أفتح فيشفع لهم فيدخلون الجنة يعني يدخل أهل الجنة الجنة بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وهذه خاصة

ثم شفاعة عامة مشتركة وهي شفاعة في أهل الكبائر النبي صلى الله عليه وسلم يقول خبات دعوتي شفاعة لأمتي قال وهي لأهل الكبائر من أمتي وفي رواية شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي قال النبي صلى الله عليه وسلم (ما من نبي إلا وكانت له دعوة مستجابة وأردت أن اختبئ دعوتي شفاعة لأمتي) وهذه الشفاعة يشترك فيها جميع المؤمنين كما بين النبي صلى الله عليه وسلم أنه في عرصات يوم القيامة أشد مناشدة لأصحابهم الذين كانوا يعاونونهم على الطاعة والطاعة فيقولون ربنا هؤلاء إخواننا كانوا يصلون معنا كانوا يزكون معنا كانوا يحجون معنا فيقول الله جل وعلا اذهبوا فخرجوا من تعلمون حتى إذا انتهوا جاءت الملائكة فشفت فقال قتاتي الملائكة تخرج كل من كان يصلي من النيران لأنهم يعرفون بأن النار لا تأكل أثر السجود لا تأكل أثر السجود فبعد ذلك هو يشفع الأنبياء طبعاً في إخراجهم حتى يأتي الأنبياء ويقولون ليس فيها إلا من حبسه القرآن حبسه القرآن النبي قال فيهم الله جل في علاه (ولئك أصحاب النار خالدين فيها أبداً) فيقول الله جل في علاه شفعت الأنبياء شفعت الملائكة شفعت المؤمنون بقيت شفاعة أرحم الراحمين ويبدأ ويخرج من كان فيقبض من النار قبضة فيخرج كل من كان فيها من قال لا إله إلا الله وإن لم يعمل خيراً قط وهذه موجهة كما قلت أنها ليست على بابها ولا بد ان يكون مصلحاً حتى يخرج من النيران

وهناك شفاعة أيضاً وهي لنبينا وأيضاً لعامة الأنبياء هو رفع درجة إلى درجة يشفع النبي صلى الله عليه وسلم في مكانة ولكنه تخلف عن الأقران تخلف عن الأحباب تخلف عن الآباء بدرجة فيشفع له فيرتقي بها درجة ويشفع في أقوام أيضاً استحقوا النار ألا يدخلوا النار ويشفع في الكبائر الذين دخلوا النار ليخرجوا منها هذا بايجاز فيما أغفله المصنف من الغيبات

قال (والجنة والنار وأهل الجنة يومئذ في الجنة يتنعمون بصنوف اللذات يتلذذون بأفضل الكرامة يحبرون يعني يسرون يدخل عليهم السرور الأبدي فهم حينئذ إلى ربهم ينظرون لا يمارون في النظر إليه قال وعيونهم بفضل إليه ناظرة (لا يمسمهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين) وأهل الجحود عن ربهم يومئذ لمحجوبون تكلم على مسألة الرؤية وهذه نرجئ الكلام عليها نتكلم عن الجنة النار الآن ثم تكلم على الرؤية وبعد ذلك انتقل إلى طاعة ولالة الأمور

قال (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون) لا قال (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور)

الجنة والنار مخلوقتان رداً على المعتزلة الذين ينفيان ذلك بل هما موجودتان الآن وإلا ففي البرزخ يفتح لهم الباب من أبواب الجنة فيأتيهم من ريحها ومن طيبها ومن مسكها الجنة لغة هي البستان الكثير الأشجار المليء بالثمار الياضعة والجمال مع الأنهار والبحار هذه هي الجنة بستان عظيم

والاصطلاح الجنة المذكورة في القرآن هي الدار التي أعدها الله جل في علاه للمتقين حيث قال الله تعالى (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) وهما مخلوقتان الآن موجودتان الآن موجودتان قال الله جل وعلا (أعدت للمتقين) عن الجنة وقال عن النار (أعدت للكافرين) نيعني هيئت ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم رأى انه دخل الجنة فوجد امرأة وضاعة تتوضأ في قصر منيف في الجنة ولما قال لبلال يا بلال ماذا تفعل فقد سبقتني في الجنة يعني قال لقد سمعت دف نعليك وأنت بالجنة ما أرجى عمل تفعله قال ما توضأت وضوء إلا صليت به كل هذه في الجنة وأيضاً النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الكسوف قال إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً ولو أخذته لأكلتم منه

ما بقيت الدنيا ورأيت النار فلم أرى كاليوم منظراً قط أفضع فهو رأى الجنة ورأى النار واصلي بهم وهما باقيتان لا تفنيان فهما باقيتان وطبعاً فناء الجنة والنار الإجماع الجنة لا تفنى هذا إجماع وهذا الإجماع الذي

أجمع عليه الأمة حدث خلاف وفيه خلاف ان يكون فيها خلاف. حدث الخلاف وفيه خلاف ان يكون فيها خلاف هو ان ابن تيمية قال (النار تفنى كما أن الجنة لا تفنى لكنهما كما قلنا باقيتان ولا تفنيان باقيتان ولا تفنيان لعموم قول الله تعالى (جزأؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً) فقال خالدين فيها أبداً عن المتقين وأيضاً نظير ذلك على الكافرين(ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً. خالدين فيها أبداً)

وقال(إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون) وأيضاً قد قال الله تعالى(إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله لغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً) (ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً) فهما باقيتان لا تفنيان على الراجح الصحيح دار الخلد نعم ومستقر أما مكان الجنة والنار فالله أعلم في ذلك إلا الإجمال التفصيل لا يستطيع احد أن يصل إليه لكن الإجمال في قول الله جل وعلا (كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين) وأيضاً في الحديث العظيم حديث البراء (قال فيقول الله جل في علاه صدق عبدي اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض)

وأما النار فقد قال عنها (كلا إن كتاب الفجار لفي سجين) أسفل سافلين في حديث البراء الله تعالى يقول (أن كذب عبدي اكتبوا كتاب عبدي في سجين) في الأرض السفلى

هذه هي الجنة والنار والجنة والنار لها أهلون خلق الله للجنة أهلاً وخلق للنار أهلاً سبحانه جل في علاه والنار لا تكتفي النار لا تكتفي في الأصل فيها يضع الجبار رجله فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط قط

أما الجنة فيخلق الله لها خلقاً يتمتعون فيها يخلق الله لها خلقاً لملئها سبحانه الله الجنة تسع ويبقى فيها مواطن فيخلق الله لها خلقاً يعني لتسع الجنة جميع الخلق الذين خلقهم الله جل في علاه لكن ينشئ لهم خلقاً نعم ينشئ لهم خلقه قال الله تعالى عن أهل الجنة (أعدت للمتقين)

(أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله) لا يدخل الجنة إلا موحد لا يمكن لأحد أن يدخل الجنة ألا أن يكون موحداً لعموم قول النبي صلى الله عليه وسلم (لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة) وأصل الإيمان وأسه وأساسه وركنه الركين هو التوحيد لرب العالمين هو التوحيد لرب العالمين أما أهل النيران فالذين يخلدون في نار جهنم لا يخلد فيها إلا الكافر الذي أشرك مع الله غيرهم. وأنه قد جعل لله أنداداً يحبونه كحب الله فهذا الذي يشقى في نار جهنم خلوداً لا يخرج منها أبداً قال الله تعالى(أعدت للكافرين)

قال الله تعالى(فأما الذين شقوا ففي النار) ويؤتى بالموت بسورة كبشٍ ملح ويذبح بين الجنة والنار لأنه يؤتى بالموت فيقال يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون يا أهل النار فشرئبون وينظرون فيقال يا أهل الجنة تعرفون هذا؟ فيقولون نعم الموت وبيا أهل النيران تعرفون هذا فيقولون نعم الموت وهو يعني الله جل وعلا جعله على صورة كبشٍ ملح فيذبح ويقال يا أهل الجنة خلود بلا موت فتمت سعادتهم ويقال لأهل النار يا أهل النيران خلود بلا موت فتم شقاؤهم ولذلك بصطرخون فيها ويتمنون الرجوع والخروج ولا يخرجون(كلما أرادوا ان يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) هذا أصل الكلام على الجنة والنار

ثم قال(والجنة يومئذ وهم في الجنة يتنعمون ثم يتنعمون بما وصفه الله جل في علاه قد قال الله تعالى (اعدادت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) أنهارٌ من ماءٍ غير آسن أنهارٌ من لبن لم يتغير طعمه أنهارٌ من عسل مصفى أنهارٌ من خمر لذة للشاربين وتسير مع سير الذي دخل الجنة تمتعاً ونعيماً ويتمتعون بالهور العين يعانقها سنين بجامع ولا مني من شدة يعني المتعة تستديم بالجماع والهور العين يرى مخ ساقها من ظهرها من شدة الشفافية التي هي فيه ويتلذذون بأنواع واللوان المتعة واللذة من طعام وشرابٍ وسيرٍ وغير ذلك مما يجدونه في الجنة قال عنهم الله جل وعلا (لا يبغيون عنها حولا)

🌺 وأما النيران فأهلها معذبون من الحميم والماء الذي يغلي والسلاسل يسحبون فلهم الذلة والمهانة والحقارة والعذاب الأليم (ونادوا يا مالك ليقتض علينا ربك) لتعلم ما هم فيه وهم يدعون ليل نهار (ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون)

ثم قال فهم حينذ إلى ربهم ينظرون فتكلم بعد ذلك على رؤية الجبار سبحانه جل في علاه وهذا ان شاء الله يأتي في الدرس القادم نسأل الله جل وعلا ان يغفر لنا ونسأل الله أن يدخلنا من الجنة ونسأل الله السترة والسلامة

شرح السنة للإمام المزني

المجلس الرابع عشر

عنوان الدرس :

تابع الجنة والنار ~ وطاعة الأئمة والأمراء وعدم الخروج عليهم

الدرس لكتاب شرح المزني نسأل الله جل في علاه أن ييسر لنا إتمامه قال ما زال يتكلم عن السمعيات قال (فهم حينئذ إلى ربهم ينظرون لا يَمُرون في النظر إليه ولا يشكون فوجوههم بكرامته ناضرة وأعينهم بفضلته إليه ناظرة في نعيم دائم مقيم وهذا النعيم الدائم المقيم في الجنات بجوار رب العالمين وأنعم ما فيه النظر إلى وجه الله الكريم ثم قال

(لا بمسهم فيها نصبٌ وما هم منها بمخرجين) وقال الله تعالى(أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار)

قال وأهل الجحود يعني(إنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون) وفي النار يـزجرون

(لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالئون)

(لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنه من عذابها كذلك نجزي كل كفور) فتكلم عن مسألة شريفة عظيمة وهي مسألة الرؤية رؤية الله جل في علاه ورؤية الله عند أهل السنة والجماعة متفق عليها مجمع عليها وهي أشرف مسائل العقيدة هي أشرف مسائل العقيدة على الإطلاق وأهل البدعة والضلالة اختلفوا اختلافاً عظيماً فمنهم من قال بإنكار الرؤية كالمعتزلة والجهمية ينكرون رؤية الله جل في علاه يقولون كما ينكرون صفات الله جل في علاه ويتعلقون بشبهه واهية كما سنبينها الآن وأما أهل السنة والجماعة يثبتونها ولا يعلمون الكيف وأما الأشاعرة فهم يقولون يعني أعجب ما يكون في مسألة الرؤية لا هم نفوا الرؤية ولا هم أثبتوها على الإثبات والصحيح يقولون لغير مكان أو إلى غير جهة. يعني كيف يرى لغير جهة؟ هذا كلام عجيب نعم يقولون لغير جهة أما الذين نفوا الرؤية فتعلقوا بشبهه بأن الله جل وعلا قال عندما قال موسى (رب أرني أنظر إليك قال لن تراني) قالوا ولن للتأبيد ولن لا تأتي للتأبيد ابن مالك نفسه بين أن لن لا تأتي للتأبيد والقرآن يثبت ذلك عندما قال الله جل في علاه عن اليهود (ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم) عن الموت وهم يصطرخون في النار قال الله واصفاً ما طلبوه (ونادوا يا مالك لقمض علينا ربك قال إنكم ماكثون) بل المشكلة في هذا الباب هو أن الدليل عليهم وهذا كما قال ابن تيمية وغيره (ما رأيت مبتدعاً قط يستدل بدليل إلا ورددت هذا الدليل عليه فكان دليلاً عليه) فهذا الدليل دلالة على الرؤية لأن موسى عليه السلام لا يطلب من الله جل في علاه ما يكون مستحيلاً أو فيه تعدي موسى من أولى العزم من الرسل فلا يطلب شيئاً فيه تعدي. وأيضاً الله جل في علاه لم ينفي بل علق على الممكن يعني الله جل في علاه علق الرؤيا على ما كان ممكناً حيث قال الله جل في علاه (لن تراني ولكن أنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني) يعني علق الأمر على ممكن أن الجبل يتحمل فيراه والتعليق على الممكن دلالة على الإمكان لأنه قال (ولكن أنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه) حصل التجلي أيضاً (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقاً) ولأن القوى البشرية لا تستطيع يعني موسى عليه السلام بقوته البشرية لا يستطيع أن يتحمل رؤية الله جل في علاه بصره لا يستطيع أما يوم القيامة فيتغير الأمر (فبصرك اليوم حديد) يغير الله جل في علاه القوة البشرية في هذا الباب وأيضاً أنت ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ضرس الكافر يوم القيامة كجبل أحد) فتكون الشبهة التي تعلقوا بها شبهة واهية جداً في هذا الباب يعني ليست بمكان نقول أنها يعني أوردت الشبهة عليهم قوة فما استطاعوا دفعها لكن هو الهوى هو الذي يتحكم في أمثال هؤلاء أما رؤية الله جل في علاه فالأصل فيها الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة وأيضاً فيها من النظر ما يثبت رؤية الله جل في علاه ومنها الآيات الكريمة آيات كثيرة جداً في كتاب الله جل في علاه على رؤية الله قال الله تعالى (وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة) وهذا الذي استدلل به المصنف رحمه الله تعالى قال النضر من الاستنارة في الوجه ما هي إلا للنظر إلى وجه الله الكريم. يعني ازدادوا بهاءً وجمالاً واستنارة بسبب النظر إلى وجه الله الكريم

(وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة) قال أيضاً لابد أن نلفت الإنتباه إلى التعدي أن هذه بالذات النظر يتعدى بنفسه ويتعدى بفي ويتعدى بالي

هو يتعدى بنفسه فيكون بمعنى الإنتظار كما قال الله تعالى في المنافقين إنهم قالوا للمؤمنين قالوا (انظرونا نفتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا)

🌿 والثانية يتعدى بفي ويتعدى بفي هنا فيها التدبر فيها معنى التدبر كما قال الله تعالى (أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وان عسى أن يكون قد اقترب أجلهم) أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض يتدبروا في عظيم خلق الله جل في علاه هذه الرؤية القلبية في التدبر هنا الرؤية القلبية

🌿 ويتعدى بإلى كما قال أهل اللغة تعدي بإلى معناها النظر بالعين الباصرة (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) والنصرة التي في الوجوه ما كانت إلا للنظر إلى وجهه

الله الكريم الله إنا نسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة ومن الأدلة على ذلك هو قول الله جل في علاه (لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد) وأيضاً في قول الله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) لأن النبي صلى الله عليه وسلم فسر الآيات وخير تفسير القرآن بالقرآن ثم القرآن بالسنة. قال (الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم) كما في حديث النبي صلى الله عليه وسلم (عندما أهل الجنة الجنة فينادي الله جل في علاه هل تريدون شيئاً إلى آخر حديث أنه قال إن لكم عندنا موعداً أنجزكموه فيكشف الحجاب فينظرون إلى وجه الله جل في علاه فهنا الزيادة في هذه الآيات الثلاثة الزيادة هنا معناها النظر إلى وجه الله الكريم

وأيضاً من الآيات التي يستدلون بها على الرؤية هي قول الله جل في علاه (على الأرائك ينظرون تعرف في وجوههم نصرة النعيم) هنا أيضاً نصرة في الوجوه الاستنارة التي تظهر على الوجوه هذه أيضاً من النظر إلى وجه الله الكريم. لأنهم قالوا هنا (على الأرائك ينظرون) هذه قاعدة أصولية معلومة معروفة

(ان نفي المعمول يؤذن بالعموم) نفي المعمول يؤذن بالعموم. والمعنى هنا ينظرون إلى الحور العين نعم ينظرون إلى الأنهار نعم إلى الأشجار إلى الثمار. نعم كل هذا من النظر الصحيح قال الله تعالى (على الأرائك ينظرون) واستدل أيضاً المصنف هنا بما استدلل به الشافعي في قول الله جل في علاه عن الكفار الفجار (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجبون)

قال حجب هؤلاء عن رؤيته في الغضب فلأن يروونه في الرضا من باب أولى) قال إذا حجبهم في الغضب يبقى إذا في الرضا لا يحجبهم عن رؤيته فكانت عقوبة ألا يروونه وكانت الكرامة أن يروونه عند الرضا فأهل الإيمان يروونه عند الرضا وأما الكفران لا يروونه عند الغضب هذا بالنسبة للكتاب

وأما بالسنة فكثير جداً من الأحاديث التي تثبت رؤية الله جل في علاه منها قول النبي صلى الله عليه وسلم (هل تضارون برؤية الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا لا قال هل تضارون في رؤية القمر ليس دونه سحاب ؟ قالوا لا قال هكذا ترون ربكم.) يعني هكذا ترون الله جل في علاه. وأحاديث على مثل هذا على الرؤية الأخرى هل تضامون ان (. من الظلم يعني وانتم ترونه ما أحد يرى بالتزام عند رؤية القمر في السماء والجميع في الأرض يرونه فشبه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي ومن الأدلة أيضاً على رؤية الله جل في علاه هو طلب النبي صلى الله عليه وسلم الرؤية لكن ما وجه الدلالة هنا في هذا ما وجد الدلالة هنا في الحديث الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم (واسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة) ما هو وجه الدلالة هنا

🌿 هنا وجهان للدلالة الوجه الأول وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم طلب الرؤية ولو كانت مستحيلة لما طلبها ففيها دلالة على أنها جائزة ولأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يتعدى في الدعاء. لأن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي قال) ما لم يتعدى احدكم في الدعاء) فالنبي صلى الله عليه وسلم لا يتعدى في الدعاء حاشاه.

🌿 طيب الأمر الثاني هو إقرار الله له إقرار الله لدعائه لأن الله جل في علاه لا يقر على منكر. لو كان منكراً لانكره الله جل في علاه. كما قلنا في موسى عليه السلام عندما قال(رب أرني أنظر إليك) الله جل وعلا قبل الله أقره ما أنكر عليه والنبي صلى الله عليه وسلم أيضاً الله أقره ما أنكر عليه فكان إقراراً نعم وفي الأحاديث أيضاً التي تثبت الرؤية حديث لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه وأرضاه في الصحيحين قال(جنتان من ذهب أنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة أنيتهما وما فيهما وما بين القوم وان يروا ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه سبحانه جل في علاه وقد اختلف الصحابة رضوان الله عليهم هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه أم لا عندما عرج به ابن عباس يرى أنه رأى ربه وهذه اختلاف العلماء في النظر في هذا الباب هل رأى ربه أم لا ؟ دلالة واضحة جداً على انه مستقر عندهم رؤية الله جل في علاه ومن ناحية النظر طبعاً من ناحية النظر هو قول الله جل في علاه لموسى عندما قال موسى (رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن أنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني) ان موسى دعا بذلك ولا يتعدى والله أقره

🌿 والثالثة المهمة جداً ان الله علق رؤيته على ممكن لا على مستحيل ما دام قد علق رؤيته على الممكن إذا هذه دلالة على إمكانية رؤية الله جل في علاه

نعم عائشة تنكر ان يكون رأى الله والصحيح أنه لم يرى ربه لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لن تروا ربكم حتى تموتوا وهذا على التعميم والحق ان الناس يتفاوتون في رؤية الله جل في علاه قلنا بإثبات الرؤية فإن الناس يعني كما قلت يتفاوتون في رؤية الله جل في علاه كل بحسب إيمانه فمنهم من لا يراه إلا في يوم المزيد وهو يوم الجمعة بعد ما يرون الله في الجنة لأن دخول الجنة إذا دخلوا هذه الرؤية الأولى (إذا دخلوا جميعاً الجنة نادى الله جل وعلا يا عبادي تريدون شيئاً يا أهل الجنة تريدون

شيئاً ازيدكم فيقولون ربنا الم تنجيننا من النار انا تدخلنا الجنة الم تبيض وجوهنا الم تكفر عنا سيئاتنا فيقول الله جل وعلا ان لكم عندنا موعداً أنجزكموه فيكشف الحجاب فينظرون إلى وجه الرحمن فمنهم من يرى جل وعلا في يوم المزيد ويوم المزيد هو يوم الزيارة يوم الجمعة كما قال ابو هريرة أراك لابن المسيب في يوم المزيد سوق الجنة

ومنهم من لا يرى ربه إلا في الأعياد كالنساء ومنهم من يرى ربه غدواً وعشيا وهذا كله كما قلنا حسب درجات الإيمان هذا كله حسب درجات الإيمان اللهم ارزقنا هذه مسألة في الاعتقاد من أشرف مسائل الاعتقاد بل هي أشرف مسألة على الإطلاق

👉 ثم قال (طاعة الأئمة والأمرأ ومنع الخروج عليهم) قال (والطاعة لأولي الأمر فيما كان عند الله عز وجل مرضياً واجتتاب ما كان عند الله مسخطاً وترك الخروج عند تعديهم وجورهم والتوبة إلى الله عز وجل كيما يعطف بهم على رعيته) لأن قلوب الولاة بيد الله جل في علاه قلوب الولاة بين يدي الله جل في علاه كلما كان العبد أعبد لله جل في علاه كلما لين الله قلوبهم له والمسألة دائرة على الطاعة نعم هذه السبعة المتواترة (مما تواتر حديث من كذب ومن بنى لله بيتاً واحتسب ورؤية شفاعة والحوض ومسح خفين وهذه بعض) الله اكبر عامة رؤية الله جل في علاه هي أشرف المسائل على الإطلاق

وهنا المصنف انتقل لمسألة ثانية هي مسألة الطاعة لولاة الأمور

الأول لا بد ان نقول انه الدنيا بأسرها لا تستقيم إلا بوجود ولي أمر وما يصح ان يقال انه ليس هناك ولي أمر لابد للأمة أن يكون لها ولي أمر وإلا فالنبي صلى الله عليه وسلم قال (فإن لم يجد أميراً ولم أجد جماعة قال ولو ان تعض على أصل شجرة جذع شجرة حتى يأتيك الموت على ذلك) يعني هذه بخاصة نفسك الغرض المقصود انه لا تستقيم الدنيا إلا بولاة الأمور كما قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) مات النبي صلى الله عليه وسلم فانشغلوا عن دفنه بتنصيب الولاية لتنصيب الولاة هذه مسألة الأمر جلال الأمة هذه لا يستقيم أمرها إلا بوجود من يلتفون حوله ويكون ولياً للأمر حتى يعني تستقيم الحياة. فإن أعظم وظائف ولي الأمر إعلاء كلمة الله جل في علاه. تمكين الدين وصلاح الدنيا. تمكين الدين وصلاح الدنيا. والخلافة منصبٌ كبير ومسؤولية عظيمة لأن الله سيسال الخليفة عن حتى الجنين في بطن الأم عن البغلة كما قال عمر بن الخطاب لو تعثرت بغلة بالعراق لسئل عنها عمر بن الخطاب يتولى تدبير أمور المسلمين بحيث يكون هو المسؤول الأول في ذلك وهذه فرض كفاية لا فرض عين ولكن ليست لكل احد ان يتقدم إليها ابو ذر قال له النبي صلى الله عليه وسلم إنك رجلٌ ضعيف لا تؤمرن بين اثنين ولأن أمور الناس لا تقوم إلا بها

ابن تيميه يقول يعني (وجود ولي أمر في يوم واحد خير له من أن يمطر أربعين سنة) لأنه سيكون فيها تطبيق لشرع الله جل في علاه وتحقيق الحدود وإعلاء كلمة الله جل في علاه واستقامة صلاح الدنيا ولذلك عثمان ابن عفان يبين ذلك يقول (إن الله لينزع بالسلطان ما لا ينزع بالقرآن) الناس كالوحوش ان لم يكن لهم أمير يضبطهم والفوضى تكون إزاء ذلك او سفك الدماء أيضاً سفك الدماء والتعدي على الأموال والأعراض كلها بسبب عدم وجود ولاة الأمور

👉 وأما الولاية قبل ان نبين حق الولاة الولاية تكون بأحد أمور ثلاثة

👉 الأول التنصيب على الخليفة

وقد قال بعض العلماء بان التنصيب على الخليفة جاء في حق أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال انتوني بكتاب أكتب لكم لا يقول أحد أنا أحق من أبي بكر فهذا تصريح على خلافة أبي بكر ثم قال تأكيداً لا لا لا يأبى الله ويأبى المؤمنون إلا أبا بكر قال يأبى الله ويأبى المؤمنون إلا أبا بكر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءتته المرأة العجوز تسأله قالت فإن جئت فلم أجدك قال سلي أبا بكر

وقال النبي صلى الله عليه وسلم مروا أبا بكر فليصلي بالناس والحق ان المحققين يرون بأن التنصيب ما كان على أبي بكر أبي بكر كان باجتماع أهل الحل والعقد لأنهم في سقيفة بني ساعدة لو كان النص موجوداً لا نصبوا سعد ابن عبادة ولما جاء عمر ابن الخطاب قال ادرك الناس الفتنة الفتنة أو ستقع الفتنة ستقع الفتنة أو الفتنة اياكم والفتنة فذهب أبو بكر حتى اجتمع عليه الناس وبايعوه وهذا إجماع إجماع أهل الحل والعقد على أبي بكر وهذه كانت الثانية

التنصيب حقاً كان في عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه ان ابا بكر كتب كتاباً على أن الخليفة من بعده هو عمر ابن الخطاب لما جاء عثمان وقد أغمي عليه قال كتبت أنت قال لو كتبت أنت لكنت حرياً بها أكتب عمر فكتب عمر فكان هذا بالتنصيب وعمر لما كان شارف على الموت قال لأن استخلفت تنصيباً يعني فقد استخلف من هو خير مني على ابي بكر رضي الله عنه وأرضاه ولئن تركت الاستخلاف فقد تركها من هو أفضل مني وهو النبي صلى الله عليه وسلم لكن شوقوا هنا ذكاء ابن عمر قال فلما ذكر النبي علمت انه لن يعدل عن ط

ريقة النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك جعل الأمر في الشورى الستة  يبقى الطريقة الثانية إجماع أهل الحل والعقد

وهذا كما في خلافة أبي بكر وفي خلافة عثمان ابن عفان رضي الله عنه وأرضاه عثمان بن عفان لما عقد لما عمر رضي الله عنهم وأرضاه جعل الأمر في الستة الشورى رضي الله عنهم وأرضاهم أن النبي صلى الله عليه وسلم مات وهو راضٍ عنهم جعل الأمر في الستة الشورى فيهم ذهب عبد الرحمن بن عوف يقول (النساء في خدورهن لا يعدلن بعثمان)

الرجال والنساء الأنصار وكان في الأنصار والمهاجرين قال (ما من أحدٍ إلا وقدّم عثمان فكان إجماعاً) إجماع أهل الحل والعقد على تقديم عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه هذه طرق اختيار ولي الأمر

 تبقى الطريقة الثالثة ألا وهي

(الغلبة والقهر) وهذه كما في خلافة عبد الملك ابن مروان قتل الحجاج عليه من الله ما يستحق قتل الزبير ابن العوام واستقرت الخلافة لعبد الملك ابن مروان مع أن عبد الملك بن مروان كان قد تهيئ للسفر لمبايعة ابن الزبير فالحجاج منعه من ذلك وذهب فقاتل حتى قتل ابن الزبير رضي الله عنه وأرضاه واستقر الأمر لعبد الملك ابن مروان

الأمر الثلاثة إذا نصب فيها ولي الأمر صار ولياً للأمر وصار السمع والطاعة واجبة له صار حقه واجباً على الأمة مهما كان إن كان عدلاً أو عادلاً إن كان فاسقاً ظالماً فاجراً ليس يعدل لكنه على الإسلام وجب السمع والطاعة له وجب حقه على الأمة

قال النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال الله كأنها موعظة مودع فإوصنا قال (عليكم بالسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبدٌ حبشي رأسه كائنه زبينة) هذه معناها أن ولي الأمر لا بد أن تتوفر فيه الشروط كما قال علمائنا أن يكون عالماً نبيلاً وأن يكون عدلاً وأن يكون ذا رأي وشجاعة كثير من الشروط التي اشترطها العلماء لا توجد في العبد فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول لو لم تتوفر في ولي الأمر أي شرط من الشروط التي تستقَى من السنة فإنه لا بد استمع الطاعة لو ما دام قد غلب هو عبد والحرية شرط في الولاية هو جاهل والعلم شرط في الولاية وإن لم يكن شرطاً أصيلاً التقريش التقريش يعني أن يكون قرشياً لأن النبي قال الخلافة في قریش التقريش شرط أن يكون الخليفة أن يكون من قریش ومع ذلك قلنا إن لم يتوفر ما كانت له الغلبة وجب له السمع والطاعة لذلك قال (والطاعة لأولى الأمر في ما كان عند الله عز وجل مرضياً والأدلة على وجوب طاعة ولادة الأمور كثيرة جداً صراحة قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) هنا لفظة عظيمة لم يقل وأطيعوا أولى الأمر منكم قال (وأولى الأمر منكم) فجعل طاعتهم تابعة لطاعة الله وطاعة الرسول

ولذلك ابو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه قام خطيباً في الناس فقال (أيها الناس قال أيها الناس وليت عليكم ولست بخيركم وليت عليكم ولست بخيركم أطيعوني ما اطعت الله فيكم أطيعوني ما اطعت الله فيكم) حديث ابي هريرة وابن عمر وغيرهما قال النبي صلى الله عليه وسلم (السمع والطاعة للمسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) سواء كان الإمام برا أو كان فاجراً أو فاسقاً وجب عليه السمع والطاعة على المرء السمع والطاعة في المنشط والمكره كما قال عبادة بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في المنشط والمكره في عسرنا ويسرنا وأثرة علينا) وقال جريد بن عبد الله البجلي قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة والنصح لكل مسلم فالسمع والطاعة لولاية الأمور واجبة فيما إذا أطاع الله جل في علاه وإن عصى الله فلا سمع ولا طاعة لأن ابن عمر قال عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (على المرء السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) وإذا قال (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)

وأيضاً في صحيح مسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم (إلا من ولي عليه والٍ فرأه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله جل في علاه ولا ينزعن يداً من طاعة قال ولا ينزعن يداً من طاعة) فمن حقه السمع والطاعة عموماً إلا في معصية الله جل في علاه ومن حقه الحج معه الصلاة خلفه كما صلى أنس وابو هريرة وابن عمر خلف الحجاج ابن يوسف الثقفي ومن الواجب الذي له الصلاة خلفه والحج معه والجهاد معه سواء كان براً أو كان فاجراً ولا يجوز أيضاً الخروج عليهم

قال (وترك الخروج عند تعديهم وجورهم) يعني عند الظلم والفسق والفجور وان ظهر ذلك لا يجوز الخروج عليهم حتى مع ظلمهم مع فسقهم مع فجورهم نعم لا يجوز الخروج عليهم بحال من الأحوال لا يجوز الخروج عليهم ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عبادة ابن الصامت يقول بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في منشطنا ومكرها وعسرنا ويسرنا وأثرنا علينا وألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان)

*يبقى هي حالة واحدة مستثناة في الخروج على ولادة الامور

(إذا رأينا منه الكفر المباح) إذا كفر ورأينا منه الكفر المباح فهنا الخروج عليه

* (بشرط وقيد وهو القدرة على ذلك)

فلا يجوز الخروج على ولادة الأمور بحال من الأحوال وهذا من فعل الفجار لا من فعل الأبرار لذلك ابن أبي العز بشرح الطحاوية قال (وأما لزوم طاعتهم وان جاروا فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفسدات أضعاف ما يحصل من جورهم. بل في الصبر على جورهم تكفيراً للسينات ومضاعفة للأجور فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا من فساد أعمالنا اللهم اغفر وارحم

وتجاوز عما تعلم فإنك أنت الأعز الأكرم والجزاء من جنس العمل فعلينا في الاجتهاد في الإستغفار والتوبة وإصلاح العمل فإذا أراد الرعية ان يخلصوا من ظلم الأمير الظالم فليتركوا الظلم هم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين

*الكفر البواح الذي دل عليه الدليل الذي لا احتمال فيه كالتنصيب كأن يسب الذات المقدسة يسب الدين يسب الرسول يستهزئ بالدين أعوذ بالله من غضب الله يعني أمر لا احتمال فيه بحال منطبق انطباقاً تاماً على مادة الكفر فيحرم الخروج عليهم لأن المفسدة أعظم مما تكون لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم (يكون عليكم أمراء تعرفون وتتكلم فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع ولكن من رضي وتابع ولكن من رضي وتابع) نعوذ بالله من الخذلان قالوا أفلا نقاتلهم بالسيف أفلا نقاتلهم؟ قال لا لا ما صلوا لا ما أقاموا فيكم الصلاة) في رواية أخرى في مسلم (لا ما أقاموا فيكم كتاب الله) وكتاب الله هنا المقصود به هو أركان الدين. كتاب الله أعظم فيه هو أركان الدين اللي هو الأركان الخمسة الصلاة والزكاة والصوم وصوم رمضان وحج البيت فلا يجوز الخروج على ولادة الأمور وهذا من فعل الخوارج يخرجون بالقول أولاً ثم يخرجون باليد بعد ذلك خرج هذا الرجل الخارجي على النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال له يا محمد بأبي هو وأمي أعدل فإن هذه القسمة لا يراد بها وجه الله. يقال للنبي هذا؟ قال ويحك ويحك ومن يعدل إن لم أعدل أنا وقال خبت وخسرت إن لم أعدل خبت انت وخسرت إن لم أعدل أنا ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء فخرج بلسانه أولاً لما قال عمر دعني أضرب عنق هذا المنافق قال له النبي صلى الله عليه وسلم دعه دعه لا يتحدث الناس أن محمد يقتل أصحابه) في رواية قال له دعه فيخرج من (.) هؤلاء او هذا الرجل أناس يقرأون القرآن لا يبلغ تراقيهم لا يجاوز تراقيهم لو أدركتهم لقتلهم قتل عاد وإرام) هذه المسألة الأخيرة التي نتكلم عنها في هذا الباب وان شاء الله تباعاً حتى ننتهي من الكتاب كلية بإذن الله تعالى

● الإمساك عن تكفير أهل القبلة

قال المصنف رحمه الله تعالى: الإمساك عن تكفير أهل القبلة والبراءة منهم فيما أحدثوا، ما لم يبتدعوا ضلالاً، من ابتدع منهم ضلالاً كان على أهل القبلة خارجاً ومن الدين مارقاً، ولو تقرب إلى الله عز وجل بالبراءة منه. هنا في مسألتان :

مسألة الكلام على تكفير أهل القبلة ، ومسألة في تعامل أهل البدع ، هنا الانصاف والعين الجميلة من عيون أهل السنة والجماعة وهو ينظر إلى التوحيد وينظر إلى التعدي والمعصية، فأهل القبلة هم أهل التوحيد الذين قد وحدوا الله جل وعلا وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وأكلوا من ذبيحتنا ، فأهل السنة والجماعة لا يكفرون المسلم بفعلة الكبيرة أو بوقوعه في الكبيرة فإنهم لا يخرجونه من الإسلام، ولا يخلدونه في النار، يثبتون له الإيمان ويثبتون أيضاً له المعصية فيقولون مؤمن بتوحيده فاسق بكبيرته وهذا أصله أصل النظر إلى الإيمان.

- أن أهل السنة والجماعة ينظرون إلى الإيمان أنه حقيقة مركبة ، ولكن الخوارج يرونه أي الإيمان شيء واحد والعجيب أن المرجئة أيضاً يرونه شيئاً واحداً . والأدلة كثيرة على أن الإيمان حقيقة مركبة وأن المؤمن يجتمع فيه إيمان وكفر لا يخرج من الملة ومعصية وطاعة وبر وإيضاً غيره. قال النبي: (صلى الله عليه وسلم أربع من كُنّا فيه كان منافقاً خالصاً. ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة منهن حتى يدعها) فانظر هنا قد بين لنا فيه ليجمع معه إيمان ونفاق وإيضاً قال النبيين (أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) وهناك حديثٌ وإن كان فيه ضعف يُجبر المؤمن على كل خلة سوى الخيانة والكذب ، هنا في مسائل قد سماها النبي كُفراً قال عبد الله : سبابُ المسلم فسوقٌ ، وقَتْلُهُ كُفْرٌ. الراوي : شقيق بن سلمة | المحدث : الألباني ، ومع ذلك سمي الفئة المقاتلة مؤمنة قال الله تعالى

(وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا)

[سورة الحجرات 9 قال (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)]

[سورة الحجرات 10] فأثبت الإخوة الإيمانية مع وجود القتال وهو من الكبائر وهو كفرٌ أصغر، ولو كان من الكفر الذي يخرج من الملة لما أثبتته الله له جل في علاه. الإخوة الإيمانية. فأهل السنة والجماعة لا يكفرون بالمعصية ولا يخرجونهم من الملة، وإن كانوا أيضاً يفسقونهم بالكبائر لكنهم لا يكفرونهم ويقولون هم في مشيئة الله جل في علاه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فمن أخذ من هذه القادورات فأقيم عليه الحد فهو كفارة له ، وإلا فهو في مشيئة الله جل في علاه، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، وهذه دلالة واضحة على أن أهل المعاصي في الجنة لقول النبي صلى الله عليه وسلم عندما كان مع أبي ذر فاختفى عنه ثم رجع فقال (أتاني جبريلُ ، فبشّرني أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ ، فَقُلْتُ : وَ إِنْ رَزَقَ وَ إِنْ سَرِقَ ؟ فَقَالَ : وَ إِنْ رَزَقَ وَ إِنْ سَرِقَ)

المحدث : الألباني | الراوي : أبو ذر الغفاري

المهم في هذا الباب أنا من مات من أهل التوحيد ولو كان معه شيء من الكبائر فهو من أهل الجنة كما قال للنبي صلى الله عليه وسلم، فهذه دلالة على أن أهل السنة والجماعة يعتقدون في المؤمن أنه يجتمع فيه طاعة ومعصية، حتى أن الإمام الشافعي قال في التعديل: تمحيص الطاعة غير وارد وتمحيص المعصية غير وارد، الإنسان لا بد أن يخطئ، وهذه راجعة مرتكزة على فهم الإيمان على النظر بالإيمان، فالإيمان كما قال علماؤنا حقيقة مركبة وليس شيئاً واحداً. الخوارج يقولون شيئاً واحداً فإما يثبت كله أو يذهب كله، أما أهل الإيمان فيرون الدين مراتب إسلا وإيمان وإحسان فالإيمان دائرة كبيرة جدا تحوي الإسلام من جهة ذاته ، أما من جهة أهله فدائرته أقل كذلك الإحسان، وخالف في ذلك الخواجه والمعتزلة، الخوارج قالوا فاعل الكبيرة في النار، والمعتزلة قالوا فاعل الكبيرة خارج عن دائرة الإيمان لا هو مؤمن ولا هو كافر منزلة بين المنزلتين ، هذا جبن منهم، لكنهم في نهاية الأمر يقولون إنه مخلد في نار جهنم، لذلك الخواجه يقولون أنه كافر في الدنيا مرتد، وكلها أحكام الردة في هذا الباب، فهذه شبه ليس فيها شيء من روح الأدلة إلا إنهم يأخذون ببعض الأدلة صرحت بالكفريات أنها كفر كقول النبي صلى الله عليه وسلم: (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) فإن التقى المسلمان بسيفيهما فالتقاتل والمقتول في النار، فهذه دلالة أنه خالداً مخلداً فيها. احتجوا بقول الله : (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَأَعْدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالداً مخلداً فيها أبداً ومن تحصى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ومن قتل نفسه بحديدة فحديده في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت)، وعلى هذا المنوال يتمسكون وكل ذلك مردود عليهم فإن قول النبي صلى الله عليه وسلم ثنتان من أمتي هما بهما كفر يعني كفر دون كفر ، لأنه قال والنياحة على الميت والفخر بالأحساب والطعن ، والنياحة على الميت

ورد في الحديث انها ترتدي سربالا من النار أو من قطران تعذب به في عرصات يوم القيامة ثم يُرى سبيلها إلى جنة أُنار. وأيضا في حديث لا ترجعوا بعدي كفارا، والقاتل والمقتول في النار يهدم الإستقلال به قوله تعالى (وإن طائفتا من المؤمنين تقاتلتا فأصبحوا بينهما) وقوله (إنما المؤمنون إخوة) ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن ابني هذا سيد وسيصيح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)، فإذا هذه الأدلة ليست لهم بل هي عليهم، وقال النبي صلى الله عليه وسلم (من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخروه من النار) في حديث الشفاعة، وهذه مسألة من الأهمية في مكان في هذا الباب، أهل القبلة لا يُكفَرُونَ إلا إذا جاءوا بكفرٍ يخرج من الملة لكنه قال ولا بد من البراءة مما فعلوا وهذا صحيح أن تبرأ مما فعلوا من التعدييات و التجاوزات .

النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد، فأنت تبرأ من الفعل تبرأ من القول لكن الفاعل و القائل تلتصق له البركة بأن يكون من أهل السنة والجماعة و أن يتوب ويؤوب ،المهم أنه من أهل القبلة قال ومن ابتدع منهم طوالاً، قال ويتقرب إلى الله عز وجل بالبراءة من المبتدع ويهجر ويحتقر وتجتنب ودته فهي أعدى من غدة الجرب.

هنا يتكلم على مسألة مهمة تناولها أهل السنة والجماعة وهي مسألة هجران أهل البدع، والهجران معناه الترك والاهمال، والمراد به هنا هجران أهل البدع، الابتعاد عنهم أي ترك محبتهم وموالتهم يعني المقصود أن ننأى بأنفسنا عنهم لا مودة ولا تعاوناً ولا محبة وهذا ليس على الإطلاق، لا محبة لأفعالهم ولا تعاوننا فيما هم فيه، مؤسسين للبدع والضلالات، والحق أن هجران أهل البدع واجب إلا ما دل الدليل على المصلحة العامة فيقدم المصلحة العامة قال الله تعالى (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)

[سورة المجادلة 22] ولأن النبي هجر كعب بن مالك وصاحبيه حين تخلفا عن غزوة تبوك. والمبتدع من أشد الناس معاندةً ومن أشد الناس محاربةً لله جل في علاه ،وهم من أشد الناس محاربةً للرسول صلى الله عليه وسلم. أما المعاندة والمحاربة بأنه يُنصَب نفسه رباً مع الله جل في علاه ، قال الله جل وعلا (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ)

[سورة الشورى 21] هم أتوا بما لم يأذن به الله، ففيها التحذير كما قلنا من أهل البدع وأيضاً من مجالسة أهل البدع لكن هذه المسألة يكون فيها حاكمٌ أصيل وهو مقاصد الشريعة على أنه يرجي منه أن يرجع أن يتوب يؤوب إلى ربه جل في علاه مع بيان الشبهة التي وقع فيها، وينحل ذلك وبيان إعطاء البديل حتى يستقر أمره ويعود إلى حقيقة أهل السنة والجماعة، وإلا لو بقي على أهل البدعة والضلالة فهذا كما قلت يهجر ولا كرامة إلا أن يكون في الجلوس معهم نفع معين وهو دعائهم إلى السنة وهجر البدعة وإيضاً تنفيره من البدعة وأهلها قال الله تعالى(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدِلْهُمْ بِالَّتِي أَحْسَنَ)

[سورة النحل 125] وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما كان الرفق في شيء إلا زانه،وما نزع من شيء إلا شانه). فعل النبي صلى الله عليه وسلم بالهجران كان منضبطاً بالمصلحة وكانت المصلحة أنهم تابوا جميعاً إلى ربهم جل في علاه. و كان هذا وحي من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم عن الدجال من سمع به فليئس به فليئس به، لأن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمنٌ فيتبعه مما يبعث فيه من الشبهات، لذلك فإن علمائنا كانوا يؤثرون عدم موافقة ولا مرافقة أهل البدع والضلال، لما جاء رجل إلى ابن عابنة تكلم معه في مسألة قال :اسمع يا هذا قد سلم لي ديني فإن لم يسلم لك دينك فابحث عنه بعيداً عن هنا. وكان أحمد يضع إصبعه في أذنه فلا يسمع لأهل البدع وكان دارهم في مكانٍ ولى إلى مكانٍ آخر وكان مالك يكف عن أهل البدع ولا يقبل مقابلتهم ولا الكلام معهم، لما دخل عليه وقال له: يا إمام الرحمن على العرش استوى كيف استوى فنظر إليه وعلاه الرخصاء العرق فقال: الاستواء معلوم يعني في اللغة والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعاً أخرجه من هنا، وأمر بإخراجه ولأن البدع فتاكة ممكن الإنسان يسمع ويحسب أنه سيستقيم أمره ولكن البدعة تغرس في قلبه فتورث شبهةً فلن يستقيم أمره بحال من الأحوال ولذلك أراد المصنف هنا أن يبين بأن أهل البدعة والضلال إن لم يأت منهم أحد بالدعوة فلا بد من التقرب إلى الله تعالى بهجرانهم قال يهجر ويحتقر وتجتنب ودته .

فما أعدى من غدة الجرب، والمعنى أنه قال بأنهم لا بد أن يتقرب إلى الله بهجرانهم، لما؟ لأنهم عاندوا الله وجحدوا بآيات الله وردوا رسله وكفروا بهم وانحازوا في المكانة فلذلك كانوا من أشد الناس خسراً، رأيت كيف قال النبي صلى الله عليه وسلم(وليختلجن أناس) - غدته يعني بدعته- قال (وليختلجن أناس من بين يدي فأقول أي رب أي أصحابي أصحابي أمتي أمتي،فيقول يا محمد إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك) فماذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (سحقاً لمن بدل بعدي، بعداً بعداً لمن بدل بعدي)،و النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته ولأن البدعة فيها ما فيها من اللعن وتستجلب اللعن على صاحبها وعلى موافقها ومن عمل بها ،قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لعن الله من أحدث فيها حدثاً لعن الله من أوى فيها محدثاً لذلك). هجران أهل البدع كما قلنا هي تقتضي المصلحة الأصل فيها وجوب هجرانه لكن كما قلت أن مقاصد شريعة تتحكم في هذا الباب والأصل أن النبي هجر الثلاثة وهذا الهجران نصره له لو كان يعلم لذلك.

قال المصنف رحمه الله تعالى في هذا الباب وهجرانه أن يحتقره وهنا في عصرنا هذا الباب تطبيقه صعب جداً، يعني حسن الخلق يؤثر فلو احتقرته واشتدت عليه وكانت الحدة منك فإنها تؤثر سلباً، وأنهم يحاربون أهل السنة والجماعة ويزدادون حرباً شعواء على أهل والجماعة .

في هذه الأوقات. مقاصد الشريعة تتحكم مع بغض ما هم فيه مع بيان وكفر ما هم فيه ومع ذلك لا هجران ومع ذلك له هجران.

ثم انتقل المصنف بعد ذلك إلى الصحابة لكن قبل ذلك نبين أصول أهل البدع وعلامات أهل البدع . وأهل البدعة صراحة على خمسة أطراف .

من علامات أهل البدع أنهم يتصفون بغير الإسلام والسنة بما يحدثونه من البدع القولية والفعلية والعقدية وأنهم يتعصبون لأهوائهم وآرائهم فإنهم أكثر الناس تبعاً لهواهم فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جنت به)، وقال: (إن رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه فانتظر الساعة، أو قال فعليك بخلاصة نفسك). وتراهم بحقدٍ دفين وكرهٍ عظيم لأئمة أهل السنة والجماعة، لأن هؤلاء الأئمة هم الذين يقاتلونهم على تفسيح العقيدة وهذه الطوائف أساسها الرفضة أخبث خلق الله وهم الذين لهم الغلو في أهل البيت ثم يكفرون من عاداهم من الصحابة، وهم يعتقدون بأن علياً رضي الله عنه وأرضاه يعتقدونه رباً ويدعونه من دون الله جل في علاه وادعوا أنه إله ولذلك قال لما رأيت الأمر امراً منكراً أجبت ناري ودعوت قمبراً، فالرفضة سموا بالرفض لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حين سألوهم عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما فرفضوه وأبعدوه عنه وهم شيعة أيضاً يزعمون أنهم يتشيعون لآل البيت وينتصرون لهم، والله كذبوا وأتوا ببهتان وزور. من الفرق الضالة أيضاً الجهمية نسبة للجهم ابن صفوان، وهم في الصفات تعطيل كالأفضة أيضاً تعطيل تعطيلها نفاة، وفي القدر يقولون بالجبر، وفي الإيمان يقولون بالإرجاء، وفاعل الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان فهم معطلة جبرية مرجئة. فرق كثيرة جداً جهمية معطلة جبرية مرجئة، والخوارج هؤلاء الذين خرجوا على بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ما زالوا تبراوا من علي وتبراوا من عثمان والخروج على الإمام إذا خالف السنة، وتكفير فاعل الكبيرة، من هؤلاء الخوارج هم الذين خرجوا على قتال علي بن أبي طالب ومنهم القدرية الذين يقولون بنفي القدر ويقولون الأمر أنف ومن هؤلاء القدرية الذين يقولون الأمر أنف كما قلت ويجعلون المكلف خالفاً لفعل نفسه ومنهم المرجئة الذين أرجأوا العمل على الإيمان، لأن الإيمان عندهم مجرد الإقرار في القلب وعلى سبيل ذلك يقولون أن الفاسق مؤمن كامل للإيمان، والمعتزلة وهم أفراخ الخوارج؛ أصله أتباع وأصل بن عطاء لما اعتزل مجلس الحسن البصري، ومن هؤلاء الكرامية فرق التشبيه فعندنا المشبهة وعندنا المعطلة كالجهمية وعندنا كالقدرية والمعتزلة وايضاً المرجئة، و الخوارج والنواصب هذه هي أصل كل فرق البدع ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافتترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي) ثم انتقل بعد ذلك المصنف الى أمر آخر وهو الصحابة رضوان الله عليهم، وهم خير البشرية على الإطلاق ويقال بفضل خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق فهو أفضل الخلق وخيارهم من بعد النبي صلى الله عليه وسلم ونثني بعده بالفاروق عمر ابن الخطاب وهنا يبين فضل الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم وهم خير الناس على الإطلاق كما قال ابن مسعود من أراد أن يأتسي فليأتسي بمن مات ثم قال فليأتسي بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم أعمق علماً وأحسن خلقاً وأبر فعلاً وأزهد في الدنيا، قال الله تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا)

قال الله تعالى (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)

[سورة آل عمران 110].

قال الله تعالى في حق الصحابة (وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنُسُلِهِمْ غَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنُسُلِهِمْ غَافِلِينَ)

(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ)

[سورة الفتح 18] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) وهم الذين قال الله فيهم جل في علاه (مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا بَدِيلًا)

[سورة الأحزاب 23] وهذه كلها في فضل هؤلاء الأفاضل وحقهم على هذه الأمة عظيم، والكف عن مساوئهم التي صدرت

وهي قليلة بالنسبة لهم من محاسن . وقال النبي لا تسبوا أصحابي، لذلك خير الناس أبا بكر كما قال النبي صلى الله

عليه وسلم: (يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر)، قال الرسول: (لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا)

شرح السنة للإمام المزني

المجلس السادس عشر

عنوان الدرس: الصحابة رضي الله عنهم

الحمد لله وكفى والسلام على عباده الذين اصطفى لا سيما النبي المجتبي والأمين المصطفى وعلى صحابته الكرام وأل بيته العظام المستكملين الشرفا وبعد إخواني الكرام ما زلنا مع شرح السنة للمزني أسأل الله جل في علاه أن يجعل ذلك في ميزان الحسنات وأسأل الله في عليائه أن يشكر لكم يقال في الصحابة الكرام هم فضل هم خير الناس

قال المصنف رحمه الله تعالى (ويقال بفضل خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر وعمر فهو أفضل الخلق وأخيرهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم ونثنى بعده بالفاروق وهو عمر بن الخطاب فهما وزيرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجيعاه في قبره وتثلث بذوي النورين عثمان بن عفان ثم بذوي الفضل والتقى علي بن أبي طالب ثم الباقيين من العشرة الذين أوجب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة هذه تثمت مفاضلة في الترتيب بين هؤلاء ونخلص برجل منهم من المحبة بالقدر الذي أوجب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في التفضيل ثم لسائر أصحابه من بعدهم رضي الله عنهم ويقال بفضلهم ويذكرون بمحاسن أفعالهم ونمسك عن الخوض فيما شجر بينهم وهذا أصل الاعتقاد على الصحابة الكرام فهم خيار أهل الأرض بعد نبيهم إرتضاهم الله عز وجل لنبيه وخلقه انصاراً لدينه فهم أئمة الدين وأعلام المسلمين رضي الله عنهم أجمعين فضل الصحابة مشهود له معلوم في كتاب الله وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم بل وفي إجماع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أما في الكتاب فكثير من الآيات التي أشارت إلى فضل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال الله جل في علاه (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وهذا يدخلون الصحابة في هذه الآية العظيمة دخولاً أولياً (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وقال الله تعالى (والزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها) وكلمة التقوى هنا هي لا إله إلا الله. فانه يقول هم المحل القابل إلى إقامة توحيد الله جل في علاه وإلى نشر كلمة التوحيد. فقد قال الله جل في علاه وهذه من أعظم الآيات بياناً لفضل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم (والزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها)

وقال الله تعالى (محمدٌ رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرغ أخرج شطئه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار)

وهنا قال (يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار) استدلل بها الإمام مالك على كفر من يبغض الصحابة والاستدلال على كفر الروافض الذين حملوا في صدورهم على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال الله جل في علاه (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم) وقال ابن مسعود كما في الدارمي (أن الله نظر في قلوب العباد فوجد أصفاهم وأتقاهم وأتقاهم قلب النبي صلى الله عليه وسلم فاختره للنبوة والرسالة ثم نظر في قلوب العباد فوجد أصفاهم وأتقاهم وأتقاهم قلوب أصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم قال فمن أراد أن يأتسي فليأتسي بهؤلاء فإنهم أكثر الناس علماً وأقل الناس تكلفاً وأزهد الناس في الدنيا وأحسن ناس خلقاً)

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (النجوم أمانة السماء فإذا ذهبت النجوم أتت السماء ما توعد قال وأنا أمانة لأصحابي فإذا ذهبت أنا أتى أصحابي ما يوعدون) ثم قال حتى يبين فضل هؤلاء (وأصحابي أمانة لأمتي)

قال (وأصحابي أمانة لأمتي) وهنا يبين النبي صلى الله عليه وسلم فضل أصحابه بأنهم أمانة لهذه الأمة وهذا أيضاً الفضل العميم لهذه الصحبة الذين قد فتحوا الدنيا بأسرهم والله جل وعلا مكن لهم من قلوب العباد والبلاد لأنهم كانوا أحق بذلك ولذلك من تمكنه سبحانه جل في علاه لهم أنهم عبدوا العبادة لرب العباد في مدة وجيزة من عمر الزمن قال (وأصحابي أمانة لأمتي فاذا ذهب أصحابي أتى الأمة ما توعد) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (تغزون أو يغزوا فئة من الناس فيقال لهم أفيكم من صحب رسول الله؟ يقولون نعم فيفتح لهم فيفتح لهم كرامة لأنهم صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يغزوا فئة من الناس فيقال أفيكم من صحب رسول الله فيقولون نعم فيفتح لهم وهكذا ثلاثاً والشك في الرابع وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (أصحابي أصحابي لا تسبوا أصحابي فلو أن أحداكم أنفق مثل جبل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) فهؤلاء خير الناس على الإطلاق وهؤلاء خير صحبة صاحبت نبي لا سيما أفضل الصحابة على الإطلاق أبو بكر وعمر. ولذلك خصهم النبي صلى الله عليه وسلم بمزية خاصة في التفضيل حين قال النبي صلى الله عليه وسلم (اقتدوا بالذين بعدي أبي بكر وعمر)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم

(إن يتبعوا أبا بكرٍ وعمر يرشدوا)

ولما مر أبو بكر وعمر على النبي صلى الله عليه وسلم وكان معه علي بن أبي طالب قال تعلم (.) هذان هما سيدا كهول أهل الجنة وضمهم الأربعة عندما

قال قالوا

يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال (عليكم بالسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبدٌ حبشي رأسه كأنه زبيبة وإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ)

وهذه على الخلافة الراشدة خلافة الأربعة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال (نبوةٌ ورحمةٌ ثم خلافةٌ على منهاج النبوة ورحمة) هذه الخلافة على منهاج النبوة ورحمة قال فيها سفينة وفي رواية أخرى قال ثلاثون سنة) وثلاثون سنة هي خلافة الأربعة مع ستة أشهر للحسن بن علي

وأفضلهم على الإطلاق هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه صديق هذه الأمة الذي له ما له من الحظوة والمكانة عند النبي صلى الله عليه وسلم بل عند رب البرية حين قال سيد البشرية صلى الله عليه وسلم عن أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه (ما طلعت الشمس وما غربت بعد الأنبياء والمرسلين على أفضل من أبي بكر) أبو بكر له المزية الخاصة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الله جل في علاه وأنت ترى لتعلم فضل أبي بكرٍ أنظر فيما قال المفسرون في بعض الآيات التي نزلت في حق أبي بكر منها قول الله تعالى (ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولوا القربى واليتامى) إلى آخر الآيات المفسرون في هذا الباب على أن الخطاب كان خاصاً بأبي بكر رضي الله عنه وأرضاه الله جبار السماوات والأرض يخاطب عبداً من عباد بصيغة الجمع كيف هذا المخلوق عند ربه جل في علاه أبو بكر كلية أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه الله يخاطبه بصيغة الجمع تعظيماً لمكانته لمكانة أبي بكر عند الله يلا الله المؤمن إذا حظي بمكانة عند ربه جل في علاها فإن الله يمكن له القلوب

لذلك ترى الناس جميعاً كانوا يحبون الصحابة الكرام يبجلون ويحبون أبا بكر رضي الله عنه وأرضاه ولذلك عبد الرحمن بن عوف قال (ما سبق أبو بكر الناس بكثير صلاةٍ ولا صيام ولكن سبقهم بما وفر في قلبه) فانه يقول (ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة) وأيضاً فإن أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه شهد الله له بالإخلاص والنفقة والعمل لدين الله جل في علاه. عندما قال (وسيجنبها الأتقى) وهذا كما قال علمائنا نزلت أيضاً في أبي بكر. (وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى) قال (وسيجنبها الأتقى) فانه وصفه بأنه الاتقى كلهم يشتركون في التقوى واتقاهم هو أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه (وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى) شوف الجود والكرم والعطاء ووصفه أيضاً بالإخلاص لله جل في علاه

(وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى) لكن فعل ذلك ابتغاء وجه ربه الأعلى

(ولسوف يرضى) هذا رد على الروافض الخبيثاء لقوله جل في علاه

(ولسوف يرضى) والرضى والنعيم هنا أن يكون بجوار ربه جل في علاه (في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر) وأما مكانته عند النبي صلى الله عليه وسلم فتعرف بأن النبي لما اجتمع مع الصحابة قال بقرة تكلمت فتعجبوا بقرة تتكلم فقال نعم بقرة تكلمت أنا أو من بذلك انا وابو بكر وعمر)

وعلي ابن أبي طالب لما وقف على قبر عمر بن الخطاب او على يعني الجنازة قال ابشر والله ما تمنيت أن القي الله جل وعلا بعمل أحد قط إلا بمثل عملك ثم قال وإني كثيراً ما سمعت ان النبي يقول جنت أنا وأبو بكر وعمر ذهبت انا وابو بكر وعمر جلست انا وابو بكر وعمر فنسأل الله ان يحشرنا مع صاحبك

هذه دلالة على فضل الشيخين وابو بكر رضي الله عنه وأرضاه له المكانة العظيمة عند النبي وعرف ذلك عندما حدثت المشدة بين أبي بكر وبين عمر فاستسمح ابو بكر فلم يسمح له عمر فذهب شاكياً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم تراجع عمر فذهب إلى بيت أبي بكر فقال أثم هو قالوا لا علم أنه ذهب إلى النبي النبي أول ما رأى عمر بن الخطاب وكان ابو بكر لما جاء رفع ثوبه حتى يعني ظهرت ركبته فلم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم عليه ذلك دلائل على ان الركبة ليست بعورة لما جاء عمر تمعر وجه النبي صلى الله عليه وسلم فيكى أبو بكر وجثى على ركبتيه وقال كنت أظلم انا اظلم يا رسول الله فسكت عنه حتى دخل عمر بن الخطاب فقال هلا تركتم لي صاحبي هم صحابة لكن هذه تبين لك مزية هذا الصاحب على الصحابة قال (هلا تركتم لي صاحبي قلتم كذبت وقال صدقت قلتم كذبت وقال صدقت سدوا عني

كل خوخة إلا خوخة أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه) هذه فيها دلالة على مكانة أبي بكر من الصحابة لذلك ما روي ابو بكر بأنه اودى بين الصحابة)

ربيعة ابن كعب الأسلمي عندما احتد عليه أبو بكر في نخلة بينهما في أرض بينهما فاحتد عليه ابو بكر بالكلام فسكت ربيعة فرجع إليه ابو بكر نادماً فقال اقتصص مني رد علي الكلام الذي قلته لك رده علي اقتصاصاً يعني اقتصص مني قال لا والله لا اقتصص منك وسكت قال اقتصص مني ولا لأستعدين عليك رسول الله فقام أصحابه فتعجبوا قالوا يقول لك ذلك ويقول استعدي عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لن

أتين معك ولنظهرن ما حدث منه ربيعة كان رجلاً فظناً لبيباً قال استكثروا لا يسمعكم ابو بكر فيغضب فيغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم لغضبه فيهلك صاحبكم فيهلك صاحبكم فقيه فلما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ربيعة مالك وللصديق قال يا رسول الله كان بيني وبينه كذا وكذا فقال لي اقتصص مني فقلت لا قال نعم لا لا تقتصص منه) أنظر أقره قال ما أحد يقتصص من ابي بكر سبحان ربي العظيم الهذبة الدرجة له مكانة عند ربه جل في علاه قال نعم بل قل يغفر الله لك ابا بكر يغفر الله لك انظر سبحان ربي العظيم ما قال اقتصص حق النفس بالنفس حتى في الصفعة النبي صلى الله عليه وسلم كان قد بين القصاص في الصفعة ومع ذلك مع ابا بكر قال لا بل قل يغفر الله لك ابا بكر فيكى أبو بكر بكاء عظيماً في هذا الباب فقد أقر على أن لا يراجع أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه

ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم

(لو كنت متخذاً من البشر خليلاً لتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الرحمن إنما هي أخوة الإسلام) فخير هذه الأمة بعد نبيها ابو بكر باتفاق ولذلك الحديث في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنه وأرضاه قال(كنا نفاضل بين الصحابة فنقدم أبا بكر ثم عمر ثم عثمان)

واتفق الصحابة الكرام على فضل أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه على أنه المقدم عليهم لما كان في سقيفة بني ساعدة وجهلوا جميعاً أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وان التقریش شرطاً في صحة الخلافة لأن النبي صلى الله عليه وسلم ليس في الصحة استغفر الله التقریش شرطاً لا بد ان يتوفر في الخليفة عندما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم لما قالوا منا أمير ومنكم أمير وكانت المسألة يعني ستفسد سريعاً لا يمكن ان يكون هناك أمير وأمير المركب لا يمكن أن يسير بها سيراً طيباً إلا أن كان أميراً واحداً فقال النبي صلى الله عليه وسلم (نحن الأمراء وأنتم الوزراء الخلافة في قريش كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الخلافة في قريش فمن نازعهم فيها أكبهم الله في النار ولا يبالى)

لكن اختلف العلماء في خلافة أبي بكر أكانت نصاً وقال لي بعض العلماء انها كانت بالتنصيب النبي صلى الله عليه وسلم نص على خلافة أبي بكر عندما قال انتوني بكتاب اكتب لكم لا يقول قائل انا أحق ثم قال لا لا يأبى الله ويأبى المؤمنون إلا ابا بكر يأبى الله ويأبى المؤمنون إلا ابا بكر) واشارات كثيرة جداً لما جاءت المرأة العجوز تسأل النبي صلى الله عليه وسلم قالت فإن فتني يعني جنت وما وجدتك قال ارجعي لأبي بكر ثم ارجعي الى عمر وأيضاً قول النبي صلى الله عليه وسلم (مروا ابا بكر فليصلي بالناس) فإن الصحابة قالوا رضيك لديننا أفلا نرضاك لديننا وهذا من باب قياس الأولى فهنا جاء استخلاف أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه كما قلنا بالإشارة ويمكن ان يقال بالتنصيب وممكن أن يقال باتفاق أهل الحل والعقد كما في صحيفة بني ساعدة لأنه قال وأرضى لكم أحد الرجلين ابو عبيد ابن الجراح قال له أبسط يدك يا عمر فقال له ايه يا ابا عبيدة؟ لو قالها غيرك أتقدم قوماً فيهم مثل أبي بكر لأن أتقدم فتضرب عنقي خير لي من أن أتقدم قوماً فيهم مثل أبي بكر شف يعرف الفضل لأهل الفضل هذا ابو بكر رضي الله عنه وأرضاه وقد أدى ما عليه وثبت الله الملة في حروب الردة بابي بكر رضي الله عنه وأرضاه ثم مات عربياً شريفاً كريماً

🍌 فنص على الخلافة لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه وعمر أفضل الأمة بعد ابي بكر رضي الله عنه وأرضاه بعد نبيها بعد ابي بكر رضي الله عنه وأرضاه باتفاق كما قلنا بأن ابن عمر رضي الله قال كنا نفاضل بين صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفضل ابا بكر ثم عمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه وافق القرآن في بضعة عشر موضعاً

عندما قال للنبي صلى الله عليه وسلم (لو اتخذنا من مقام إبراهيم المصلى قال الله تعالى) واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وعندما قال للنبي صلى الله عليه وسلم (بأنه يدخل عليهن البر والفاجر فليحتجن يعني لا بد من الحجاب فنزلت آية الحجاب) وأيضاً عندما ذهب يصلى على عبد الله بن أبي ابن سلول ويقول له إن الله منعك أن تصلي على هؤلاء قال دعني يا عمر فإن الله خيرني ولو علمت أن الاستغفار أكثر من سبعين مرة يغفر لهم به لفعلته قال الله تعالى) استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم)

عمر بن الخطاب قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم (إيه يا عمر مبتساً إيه يا عمر والذي نفسي بيده لو سلكت فجاً لسلك الشيطان فجاً غير الفج الذي سلكته)

عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه قال النبي صلى الله عليه وسلم في حقه قولاً بليغاً حين قال النبي صلى الله عليه وسلم (لو كان نبيٌ بعدي لكان عمر) وهذه أيضاً فيها دلالة على فضل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه

وأيضاً قد قال النبي صلى الله عليه وسلم لو كان في الأمة محدث أو ملهم لكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه وفي تأويل الرؤية التي عبرها أبو بكر قال النبي صلى الله عليه وسلم في عمر (أنه سيست

لم الراية بعد أبي بكر قال فوجدت عبقرياً ما رأيت عبقرياً يفري فريه) وخلافة عمر ابن الخطاب كانت على التنصيب خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه كانت على التنصيب فقد نص عليها أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه حتى اجتمع الناس به وقالوا له ستحاسب عند ربك ماذا تقول إذا قال لك الله جل في علاه كيف خلفت عليهم هذا الغليظ؟ قال ان سئلت فسأقول خلفت عليهم اتقاهم وأعلمهم فكان له الفضل والحظوة عند أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه عمر ابن الخطاب وهو الخليفة الثاني لهذه الأمة وهو أمير المؤمنين لذلك كانت الفتوحات جمعاء على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه

لذلك ابن القيم كان يقول على عمر بن الخطاب وعلى أبي بكر هو كان يقول على الخلافة وكانت الخلافة النبوية يقول (وكان أبو بكر في خلافته لم يحدث خلاف إلا بعض المراجعات اليسيرة لم يحدث خلاف ثم عمر فلم يحدث خلاف إلا بعض ما كان من المراجعات في عصر أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه

ثم قال عثمان ابن عفان كثرت الخلافات فخرجوا عليه وحصل القتل لما حدث قتل واستلم الراية علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه فعمر ابن الخطاب كما قلنا خلافته جاءت بالتنصيب لأن أبا بكر قال لعثمان اكتب فاعمي عليه ثم أفيق فقال له أكتبنت انت قال لا أنت حري بها ثم قال اكتب عمر وان سألوني أقول خلفت عليهم اعلمهم واتقاهم

👉 قال المصنف(ثم ثلث بذئ النورين عثمان ابن عفان فضل عثمان ابن عفان وفضل علي ابن أبي طالب عميم

عثمان ابن عفان رضي الله عنه وأرضاه قد اتفقت كلمة أهل الحل والعقد عليه وهو تعلمون بأن عثمان ابن عفان رضي الله عنه وأرضاه كان له الحظوة عند النبي صلى الله عليه وسلم لما جاء للنبي وكان النبي قد جلس كاشفاً عن فخذه فدخل أبو بكر قالت عائشة دخل أبو بكر فلم تهش ولم تيش ودخل عمر فلم تهش ولم تيش ولما داخل عثمان فعلت ما فعلت استوى النبي صلى الله عليه وسلم وغطى فخذه لما تعجبت عائشة من ذلك أراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يجعلها يعني يزيل عنها الدهشة قال لها عثمان رجلٌ حيي ان جاء لحاجة فحيأوه يمنعه إن رأني على هذه الحالة أن يسأل ما أراد في رواية قال(ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة)

عثمان ابن عفان هو خير هذه الأمة بعد نبيها باتفاق المهاجرين والأنصار خير هذه الأمة بعد نبيها وبعد أبي بكر وعمر لذلك ابن عمر رضي الله عنه وأرضاه قال

(كنا نفاضل بين الصحابة. يعني في عصر النبي صلى الله عليه وسلم كنا نفاضل بين الصحابة. فكنا نقول أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت) يعني هم لو فضلوا بعد ذلك لقدموا علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه وهو أشد الناس حياءً من صحابة رسول الله يشتركون جميعاً في أصل الصفة لكن هم أشد الناس صحابة

عثمان ابن عفان رضي الله عنه وأرضاه جاء في خبر خلافته وفضله الكثير النبي صلى الله عليه وسلم سارَ عثمان ابن عفان ببعض الكلام وعائشة ما كانت تعلم ثم حدثها بذلك قالت ساره ببعض الكلام كان قد قال النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان ابن عفان(ان الله يقمصك قميصاً فإن أرادوك على خلعه فلا تفعل فإن أرادوك على خلعه فلا تفعل)

فكان كذلك حتى قتلوه مظلوماً رضي الله عنه وأرضاه شهيداً وأيضاً عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه عندما استأذن النبي صلى الله عليه وسلم يعني النبي صلى الله عليه وسلم دخل بئر أريس ومد رجله في الماء فقال أبو موسى الأشعري أكون بواباً للنبي صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم فجاء أبو بكر يستأذن فقال إبدأ له وبشره بالجنة ثم قال عمر يستأذن فقال إبدأ له وبشره بالجنة جاء أبو بكر فجلس عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم ومد رجله وجاء عمر فجلس على شمال النبي صلى الله عليه وسلم ومد رجله ثم جاء عثمان فاستأذن فقال عثمان ابن عفان يستأذن فقال له إبدأ له وبشره بالجنة

على بلوى تصيه والبلوى حدثت أنهم اتهموه ظلماً اتهموه بهتاناً وظلماً وزوراً وبعد ذلك قتلوه شهيداً صائماً قارئاً للقرآن
تالياً إياه رضي الله عنه وأرضاه

فقال عثمان ابن عفان رضي الله عنه وأرضاه انه لا يتنازل حتى قتلوه مظلوماً رضي الله عنه وأرضاه تعلمون هو ملقب
بذي النورين لأنه تزوج ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه مكانة ليس بعدها مكانة ولذلك عثمان بن عفان لم
يحضر بدرأ نعم وفر من أحد ولم يكن عند بيعة الرضوان وهذه المواطن الثلاثة التي فيها فضل هؤلاء الصحابة الكرام أما
بدر فهو مكتوبٌ بها كما قال ابو عمر بن الخطاب عبد الله بن عمر بن الخطاب لما جاء رجل فقال أما تشهد بأن عثمان لم
يشهد بدرأ قال بلى قال أتشهد انه فر من أحد قال بلى قال أتشهد انه لم يكن موجوداً في بيعة الرضوان قال بلى فلما قام
يكبر الرجل قال له تعال يعني قبل ان تمشي خذ هذا تعال فقال له ابن عمر رضي الله عنه وأرضاه

🌸 أما بدر فإن عثمان ابن عفان رضي الله عنه وأرضاه أمره النبي صلى الله عليه وسلم بالمكوث والجلوس لتطبيب
ابنته ثم ضرب له سهماً من بدر فكان عثمان ابن عفان من البدرين ولأن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب له سهماً من
بدر من باب انه كان يطبب بنت رسول الله بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

🌸 ثم قال وفي أحد فر نعم فر مع الفاريين وقد قال رب العالمين

(ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم) ببعض ما كسبوا ولقد
عفا الله عنهم فقال الله تعالى مبشراً بالعمو قال (ولقد عفا الله عنهم)

🌸 فقال (ثم بذي الفضل والتقى يقصد علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وأرضاه على ابن أبي طالب أكثر الصحابة ورد
فيه وفي فضله هو علي ابن أبي طالب ولعل الحكمة من ذلك حتى لا يزدريه أحد لأنه في عصر علي بن أبي طالب وقعت
فتن عظيمة جداً حتى أنهم كما قلنا رفعوا الأسنة على بعضهم البعض ومعركة الجمل وصفين والمعارك التي حدثت بين
معاوية ابن ابي سفيان وعلي ابن أبي طالب عظيمة جداً اعملوا القتل في أنفسهم عملوا القتل في المؤمنين ولذلك النبي
ببشارة قال (إن ابني هذا سيد علي الحسن ان ابني هذا سيد وسيصلح الله

به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين) فكانت خلافة علي ابن ابي طالب عندما قتل عثمان ابن عفان اجتمعوا جميعاً على
علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه ما كان أحد قد وطئ التراب خير من علي ابن أبي طالب رضي الله عنه
وأرضاه ما كان أحداً حرياً بالخلافة إلا علي بن أبي طالب لكن كانت الفتنة كما تعلمون لأنهم قتلوا عثمان بن عفان ظلماً
راموا بعده راحة فتبعوا كثيراً قتلوه ظلماً وزوراً ولو كان في قتله نعمة لحببوا بعده ولبنوا ولكن حببوا بعده دماً عبيطاً لم
يتوقف إلى يوم الناس هذا وعلي ابن أبي طالب قال النبي صلى الله عليه وسلم (أنا مولاة ومن كان علي مولاة فأنا مولاة)
وعلي بن ابي طالب النبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى فضله وإلى مكانته عندما قال (لأعطين الراية غداً رجلاً يحب
الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه

فعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه بعد ما استلم الخلافة تألفت الناس عليه فخرج الزبير وطلحة وعائشة يطالبون
دم عثمان ومعاوية أيضاً وقف في الشام بجند الشام يطالبون بدم عثمان وخرجوا على علي بن أبي طالب وأخطأوا جميعاً
حتى الزبير عاد لما ذكره علي بن ابي طالب(قال تحبه قال وما لي لا أحبه فقال له تقاتله وأنت ظالم له تقاتله وانت ظالم
له) وكانت هذه الخلافة هي الخلافة الراشدة هنا هي الخلافة الراشدة كما قال السفينة مولى النبي صلى الله عليه
وسلم لما قال ثم خلافة على منهاج النبوة ورحمة قال الخلافة ثلاثون سنة) يعني خلافة على منهاج النبوة ورحمة ثلاثون
سنة ولو عدت السنين فخلافة ابي بكر تعتبر ثلاث سنوات قريب من الثلاث سنوات وخلافة عمر كانت عشر سنوات
وسنة أشهر وخلافة عثمان كانت بلغت إلى اثنتي عشرة سنة وخلافة عمر عشر سنوات خلافة عثمان الى اثنتي عشرة سنة
خلافة علي بن أبي طالب أربع سنوات وتسعة أشهر وباقي الستة أشهر كانت للحسن ابن علي الذي قال فيه النبي صلى الله
عليه وسلم إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين ثم بعد ذلك إتمام العشرة الذين شهد لهم النبي
صلى الله عليه وسلم بالافضلية من المهاجرين والانصار

فقال النبي صلى الله عليه وسلم

(النبي في الجنة ابو بكر في الجنة عمر في الجنة عثمان في الجنة علي في الجنة

🌿 طلحة في الجنة طلحة هو طلحة ابن عبيد الله طلحة الخير طلحة هذا في خيريته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم) هذا من قضى نحبه) نزلت فيه هذه الآيات العظيمة (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر) فكان من الرجال الذين صدقوا الله ما عاهدوا الله عليه وطلحة بن عبيد الله كان كريماً جواداً لذلك استدان مالاً كثيراً فقط لإكرام الضيفان فأعطاه عثمان ابن عفان مالاً كثيراً وفيراً من أجل أن يضيف الضيفان طلحة بن عبيد الله هو الذي كان مع النبي في أحد وقال النبي من يصد القوم عنا وهو رفيقي في الجنة قام طلحة أول من قام أجلسه النبي صلى الله عليه وسلم ثم قام عشرة من الأنصار رضي الله عنهم وأرضاهم ينافحون عن رسول الله وعن راية الإسلام فقتلوا عن بكرة أبيهم قال النبي صلى الله عليه وسلم ما أنصفنا إخواننا والأمر على ذلك أنهم ما استطاعوا رد قريش وما زالت الفتنة موجودة من قريش الذين أقبلوا على النبي صلى الله عليه وسلم يريدون قتله فأخذ طلحة رضي الله عنه وأرضاه يصدhem بالسيف حتى كسر سيف في يده فصد السيوف عن رسول الله بيده فشلت يده فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لما جاء أبو بكر وعمر قال أدركوا صاحبكم فقد أوجب الجنة بما فعل فقد أوجب الجنة بما فعل) طلحة في الجنة قال

🌿 والزبير في الجنة والزبير قال النبي صلى الله عليه وسلم (لكل نبي حوارى وحواري الزبير) الزبير بن عوام رضي الله عنه وأرضاه هو حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صرح بذلك النبي الزبير ابن العوام هو خيرة شباب مكة الذي قد حمل السيف وهو بمكة عارياً يريد أن ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك قال والزبير في الجنة

🌿 وسعد في الجنة وسعد هنا سعد ابن ابي وقاص سعد بن ابي وقاص هو خال النبي بالرضاعة ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا خالي فليريني أحدكم من خاله وسعد بن ابي وقاص كما قال علي ابن ابي طالب ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يفدي بأبويه أحد إلا سعد ابن ابي وقاص عندما قال ارمي سعداً فذاك أبي وأمي ارمي سعد فذاك أبي وأمي وقال هذا خالي فليريني أحدكم من خاله سعد ابن ابي وقاص رضي الله عنه وأرضاه النبي لما قال له ابنه أنت هاهنا وهم يتقاتلون على الخلافة قال إليك عني فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول(إن الله يحب التقى النقي الخفي)

🌿 وسعيد سعيد ابن زيد في الجنة ولذلك قال سعيد قال ولو شئت أخبرتكم بالعاشر وكان هو سعيد رضي الله عنه وأرضاه وكان مجاب الدعوة وكانت امرأة ادعت أرضاً له فقال اللهم إن كانت كاذبة فاجعلها قبراً لها فعميت فحفرت حفرة فعميت فوقعت فيها فكان قبراً لها كما دعا سعيد

🌿 وقال وعبد الرحمن ابن عوف وعبد الرحم

ن ابن عوف هذا الفاضل الكريم لما دخل على النبي صلى الله عليه وسلم قال (.) تزوجت قال نعم على نواة من ذهب النبي صلى الله عليه وسلم بين أن أعظم الصحابة فضلاً هم الذين يعطفون على أمهات المؤمنين فكان عبد الرحمن ابن عوف يتولى ذلك ويعطي عطاءً بفيض الكرم لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم

🌿 قال وأبو عبيدة ابن الجراح في الجنة وأبو عبيدة ابن الجراح كفى أن عمر ابن الخطاب قال لو كان حياً لاستخلفته لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال سأبعث لكم أميناً جد أمين أو قال كل أمة أمين وأميننا نحن أهل الإسلام أبو عبيدة ابن الجراح لذلك كان يقدمه دائماً عمر بن الخطاب على كثير من الصحابة لشهادة النبي له بالأمانة فأبو عبيدة أيضاً في الجنة كما شهد له النبي صلى الله عليه وسلم

هذه أفضلية الصحابة الكرام بأن أهل بدر ومنهم أيضاً العشرة المبشرون بالجنة

🌿 ثم أهل بيعة الرضوان قال النبي صلى الله عليه وسلم (لن يلج النار أحدٌ بايع تحت هذه الشجرة) ثم بعد ذلك باقى الصحابة الكرام فكلهم فضلٌ وكلهم خيرٌ وإن أفضل الناس على الإطلاق هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتفضيل بينهم بما جاء التنصيص على ذلك لا بفضل أحداً على أحد إلا بما جاء يعني النص على ذلك والأفضلية المجملة لهؤلاء الذين بشروا بالجنة من المهاجرين والأنصار والحق أن المهاجرين أفضل ثم الأنصار قال الله تعالى (محمدٌ رسول الله والذين معه) المهاجرون والأنصار هذا المقصود في هذا الباب قد مدحهم الله مدحاً عظيماً في كتابه كما قلنا على التفضيل الذي فضله المصنف فيما قال به فالحمد والمنة على ذلك ثم انتقل المصنف إلى نقطة عظيمة في كتاب شرح السنة للمزني والله الحمد والمنة نحن على مشارف الإنهاء اللهم أدم علينا هذا الخير ما حيينا أبداً

شرح السنة للإمام المزني

المجلس السابع عشر

خاتمة الرسالة : الصلاة والجهاد

الحمد لله وكفى والسلام على عباده الذين اصطفى لا سيما النبي المجتبي والأمين المصطفى وعلى صحابته الكرام وأل بيته العظام المستكملين الشرفا وبعد اخوتي الكرام شرح السنة للإمام المزني ونحن على مشارف الإنتهاء منه نسأل الله جل في علاه ان يجعله في ميزان الحسنات نسأل الله في عليائه أن يجعل ذلك إخلاصاً لوجه الله الكريم

يقول المصنف رحمه الله تعالى (الصلاة وراء الأئمة والجهاد معهم) هو يقصد بذلك ولادة الأمور وعندما يقول

(الصلاة وراء الأئمة) هو يقصد بذلك ولادة الأمور قال(لا نترك حضور الجمعة وصلاتها مع برٍ مع بر هذه الأمة وفاجرها لازمٌ واجبٌ يعني. ما كان من البدعة بريئاً فإن ابتدع ضلالة فلا صلاة خلفه

(لا صلاة خلفه) اذا وجد غيره لكن إن لم يوجد غيره وجب الصلاة خلفه أيضاً وإن وجد غيره صلى خلفه فالصلاة صحيحة أيضاً

قال (والجهاد مع كل إمام عدلٍ وجائرٍ أو جائرٍ يعني والحج ايضاً في ذلك كما قال الإمام الطحاوي في عقيدته) والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين برهم وفاجرهم إلى قيام الساعة لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما (

لأن الحج والجهاد فرضان يتعلقان (.) لابد من سائس يسوس الناس فيهما ووقاهم العدو وهذا المعنى لا يحصل إلا بالإمام سواء كان برأ أو كان فاجراً هذه المسألة تتعلق الأول يعني الكلام عليها

👉 أولاً هو تنصيب ولادة الأمور وحاجة الناس إلى ولادة الأمور وتنصيب ولادة الأمور والكلام على حق ولادة الأمور والحق الذي عليهم الذي لابد ان يقيموه

👉 أما تنصيب ولادة الأمور فهذا واجبٌ على هذه الأمة ولأن الأمة أخرج ما تكون إلى من يسوسهم كما قال الله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) ولقول النبي صلى الله عليه وسلم (ولو تأمر عليكم عبدٌ حبشي رأسه كأنه زبيبة فعليكم بالسمع والطاعة) وأمر الناس لا تقوم إلا بوجود ولادة الأمور والإمارة والولاية تكون بالنص أو تكون باجتماع أهل الحل والعقد أو تكون بالغلبة

👉 بالنص كما كان في عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه أن ابا بكر نص على تنصيب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه

👉 وتكون باجتماع أهل الحل والعقد فتكون تنصيب الولي إما بالتنصيب كما حدث من ابي بكر رضي الله عنه وأرضاه وتكون باجتماع أهل الحل والعقد كما كان في أبي بكر أنه تولى الخلافة باجتماع أهل الحل والعقد على الراجح من الخلاف وايضاً كعثمان ابن عفان كما قال عبد الرحمن بن عوف قال ذهبت سألت حتى النساء في خدورهن ما يعدلون بعثمان ابن عفان أحداً رضي الله عنه وأرضاه

👉 وإلا فيكون بالغلبة والغلبة كما في خلافة عبد الملك ابن مروان كما قلنا كان قد تهيأ يعني يرجع إلى عبد الله بن الزبير فيبايعه لكن الحجاج عليه من الله ما يستحق ضرب الكعبة بالمنجنيق وقتل عبدالله ابن الزبير فاستقر الأمر بالغلبة لعبد الملك ابن مروان والجميع بايعه بما فيهم الصحابة

وهذه العصور على الانتخابات التي يعولون عليها هذا جهل مركب الانتخابات لا ليست كاجتماع أهل الحل والعقد ليست كاجتماع أهل الحل والعقد أهل الحل والعقد من العلماء هم علماء الأمة ونبلاء الأمة وان كانوا أحاداً فلما تقول بمئة مليون وأصوات بعشرات الآلاف فرق هذا كله لا اعتبار به فمسألة الانتخابات هذه هذا يعتبر تغلب أيضاً هذا نوع تغلب هذا نوع من أنواع الغلبة فإذا تولى ولي الأمر الإمارة والولاية والخلافة وجب له السمع والطاعة في غير معصية الله جل في علاه وجب له السمع والطاعة لعموم قول الله جل في علاه (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) وهو قال(وأولي الأمر منكم) على أن طاعته ليست مستقلة طاعة تابعة لطاعة الله وطاعة الرسول

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (على المرء السمع والطاعة فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإن أومر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)

إذا قلنا حتى طاعة ولاة الأمور ليست مستقلة وليست على إطلاقها بل سمع والطاعة له في غير معصية الله جل في علاه ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) وفي رواية قال (إنما الطاعة في المعروف) لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم (على المرء السمع والطاعة فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)

في حديث عباد بن الصامت قال (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في المنشط والمكره وفي أثره علينا وألا ننازع الأمر أهله إلا أن ترى كفراً بواحاً لكم فيه من الله برهان)

وسواء الإمام كان برأ أو كان فاجراً فهو إن أمر بأمر الله جل في علاه سمعنا وأطعنا وإن عصى الله جل وعلا فلا سمع ولا طاعة في المعصية

(ولا ننزع يداً من طاعة) قال النبي صلى الله عليه وسلم (إلا من ولي عليه وال فرأه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ذلك فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزع يداً من طاعة) وهذه مهمة جداً لا ينزع يداً يعني هو ينكر إما بقلبه أو بلس

انه دون تأليب الناس ولكن لا ينزع يداً من طاعة لا يسمع ويطيع في المعصية ولكن لا ينزع يداً من طاعة

وكما قال المصنف رحمه الله تعالى (والجهاد والحج ماضيان نافذان مع ولاة الأمور برهم وفاجرهم وصلاة الجمعة خلفهم جائزة سواء كانوا أبراراً أو فجاراً لأن مخالفتهم في ذلك توجب شق عصا المسلمين والتأليب عليهم والتمرد عليهم فتكون المسألة بالفساد المستشري الذي تروونه ولأنه ليس من الدين تأليب الناس على ولاة الأمور المفسدة أعظم مما يتصوره الإنسان وحرمة الخروج عليهم إذا قلنا بوجوب حضور الجماعة الجمع والجماعات معهم سواء كان برأ أو فاجراً سواء كان مبتدعاً سنيين ان شاء الله الصلاة خلف المبتدع والخروج عليهم حرام الخروج على ولاة الأمور حرام فساد مستشري لذلك قال عباد (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان)

والحديث الذي صح عن نبينا صلى الله عليه وسلم (يكون عليكم أمراء تعرفون وتتكرون. فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضي أو تابع ولكن من رضي وتابع قالوا أفلا نقاتلهم؟ قال لا ما صلوا لا ما أقاموا فيكم الصلاة)

قال (الصلاة وراء الأئمة والجهاد معهم ما كان من البدعة بريء)

🍌 طب لو كان مبتدعاً الصحيح أنه لو كان مبتدعاً أيضاً الصلاة خلفه تصح لو أمكن الصلاة خلف أهل السنة دون المبتدع أو الفاسق هذا الأفضل وإلا فلو صلى خلف المبتدع وصلى خلف الفاسق فإن الصلاة صحيحة

ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه صلى الله عليه وسلم قال (كان أميراً للكوفي وبعث عثمان ابن مسعود لتعليم الناس فلما صلى خلفه كان مخموراً شرب الخمر. فصلى الفجر أربع ركعات فصلى الفجر أربع ركعات ثم استدار وقال لهم اتريدون زيادة؟ ازيدكم؟ قالوا ما زلنا معك في الزيادة وهذا كان مخموراً وواقفاً بين يدي الله وهذا فسق كبير فالصحابه رضوان الله عليهم يقولون بهذا الاعتقاد واننا نتعبد الله جل في علاه خلف كل بر وفاجر وأما الصلاة خلف المبتدع كما قلت باتفاق أن صلاة المبتدع على ان تقويه حتى يرجع عن بدعته يصح وان لم يكن فعبداء المرء إخلاصاً لوجه الله الكريم لا تضيق عند الله فإن صلى خلف المبتدع ولم يخل بالشرط والأركان فالصلاة صحيحة وان كان هناك من يمكن ان يؤتم به وهو معه ابن عمر صلى خلف الحجاج ابن يوسف وأنس صلى خلف الحجاج ابن يوسف وكثير من الصحابة صلوا خلف الحجاج ابن يوسف الثقفي قال (فإن ابتدع ضلالة فلا صلاة خلفه) وهذه دلائل على أنهم كانوا يمتقون البدع كليا كانوا يبعدون أنفسهم عنها

🍌 قال فصل في الصيام والإفطار في الأسفار وإقصار الصلاة : هنا الكلام على قصر الصلاة المسألة خلافية بين العلماء المسألة خلافية أريد منكم الآن الخلاف لأنني شرحت ذلك قبل الآن (الخلاف ومناط النزاع بين العلماء في الخلاف في قصر الصلاة في السفر) وأيضاً مسألة اختيار الصيام في السفر ولأنها مسألة فقهية لكن هو قال اعتقاد السلف يعتقون ذلك الأخذ بالرخص وأن التمتع بترك الرخص هذا تنطع غير مقبول) فأريد منكم الخلاف في قصر الصلاة وأيضاً في الفطر في السفر؟؟ الصحيح ان هناك قولان

🌺 القول الأول : وهو وجوب القصر وهذا قول ضعيف لا يصح قد أتم الصحابة قد أتم عثمان وأتم خلفه ابن مسعود في الصحيح (ان القصر سنة وليس واجباً وليس الزاماً بل هو على الترخيص رخصة هذه رخصة في السفر وأما الصوم أيضاً المسألة على أيسر وأفضل والذين قالوا بوجوب الفطر كالأحناف والظاهرية لم يأخذوا بالمقتضي جعلوا مقتضياً آخر المقتضي بقول الله جل في علاه (ومن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة) يعني فإفطر فعدة على الخيار قال فليفطر وعليه عدة من أيام أخر هذا التقدير عند الأحناف وعند الظاهرية فالقصر في الصلاة سنة مرخص فيها وكما قلنا بأن ابن مسعود صلى أربعة خلف عثمان فهي على الإختيار والصيام قول النبي صلى الله عليه وسلم (ليس من البر الصوم في السفر) محمولة على المشقة الشديدة التي لا يتحملها الصائم) . وان كان يتحمل وأن كان وحيداً فيصوم أفضل حتى يقضي الشهر كاملاً تماماً ميسوراً عليه

🌺 ثم قال (اجتماع أئمة الهدى الماضين على هذه المقالات هذه مقالات وأفعالاً اجتمع عليها الماضون الأولون) هو نقل لك أقوال العلماء السابقين من علماء الأمة العلماء المتقدمين. (هذه مقالات وأفعالاً اجتمع عليها الماضون الأولون من أئمة الهدى ويتوفيق الله اعتصم بها التابعون قدوة ورضاً) يبقى هذه الإعتقادات التي تكلمنا عنها الاعتقاد في الله جل في علاه الأسماء الحسنى والصفات العلى والاعتقاد في السمع والطاعات لولاة الأمور وعدم الخروج عليهم كل هذا كان من عقيدة السلف الصالح الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)

قال (وجانبوا التكلف فيما كفوا فسدوا بعون الله ووقفوا لم يرغبوا عن الإتيان فيقصروا ولم يجاوزوا تزييداً فيعتادوا فنحن بالله واثقون وعل

يه متوكلون وإليه في اتباع آثارهم راغبون) فكانه قال وهذه بين يديك عقيدة السلف فعرض عليها بالنواجز ولأنه لا نجا لنا إلا بهذه العقيدة لا سيما وان النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال (افترقت اليهود على واحد وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قال وتفرقت هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قالوا جلي لنا صفات هذه الواحدة هذه الطائفة المنصورة الفرقة الناجية فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هي ما كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي هي ما كان ما أنا عليه اليوم وأصحابي) فهذا بيان شافي وافي على الأمة التي ستفوز وتمكن وتكون لها الريادة والسيادة

هي فعل ما فعلوا واعتقاد ما اعتقدوا والعمل لدين الله جل في علاه كما عملوا قال (والمحافظة على أداء الفرائض والرواتب واجتناب المحرمات)

قال (فهذا شرح السنة تحريث كشفها وأوضحتها فمن وفقه الله للقيام بما أبتنته مع معونة له بالقيام على أداء فرائضه بالإحتياط في النجاسات وإسباغ الوضوء) وهي ليست أصل في العبادة الحبيطة في إثبات كمالها وإثبات صحتها (وإسباغ الطهارة على الطاعات) والإسباغ معناها وصول الماء إلى كل عضو

(وأداء الصلوات على الإستطاعات) وأداء الصلاة لأنها أعظم أركان الدين

كما قال النبي الأمين قال (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (أول ما يحاسب عنه المرء الصلاة فإذا صلحت اقلح ونجح وإذا فسدت خاب وخسر) وأيضاً بعد الصالحات بالواجبات يأتي بما هو أشد قريباً من الواجبات كالوتر والنبي صلى الله عليه وسلم لم يتركه في سفر ولا حضر وكذلك الصوم والصلاة والصدقة كل ذلك فيه العمل كما كان عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال (صلاة الوتر كل ليلة) لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال (صلوا كما رأيتموني أصلي) وكان أحرص الناس على الوتر (

(وركعتي الفجر وصلاة الفطر والنحر) لأنهما صلاة الفطر والنحر لأنهما على السنية وليست على الوجوب

(وصلاة كسوف الشمس والقمر وهي أيضاً من السنة بل من السنن إلا أن نقول هذا بلاء فإذا أراد رفعه يأخذ بالأسباب البلاء أن يتقاعس المرء على النوافل على المستحبات على الطيبات فعليه أن يأخذ بالأسباب سريعاً أن يستدرك ذلك لأن الإمام قال (إذا أتى بالواجبات يأتي بالمستحبات ولما هذا كان قاعدة عند السلف في هذا الباب) الحفاظ على الواجبات والحفاظ على الواجبات لا يكون إلا بكثرة النوافل حتى لو مر عليه مرور الكرام بيده فلا يضيعه فكما ان الأمة أحوج ما تكون إلى الخليفة الأمة أحوج ما تكون إلى عدله ورفقه ورحمته

ثم قال خاتمة الرسالة) انا وصلنا إلى الإنتهاء قال خاتمة الرسالة (واجتناب المحارم والاحتراز من النميمة والكذب والغيبة والبيغي كل ذلك من الكبائر) النميمة من الكبائر تسقط العدالة والكذب كذلك والغيبة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما قال لرجل (ذكرك أخاك ما يكره) اعتذر النميمة من الكبائر والغيبة من الكبائر والكذب من الكبائر

النيمة أعظم من الغيبة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (ذكرك أخاك بما يكره قال أرايت إن كان فيه ما أقول قال إن كان فيه فقد اعتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته وهذا أعظم الذنب)

والنيمة ما يفعله النمام في دقيقة لا يفعله الساحر في شهر كامل أعظم أدوات فساد ذات البين النميمة

والكذب من صفات المنافقين لا من صفات المؤمنين (يطبع المرء على كل خلة سوى الخيانة والكذب) ولذلك قال الله جل في علاه (والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم) النميمة من

الكبائر الكذب من الكبائر الغيبة من الكبائر وكل ذلك إذا كان بغير الحق والبيغي بغير الحق كل هذه من الكبائر وأن يقال على الله ما لا يعلم وهذا من أعظم الكبائر ومن أعظم الكبائر (ان يقول المكلف على الله ما لا يعلم) هذه من أعظم الكبائر لذلك قال كل هذا كبائر محرمات (فمن رعى حول الحمى فإنه يوشك ان يواقع فيها) فكأنه قال وعليك بالسجية السليمة السيدة ففطرتك سبقتك علمك حرصك نقول أتم التوحيد واعرف الحرام من الحلال ثم بعد ذلك لا بد ان تنصير او سنقول يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل وهذا أنت المقصود به فهذا الواقع المر لا بد فيه من إعادة التوجيه مرة أخرى والتدريب على الدعوة إلى الله جل في علاه

قال (فمن يسر لهذا فإنه من الدين على الهدى) هو قال من يسر له يسر له الله جل في علاه هو الذي يفتح ولذلك قال الله تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) في الحديث القدسي(انما هي أعمالكم أحصيتها عليكم ثم أوفيك إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) فمن يسر لهذا فإنه من الدين على الهدى لأن الله جل وعلا فتح له باب الطاعة ووقفه لها(ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً) (أولئك الذين هدام الله فبهدهم أقتده) والنبي قال (صلوا كما رأيتموني أصلي) وقال(خذوا

عني مناسككم) وهو الأحق بذلك ان يكون على الهدى واصدقائه نفس الأمر

لذلك قال(فمن يسر لهذا فإنه من الدين على الهدى فمن منحه الله جل في علاه بالعلم والتعلم والتعليم والفتوى والسعي في ذلك فهو الذي له الحظ العظيم عند ربه جل في علاه ومن الرحمة على الرجاء

ووفقنا الله وإياك إلى سبيله الأقوم بمنه الجزيل الأقدم وجلاله العلى الأكرم والسلام على من قرأ علينا السلام ولا ينال سلام الله الضالين) يعني الله لا يسلم على الضالين (والحمد لله رب العالمين أنجزت الرسالة بحمد الله ومنه وصلواته على محمد صلى الله عليه وسلم فقد أنجز الرسالة بحمد الله من جمل عظمت التي قد بينها لنا من عقيدة السلف العقيدة في الله وإيضاً الغيبيات هذا كله يبين ويجلي لنا ان هؤلاء الافذاذ من العلماء المتقدمين كانت أعناقهم تشرئب إلى الصحابة الكرام ولا يعدوهم فإنهم اعتقدوا كما اعتقد الصحابة فاعتقدوا في ربهم بآثبات الصفات والأسماء الحسنی والصفات العلى واعتقدوا بأنها توقيفية لأنها لا تتأتى إلا بالسمع وان الله جل وعلا يوصف بالكمال المطلق وينزه عن كل نقص وعيب وأيضاً يعتقدون في الغيبيات أنهم يسلمون لها لا يعترضون ولا يتقرون ولا يصل إلى مسامعهم إنهم لا يصل إلى مسامعهم إلا سنة النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء الأخيار لا يعملون إلا بسنة النبي صلى الله عليه وسلم يقتدون بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واعتقاداً وفعلاً وعملاً لذلك الله جل في علاه نصر بهم الدين ومدحهم إجمالاً في كتابه أنهم تبعوا هؤلاء الأخيار الأبرار بإحسان إلى يوم الدين والإحسان في ذلك أنهم امتثلوا اعتقاداً في الغيبيات بالسمع والطاعة واثبتوا الله ما أثبته لنفسه واثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم او أجمعوا على ذلك دون تحريف ولا تكييف ولا تمثيل وأيضاً عند التنزيه تنزيه بلا تعطيل وبالآداب التي تأدبوا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقاداً فأثب المزني على جملة من الإعتقاد اعتقاد السلف وأسس بها الأساسات وكأنه قال وأبرء الرسالة التي انجزتها فيها من صفات الله جل في علاه فيها من الغيبيات عل الله ينفع بها وكانت رداً أيضاً على من اتهمه أنه كان يقول بأن القرآن مخلوق. والمزني ما قال بذلك بحال من الأحوال هذا يعني إجمالاً الإنتهاء من الرسالة في إيجاز ونسأل الله جل وعلا ان ينفع بها الأمة الإسلامية

كما قلنا المزني أراد الختام فخنمها بعقيدة السلف الصالح وخنمها بالالتزام بالكتاب والسنة وخنمها بأن العقيدة ترجمت إلى عمل فكانوا يسارعون في الخيرات والصالحات للقرب من رب الأرض والسموات

فالمزني قد انتهى بفضل الله جل في علاه الحمد لله الحمد لله